تاريخ دمشق الكبير

للإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم
علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي
المعروف بابن عساكر
المتوفى سنة ٥٧١ هـ

تحقيق وتعليق وتخريج

العلامة أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي
حفظه الله

الجزء الثاني

(غزواة الشام وفتحها ومساجدها)

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

تاريخ دمشق

باب
سَرَايا رسول الله ﷺ إلى الشام وبعوثه الأوائل
وهي: غَزوة دومة الجندل وذات أطلاح
وغزوة مُؤتة، وذات السلاسل

ذكر أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي في كتاب الصوائف الذي صنفه أن غزوة دُومة الجَنْدَل أوّل غزوات الشام، قال: وهي من المدينة على ثلاث عشرة مَرْحلة ومن الكوفة على عشر مراحل في برية مرْتٍ، ومن دمشق على عشر مراحل.

قال: وهي أرض نخل وزرع يَسقون على النواضح وحوْلها عُيون قليلة، وزرعهم الشعير، وهي مدينة عليها سُور، ولها حصن عادي مشهورٌ في العرب يُدعى مارد.

والثانية مؤتة، والغزوة الثالثة تبوك، والغَزوة الرابعة غزوة أُسامة بن زيد يُبنى[(١)] من أرض فلسطين في سنة عشر. والغزوة الخامسة غزوة أُسَامة بن زيد آبل الزيت في سنة إحْدى عشرة وهي التي أمّرَه عليها ﷺ وهو مَريض فغزَاهَا بعد وفاته ﷺ ولم أجدْ أحداً من العُلماء فرّق بين غزوة يُبنى وبين غزوة آبل الزيت غير الواقدي.

وقد ذكر في كتاب المغازي الذي صنّفه حديث الأمر بالغارة على يُبْنى في جملة قصة إنفاذ أبي بكر رضي الله عنه لجيش أُسامة وإغارته على آبل الزيت. وعِندي أنـهما غـزوة واحـدة أغـار فـيها عـلى الموضعين جميعاً، والله أعلم.

أخْبَرَنَا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أنا أبو عمرو محمد بن العبّاس بن حَيُّويه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع الثلجي، نا محمد بن عمر الواقدي[(٢)]، حدّثني سعيد بن مسلم بن قماذين، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: دعا رسول الله ﷺ عبد الرّحمن بن عوف قال: «**تجهّز فإنّي باعثك في سريّةٍ من يومك هذا، ومن غدٍ إن شاء الله**» قال ابن عمر: فسمعت ذلك فقلت: لأدخلنّ فلأصلين مع النبي ﷺ الغداة فلأسْمعن وصيّته لعبد الرّحمن بن عوف قال: فغدوت فصلّيت فإذا أبو بكر، وعمر، ونـاس مـن المهاجرين فيهم عبد الرّحمن، وإذا رسول الله ﷺ قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دُوْمة الجَنْدَل فيدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن: «**ما خلّفك عن أصحابك**»؟ قـال ابـن عمر: وقد مضى أصحابه في السفر فهم معسكرون بالجُرْف وكانوا سبع مائة رجل. فقال: أحببتُ يا

---

(١) كذا بالأصول، وفي ياقوت، أُبْنى، موضع بالشام من جهة البلقاء.

(٢) مغازي الواقدي: ٢ / ٥٦٠ سرية أميرها عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست.

رسول الله أن يكون آخر عَهْدي بك، وعليّ ثياب سَفري. قال: وعلى عبد الرّحمن بن عوف عِمامةٌ قد لفّها على رأسه. قال ابن عمر: فدعاه النبي ﷺ فأقعده بين يديه فنقض عِمَامته بيده، ثمّ عمّمه بعمامةٍ سوداء فأرخى بين كتفيه منها ثم قال: «**هكذا فاعتمّ يا ابن عوف**» قال: وعلى ابن عوف السيف متوشّحه. ثم قال رسول الله ﷺ: «**اغزُ بسم الله، في سبيل الله فقاتل من كفر بالله، لا تغُل ولا تغدِر ولا تقتل وليداً**» قال ابن عمر: ثم بسط يده فقال: «**أيّها الناس اتقوا خمساً قبل أن يحل بكم؛ ما نقص مكيال قومٍ إلّا أخذهم الله بالسنين، ونقص من الثمرات لعلّهم يرجعون، وما نكث قوم عَهدَهم إلّا سلّط الله عليهم عدوّهم، وما منع قوم الزكاة إلّا أمسك الله عنهم قطر السماء، ولولا البهائم لم يُسقوا، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلّا سلّط عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير القرآن إلّا ألبسهم الله شيعاً، وأذاق بعضهم بأس بعض**»[٤٠٩](١).

قال: فخرج عبد الرّحمن حتّى لحق أصحابه به فسار حتّى قدم دُوْمة الجنْدَل فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام. فمكث بها ثلاثة أيّام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أبوا أوّل ما قدم يعطونه إلّا السيف، فلمّا كان اليوم الثالث أسْلم الأصْبَغ بن عمرو الكلبيّ وكان نصرانياً وكان رأسهم فكتب عبد الرّحمن إلى النبي ﷺ يخبره بذلك، وبعث رجلاً من جُهينة يقال له رافع بن مَكِيث، وكتب يخبر النبي ﷺ أنه قد أراد أن يتزوّج فيهم. فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوج ابنة الأصبغ تُماضِر، فتزوّجها عبد الرّحمن وبنى بها، ثم أقبل بها، وهي أم أبي سَلَمَة بن عبد الرّحمن بن عوف.

وأمّا سرية ذات أطلاح:

فأخْبَرَنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أنا أبو عمر محمد بن العبّاس، أنا عبد الوهاب بن أبي حيّة، نا محمد بن شجاع، نا محمد بن عمر(٢)، حدّثني محمد بن عبدالله، عن الزُّهْري، قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمَيْر الغِفاري في خمسة عشر رجلاً حتّى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل. فلمّا رأى ذلك أصحاب النبي ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتّى قُتلوا، فأفلت منهم رجل جريحٌ في القَتْلى، فلما بَرَدَ عليه الليل تحامل حتّى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وهمّ بالبعثة إليهم، مبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المُخَلّص، أنا رضوان ابن أحمد، نا أحمد بن عبد الجبّار، نا يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق، في عدد غزوات النبي ﷺ

---

(١) جامع المسانيد: ٢ / ٤٩٢، وتهذيب التاريخ دمشق: ٣ / ٨٧.

(٢) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٥٢ سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان.

وبعوثه وسراياه قال: وغزوة كعب بن عُمَيْر الغِفاري ذات الطلاح من أرض الشام فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً.

وأمّا غزوة مؤتة[١]:

فأخْبَرَنا [أبو القاسم] بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المخلّص، نا أبو الحسين رضوان بن أحمد بن جالينوس ح.

وأخْبَرَنا أبو عبدالله الفُراوي، أنا أبو بكر البيهقي[٢]، أنا أبو عبدالله الحافظ، نا أبو العبّاس محمّد ابن يعقوب، قالا: نا أحمد بن عبد الجبّار، نا يونس بن بُكَير، عن محمد بن إسحاق، حدّثني محمد ابن جعفر بن الزبير، عن عُرْوَة بن الزبير قال: قدم رسول الله ﷺ من عمرة القضاء المدينة في ذي الحجة، فأقام بالمدينة حتّى بعث إلى مؤتة في جمادى [الأولى] من سنة ثمانٍ قال: وأمّر رسول الله ﷺ على الناس في مؤتة زيد بن حارثة ثم قال: «**فإن أُصيب زيد فجعفر فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب فليَرتض المسلمون رجلاً فليَجعلوه عليهم**»[٤١٠].

فتجهّز الناس وتهيّأوا للخروج. فودّع الناس أمراءَ رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم. وودّعوا عبدالله ابن رواحة ـ وقال البيهقي: فلمّا وَدعُوا عبدالله بن رواحة بكى فقالوا: ما يبكيك يا ابن رَواحة ؟ قال: أما والله ما بي حبّ الدنيا ولا صبابة إليها، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ـ وقال البيهقي: ولكنّي سمعت الله يقول: ـ ﴿**وإنْ منكُم إلّا واردُها كان على ربّك حَتْماً مَقْضِياً**﴾[٣] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله، وردكم إلينا صالحين، ودفع عنكم. فقال ابن رَواحة:

لكنني أسأل الرّحمن مغفرةً ... وَضربَةً ذات قرع تقذف الزّبدا
أو طعنةً بيدي حَرّان مُجهزةً ... بِحَربة تنفذُ الأحشاء والكبدا

وقال البيهقي: حمران بدل حران[٤]:

حتّى يقولوا وقد مَرُّوا على جدثي ... يا أرشد[٥] الله من غازٍ وقد رَشدا

ثم أتى عبدالله بن رواحة رسول الله ﷺ فودّعه ثم قال ـ وقال البيهقي: فقال ـ:

وثبّت الله ما أتاك من حسنٍ ... تثبيت موسى ونَصْراً كالذي نصروا
إنـي تفرست فيك الخير نافلةً ... والله يعلم أنـي ثابت البصر
أنت الرّسول فمن يُحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدرُ

---

(١) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام (معجم البلدان).

(٢) دلائل النبوّة للبيهقي: ٤ / ٣٥٨ وما بعدها.

(٣) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٤) في دلائل النبوّة للبيهقي: حران.

(٥) في دلائل البيهقي: «أرشده الله» بدل «يا أرشد الله».

ثم خرج القوم حتّى نزلوا مُعَان[(١)] فبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب[(٢)] في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة، فأقاموا بمعان يومين فقالوا ـ وقال البيهقي: وقالوا: ـ نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدوّنا، فإمّا أن يُمدّنا، وإمّا أن يأمرنا أمراً، فشجع الناس عبدالله بن رواحة فقال: ـ وقال البيهقي: وقال ـ يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم لها إيّاها تطلبُون: الشهادة، وما يقاتل الناس بعددٍ ولا كثرةٍ وإنّما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. فربّما[(٣)] فعل، وإن تكن الأخرى فهي الشهادة وليست بشرّ المنزلتين. فقال الناس: والله لقد صدق ابن رَوَاحَة فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتّى لقوا جموع الروم ـ زاد ابن النَّقُّور: وهم وقالا: ـ بقرية من قرى البلقاء يقال لها شَرَاف ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق أحساء ـ زاد ابن النَّقُّور: ابن موت ـ

وكان سبب هذه الغزوة فيما أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيّويه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع الثلجي، نا محمد ابن عمر[(٤)]، حدّثني ربيعة بن عثمان، عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عُمَير الأزدي ثم أحد بني لهب إلى ملك بُصرى بكتاب. فلما نزل مؤتة عرض له شُرحبيل بن عمرو الغسّاني فقال: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلّك من رُسْل محمّد؟ قال: نعم، أنا رسول رسول الله ﷺ فأمر به فأُوثق رباطاً، ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً. ولم يقتل لرسول الله ﷺ رَسُول غيره، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله، فأسْرع الناس وخرجوا فعَسكروا بالجُرْف، ولم يبيّن رسول الله ﷺ الأمرَ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الظهر جلس وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مِهَضّ اليهودي، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس. فقال رسول الله ﷺ: **«زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن أُصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب عبدالله بن رواحة فليَرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم»**[٤١١] فقال النعمان بن مهض: أبا القاسم إن كنت نبيّاً فسمّيت من سمّيت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً، إنّ الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا: إنْ أُصيب فلان، فلو سمّى مائة أُصيبوا جميعاً. ثمّ جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة: اعهدْ فلا ترجع إلى محمّد أبداً إن كان نبياً. فقال زيد: فأشهد أنّه نبي صادق بارّ، فلمّا أجمعوا المسير وقد عقد رسول الله ﷺ لهم اللواء دعه إلى زيد بن حارثة ـ لواء أبيض ـ مشى الناس إلى أمراء رسول الله ﷺ

(١) مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء (معجم البلدان).

(٢) مآب مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء (معجم البلدان).

(٣) العبارة في دلائل البيهقي: فإن يظهرنا الله به فربما فعل، وإن تكن الأخرى فهي الشهادة وليست بشرّ المنزلين.

(٤) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٥٥ وما بعدها.

يودعونهم ويدعون لهم وجعل المسلمون يودّع بعضهم بعضاً، والمسلمون ثلاثة آلاف، فلمّا ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردّكم صالحين غانمين. قال ابن رواحة عند ذلك:

لكنّني أسأل الرّحمن مغفرةً وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

وهي أبيات أنشدنيها شعيب بن عُبادة.

حدّثنا أبو الحسن علي بن المُسَلّم الفقيه الفَرَضي ـ لفظاً ـ وأبو القاسم الخَضِر بن الحسين بن عبدان ـ قراءة ـ قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العلاء الفقيه، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد ابن عائذ، أنا الوليد بن مسلم، أخبرَني أبو محمد عيسى بن موسى عن بُرْد بن سنان، عن مكحول: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى الشام وأمّر عليهم زيد بن حارثة فإن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة وأجّلهم أجلاً.

قال: وأنا الوليد قال: وأخبرني سعيد بن عبد العزيز وغيره أنهم كانوا ستّة آلاف من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

قال: وأنا الوليد قال: فحدّثني عطّاف بن خالد المخزومي أن رسول الله ﷺ بعث ذلك البَعث، وخرجوا وخرج مشيّعاً لهم حتّى بلغ ثنية الوداع فوقف، ووقفوا حوله، فقال: «**اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام، وستجدون بها رجالاً في الصوامع مُعتزلين للناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين، للشياطين في رؤوسهم مفاحيص فافلقوا هامهم بالسيوف ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضَرَعاً ولا كبيراً فانياً ولا تعزقنّ نخلاً ولا تقطعن شجراً ولا تهدموا بناء**»[٤١٢].

قال ابن عائذ فحدّثني عَطّاف على نحوٍ من هذا.

أخْبَرَنا أبو بكر محمّد بن عبد الباقي، أنا الحسن بن علي الجوهري، أنا محمد بن العبّاس، أنا عبد الوهّاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع، نا محمد بن عمر الواقدي[١]، حدّثني أبو صفوان، عن خالد ابن يزيد قال: خرج النبي ﷺ مشيّعاً لأهل مؤتة حتّى بَلغ ثَنيّة الوداع، فوقف ووقفوا حوله فقال: «**اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام. وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين للناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحيص فاقلعوها بالسيوف، لا تقتلنّ امرأة ولا صغيراً ضَرَعاً ولا كبيراً فانياً ولا تغرقنّ نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بناء**»[٤١٣].

أبو صفوان هو العَطّاف بن خالد بن عبدالله المخزومي.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم

---

(١) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٥٨.

علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم بن بشر القرشي، نا أبو عبدالله محمد بن عائذ قال: سمعت العطّاف بن خالد المخزومي، حدّثني واقد بن محمد بن زيد قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى الشام فخرج معهم حتى بلغ ثَنيّة الوداع ثم قال: «**اخرجوا بسم الله، فقاتلوا في سبيل الله عدوّ الله وعدوّكم، إنكم ستدخلون الشام فستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس فلا تعرضوا لأحد منهم إلّا بخير، وستجدون آخرين للشياطين في رؤوسهم مفاحص، فافلقوا هامهم بالسيوف، لا تقتلنّ كبيراً ولا فانياً ولا صغيراً ضَرَعاً، ولا تقتلنّ امرأة ولا تغرقن نخلاً**»[٤١٤].

وهذان إسْنادان مُرسَلان والمحفوظ أن هذه وصيّةُ أبي بكر رضي الله عنه.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، أنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطّان، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أحمد بن عتّاب، نا أبو محمد القاسم بن عبدالله بن المغيرة الجوهري، نا إسماعيل بن أبي أُويس، نا إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبَة، عن عمّه موسى بن عُقبة، قال: ثم صدَر رسول الله ﷺ -يعني- من عمرة القضاء إلى المدينة فمكث بها ستّة أشهر ثم بعث جيشاً إلى مؤتة وأمّر عليهم زيد بن حارثة فإن أُصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة أميرهم. فانطلقوا حتّى لقوا ابن أبي سَبْرَة الغسّاني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فأغلق سَبْرَة(١) دون المسلمين الحصن ثلاثة أيّام. ثم خرجوا فالتقوا على درع(٢) أحمر فاقتتلوا قتالاً شديداً فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقُتل، ثم أخذ جعفر بن أبي طالب فقُتل، ثم أخذه عبدالله بن رواحة فقُتل، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو وأظهر المسلمين. وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى وزعموا والله أعلم أن رسول الله ﷺ قال: مرّ جعفر بن أبي طالب في الملائكة يطير مع الملائكة كما يطيرون، له جناحَان، وقُتل يومئذ من المسلمين من قريش ثم من بني هاشم: زيدُ بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب. ومن بني مخزوم: هبار بن سفيان بن عبدالأسد، ومن بني عدي بن كعب: مسعود بن الأسود. ومن بني عامر ابن لؤي: وهب بن سعد بن أبي سرح. وقتل من الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج عبدالله بن رواحة وعبدالله بن ربيع. ومن بني زريق: عباد بن ناعص. وفي هذه الغزوة يقول عبدالله بن رواحة:

إذا بلغتني وحَملتِ رحلي ... مسافة أربعٍ بعد الحسَاءِ(٣)

---

(١) في دلائل النبوّة للبيهقي: ٤ / ٣٦٤ ابن أبي سبرة. (٢) في دلائل البيهقي: «ذرع».

(٣) سيرة ابن هشام: ٤ / ١٨ برواية: «إذا أديتني... مسيرة أربع» والحساء جمع حسى وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً، فإذا بحث عنه وجد.

فـحمدك أنـعم وخـلاك ذمٌّ ... ولا أرجعْ إلى أهْلي ورائـي[(١)]
وآب المسـلمون وغـادروني ... بأرض الروم مشـتـهر الثـواءِ
هـنالك لا أبالي طلع فحل ... ولا نـخل أسـافلها رواءِ

وخرج أبو سفيان إلى الشام تاجراً فقدم على قيصر فأرسل إليه قيصر يسأله عن النبي ﷺ فلمّا جاءه قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم أكل مرّة يظهر عليكم؟ قال: ما ظهر علينا قط إلّا وأنا غائب، ثم قد غزوتهم مرّتين في بيوتهم فبقرنا البطون وجدعنا الأنوف وقطعنا الذكور. قال قيصر: أتراه كاذباً أو صادقاً؟ قال: بل هو كاذب. قال قيصر: لا تقولون ذلك فإن الكذب لا يظهر به أحد. فإن كان فيكم نبياً فلا تقتلوه، فإن أفعل الناس لذلك اليهود.

قال عبدالله بن رواحة أيضاً في يوم مؤتة:

أقسـمتُ بـالله لتـنزلنّه ... يـا نـفس طوعاً أو لتكرهنّه
مـالي أرَاكي تكرهين الجنّة ... وقـبل ذا قـد كنتِ مطمئنة
إذ أجلبَ الناس وشدوا الرنّة

وزعموا، والله أعلم، أن يَعْلَى بن منية قدم على رسول الله بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ: **«إن شئت فأخبرني وإن شئتَ أخبرك»** قال: بل أخبرني يا رسول الله قال: فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلّه ووصفه لهم. فقال: والذي بعثك بالحقّ ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنّ أمرهم لكما ذكرت. فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى رفع لي الأرض حتّى رأيت معتركهم»** [٤١٥] وزعموا والله أعلم أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج من مؤتة فبكى يعني أهله حين رأوه يبكي. فقال: والله ما بكيت جزعاً من الموت ولا صبابة بكم، ولكن بكيت من قول الله عزّوجلّ: **﴿إنْ منكم إلّا واردُها كان على ربك حتماً مقضياً﴾**[(٢)] فأيقنت أني واردها ولم أدر أنجو منها أم لا.

حدَّثنا أبو الحسن علي بن المسلم السّلمي الفقيه ـ لفظاً ـ وأبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان ـ قراءة ـ قالا: أنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي الفقيه، أنا أبو محمد عبد الرّحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أنا أبو القاسم علي بن نصر علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أحمد ابن إبراهيم، قال: قال محمد بن عائذ: فحدّثني الوليد قال: فحدّثني أبو سليمان عبد الرّحمن بن سليمان عن من حدّثه من مشيختهم عن رجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأشعريين: أن رسول الله ﷺ بعثه مبعثاً ركب فيه البحر حتّى خرج إلى أيْلة وما يليها فلماكان بمكان الذي هو به من الشام بَلغه قدوم زيد بن حارثة وذلك الجيش البلقاء، ومن لقيهم من جماعة الروم ومن معها من قبائل العرب فخرجت حتّى أتيتهم. قال: فلقيناهم وشهدت المعركة، فاقتتلنا قتالاً شديداً، ولبس زيد

(١) في سيرة ابن هشام: «فشأنك أنعم».
(٢) سورة مريم، الآية: ٧١.

درعاً له وركب فرساً وبيده الراية، يقاتل ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع وقال: من يأخذ هذا؟ وقُتل زيد، وأخذه جعفر فلبسَ الدرع وركب الفرس وأخذ الراية فتقدّم فقاتل. قال: ونزل جعفر عن الفرس ونزع الدرع وقال: من يأخذ هذا؟ فتقدّم عبدالله بن رواحة فلبس الدرع وركب الفرس وأخذ الراية فقاتل فقُتل. ولما انتهت الراية إلى عبدالله بن رواحة قاتل، ثم صنع ما صنع صاحباه ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع، وقال: من يأخذ هذا؟ وجال الناس جولة، وأخذ الراية رجل من الأنصار فقاتل بها إذ مر به خالد بن الوليد، فقال له الأنصاري: يا خالد خذ الراية قال: أنت أحقّ بها أنت أخذتها، وقال الأنصاري: أنت أحقّ بها فإنك أشجع منّي، فأخذها خالد.

أخْبَرَنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أنا أبو محمد الجَوهري، أنا أبو عمر بن حَيُّويه، أنا عبد الوهاب بن أبي حيّة، نا محمد بن شجاع، نا محمد بن عمر الواقدي(١)، قال: ومضى المسلمون وقد أمرهم رسول الله ﷺ أن ينتهوا إلى مقتل الحارث بن عُمَيْر فلما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع. وقام فيهم رجل من الأزد يقال له شرحبيل بالناس، وقدم الطلائع أمامه. وقد نزل المسلمون وادي القُرى وأقاموا أيّاماً. وبعث أخاه سَدُوس بن عمرو في خمسين من المشركين فالتقوا وانكشف أصحابه وقُتل سدوس وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصّن، وبعث أخاً له يقال له وَبْر بن عمرو فسار المسلمون حتّى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآباً من أرض البلقاء في بهراء ووائل وبكر ولَخْم وجُذام في مائة ألف، عليهم رجل من بَليّ يقال له مالك. فلمّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين، لينظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فإمّا يردّنا وإمّا يزيدنا رجالاً. فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجّعَهم ثم قال: والله ماكنّا نقاتل الناس بكثرة عَدَدٍ، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيولٍ. إلّا بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به. انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بَدر ما معنا إلّا فَرَسَان ويوم أُحد فرس واحدة فإنّما هي إحدى الحُسنيين، إمّا ظهور عليهم فذلك ما وَعَدنا الله وَوَعد نبيّنا، وليس لوعده خُلْف، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان. فشجع الناس على مثل قول ابن رواحة.

أخْبَرَنا أبو بكر الأنصاري، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر، أنا عبد الوهّاب، نا محمد بن شجاع، نا الواقدي(٢)، قال: فحدّثني ربيعة بن عثمان، عن المَقْبُري، عن أبي هريرة قال: شهدت مؤتة، فلمّا رأينا المشركين رأينا ما لا قِبَل لنا به من العدد والسلاح والكُراع(٣) والديباج والحرير والذهب، فبرق بَصَري. فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة مالكَ كأنّك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت:

---

(١) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٦٠. (٢) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٦٠.

(٣) الكراع قيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (اللسان: كرع).

نعم. قال: لم تشهدنا ببدرٍ إنّا لم نُنصر بالكثرة.

قال: وحدّثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: وحدّثني عبدالجبّار بن عُمَارة، عن عبدالله بن أبي بكر، زاد أحدهما على صاحبه في الحديث قالا: لمّا التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكُشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبّب إليه الحياة وكرّه إليه الموت وحبّب إليه الدنيا، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبّب إليّ الدنيا، فمضى قُدُماً حتى استُشهد**، فصلّى عليه رسول الله ﷺ وقال: «**استغفروا له وقد دخل الجنّة وهو يسعى، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمنّاه الحياة وكرّه إليه الموت ومنّاه الدنيا، فقال: «الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنّيني الدنيا» ثم مضى قُدُماً حتى استُشهد** فصلّى عليه رسول الله ﷺ ودعا له ثم قال رسول الله ﷺ: «**استغفروا لأخيكم فإنّه شهيد دخل الجنّة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنّة. ثم أخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة فاستُشهد ثم دخل الجنة معترضاً**. فشقّ ذلك على الأنصار. قيل: يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال: **لما أصابته الجراح نكل، فعاتب نفسه فشجُع، فاستُشهد فدخل الجنّة**[٤١٦]» فسُرّي عن قومه.

قال: ونا الواقدي(١): حدّثني محمد بن صالح عن رجل من العرب، عن أبيه، قال: لمّا قُتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط في كل وَجْهٍ ثم إن المسلمين تراجعوا، فأقبل رجل من الأنصار يُقال له ثابت بن أقرم، فأخذ اللواء وجعل يصيح بالأنصار. فجعل الناس يثوبون إليه من كل وجهٍ وهم قليل وهو يقول: إليّ أيّها الناس! فاجتمعوا إليه. قال: فنظر ثابت إلى خالد بن الوليد، فقال: خذ اللواء يا أبا سُليمان فقال: لا آخذه أنت أحقّ به، أنت رجل لك سنّ وقد شهدتَ بدراً. قال ثابت: خذه أيّها الرجل فوالله ما أخذته إلّا لك، فأخذه خالد فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه فيثبت حتّى تكركر(٢) المشركون وحمل بأصحابه ففضّ جمعاً من جمعهم ثم دهمه منهم بجمع بشر كبير، فانحاش بالمسلمين فانكشفوا راجعين.

قال: ونا الواقدي(٣) حدّثني عطّاف بن خالد قال: لما قُتل ابن رواحة مساءً بات خالد بن الوليد فلمّا أصبح غدا وقد جعل مقدّمته ساقته، وساقته مقدّمته، وميمنته ميسرته وميسرته ميمنته فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم. وقالوا: قد جاءهم مَدَدٌ. فرعبُوا فانكشفوا منهزمين، فقُتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم.

حدّثنا أبو الحسن علي بن المُسَلّم الفقيه ـ لفظاً ـ وأبو القاسم الخضر بن الحسين ـ قراءة ـ قالا: نا

---

(١) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٦٣ ـ ٧٦١.

(٢) يقال تكركر الرجل في أمره أي تردّد (الصحاح).

(٣) مغازي الواقدي: ٢ / ٧٦٤.

أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك قال: قال ابن عائذ: أخبرني الوليد قال: سمعت أنهم ساروا حتى إذا كانوا بناحية مَعان من أرض الشراة[1] فأخبروا أن الروم قد نذروا وجمعوا لهم جموعاً كثيرة من الروم وقُضاعَة وغيرهم من نصارى العرب. فاسْتشار زيد بن حارثة أصحابه فقالوا: قد وطئت البلاد وأخفت أهلها، فانصرف فإنّه لا يَعدل العافية شيء، وعبدالله بن رواحة ساكت. فسأله زيد عن رأيه فقال: إنّا لم نسر إلى هذه البلاد، ونحن نريد الغنائم، ولكننا خرجنا نريد لقاءهم. ولسنا نقاتلهم بعددٍ ولا عُدّة، فالرأي المسير إليهم. فقبل زيد رأيه وسار إليهم.

قال ابن عائذ: فأخبرني الوليد قال: فحدّثني رجل من بني سلامان عن غير واحد من كبراء قومه: أن زيد بن حارثة سار بهم على جبال بين الشراة والبَلقاء على ريفها وعمارتها. فمرّ بقرية من قرى جبال يقال لها أكثب، فشدّ أهْلها على ساقة المسلمين فأصابُوهم بجراحة وقتلوا رجلاً من المسلمين فبلغ ذلك جماعة الجيش فاستأذنوا زيد بن حارثة في الرجعة إليهم والانتقام منهم. فقال زيد: لا أرى ذلك لأنّ عدوّكم أمامكم قد جمعوا لكم ودنوا منكم، فأكره أن تَفلّوا حدّكم ونشاطكم بقتال غيرهم، ثم لا آمن أن يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم، فتكونوا بين عَسكرين. فمضى زيد ومَنْ معه حتى لقوا عدوّهم بين قريّات ثلاثة، بين مؤتة والعمقة وزقوقين فصافوهم هنالك. وقال السلاميون: هم إلى زقوقين أقرب.

قال ابن عائذ: قال الوليد: وأخبرنا رجل من أهل البلقاء أن الذين لقوهم يومئذ من أهل المشارق من النصارى من لَخْم وجُذَام والقَيْن.

قال ابن عائذ قال الوليد: فحدّثني عطّاف بن خالد وغيره: أن خالد بن الوليد بات ثم أصبح غازياً وقد جعل مقدّمته ساقة، وساقته مقدّمة، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة. فأنكروا ما جاء به من خلاف ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد. فانهزموا وقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم.

قال ابن عائذ قال الوليد: وأمّا السلامي فإنّه أخبرني عن غير واحد: أن خالداً لمّا أخذ الراية قاتلهم قتالاً شديداً، ثم انحاز الفريقان كلّ عن كل قافلاً عن غير هزيمة، فقفل المسلمون على طريقهم التي أبدُوا منها حتّى مرّوا بتلك القرية والحصن الذين كانوا شدّوا على ساقتهم وقتلوا رجلاً منهم. فحاصروهم في حِصنهم حتّى فتحه الله عليهم عنوة، فقتل خالد بن الوليد مقاتلتهم في نقيع إلى جانب حصنهم صَبْراً، فبها سُمّي ذلك النقيع نقيع الدم إلى اليوم، فهدموا حصنهم هدماً لم يعمر

---

(١) الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ، والشراة: جبل من دون عسفان وهو لبني ليث خاصة ولبني ظفر من سليم (معجم البلدان).

بعده إلى اليوم.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الملك الخَلّال، أنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور السّلمي، أنا أبو بكر بن [المقرىء]، نا أبو يَعْلَى الموصلي، نا أبو خَيْثَمة، نا وَهْب بن جرير، نا الأسود بن شيبان، عن خالد بن شُمَير قال: قدم علينا عبدالله بن رباح الأنصاري من المدينة وكانت الأنصار تفقهه. قال: فوجدته في حوى شريك بن الأعور. قال: وقد اجتمع إليه ناس. قال فحدّثنا قال: حدّثني أبو قتادة الأنصاري قال: بعث رسول الله ﷺ بجيش الأمراء فقال: «**عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة**» قال: فوثب جعفر فقال: يا رسول الله ما كنت أذهب أن تستعمل عليّ أحداً، قال: «**امض فإنّك لا تدري أي ذلك خير**» قال: فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله ثم أن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن يُنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**ثابَ خبر ثاب خبر ثاب**[1] **خبر [ألا] أخبركم عن جيشكم هذا الغازي. إنّهم انطلقوا حتى إذا لقوا العدو أُصيب زيد شهيداً فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتّى قُتل شهيداً. أشهد له بالشهادة فاستَغْفِرُوا له.** فاستَغْفَرُوا، **ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً فاستَغْفِروا** فاستغْفَروا» قال: «**ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء**» قال: فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه فقال: «**اللّهم هو سيف من سُيُوفك فانتصر به**» قال: فيومئذ سُمّي خالد سيف الله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**انفروا فأمدّوا إخوانكم ولا يتخلفنّ أحد**» [٤١٧] قال: فنفر الناس في حرّ شديد مشاة وركباناً، فذكر الحديث[2].

أخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن الفضيل الفقيه، وأبو محمد هبة الله بن سَهْل بن عمر السيّدي قالا: أنا أبو عثمان سعيد بن محمد البحيري، أنا أبو عمرو بن حمدان، أنا عمران بن موسى بن مجاشع، نا محمد بن عُبَيد بن جسارح.

وأخْبَرَنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، أنا أبو سعد محمد بن عبدالرّحمن الجَنْزَرُودي، أنا أبو عمرو بن حمدان.

وأخْبَرَتنا أم الُمجْتَبى فاطمة بنت ناصر العَلَوية قالت: قُرِيء على إبراهيم بن منصور السّلمي، وأنا حاضرة، أنا أبو بكر بن المقريء قالا: أنا أبو يَعْلَى المَوْصلي، نا عبيدالله ـ زاد ابن حمدان: بن عمرو قالا: ـ القَوَاريري قال: نا حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن حُمَيد بن هلال، عن أنس ـ زاد ابن المقريء: ابن مالك ـ أن رسول الله ﷺ بعث زيداً وجعفراً وعبدالله بن رواحة، ودفع الراية إلى زيد، قال: فأصيبُوا جميعاً قال: قال أنس: فنعاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يجيء الخبر، قال: **أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبدالله فأصيب فأخذ الراية بعدُ سيفٌ من**

---

(١) كذا بالأصول.

(٢) كنز العمال ح ٢٩٩١٩.

سيوف الله خالد بن الوليد [٤١٨] قال: فجعل يحدث الناس وعيناه تذرفان. وفي حديث القواريري ثم أخذ.

أَخْبَرَنا أبو المُظفّر بن القُشْيري، أنا أبو سعد الجَنْزَرودي، أنا أبو عمرو بن حمدان ح.

وأخبرتنا فاطمة بنت ناصر قالت: قُرِيء على إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقريء، قالا: أنا أبو يَعْلَى، نا أبو خَيْثَمة، نا إسماعيل، عن أيوب، عن حُميد بن هلال، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها خالد عن** - وقال ابن حمدان: بن الوليد من - **غيرة إمرة، ففتح الله عليه، وما يسرهم أو ما يسرني أنهم عندنا**، وإن عينيه لتذرفان [٤١٩].

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السَّمرقندي، أنا أبو الحسين أحمد بن محمّد بن النَّقُّور، أنا أبو الحسين محمد بن عبدالله الدقاق ح.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور وأبو القاسم علي بن أحمد بن محمّد بن البُسْري والشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي قالوا: أنا أبو طاهر المخلص، قالا: أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا أبو خيثمة يعني زهير بن حرب بن شداد النسائي، نا الوليد بن مسلم، نا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفير عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة فوافقني مددي من أهل اليمن، ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي طائفة من جلده فأعطاه إيّاه، فاتخذ كهيئة الدرقة، ومضينا فلقينا جموع الروم، قال: وفيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهب وسلاح مذهب، فجعل الرومي يغري بالمسلمين. وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه فخرّ، وعلاه فقتله. فحاز فرسه وسلاحه. فلما فتح الله عزّوجلّ على المسلمين بعث خالد بن الوليد فأخذ من السلب، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكنّي استكثرته، قال عوف: فقلت: لتردّنه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ فأبى أن يرده عليه. قال عوف: فاجتمعنا فقصصت عليه قصّة المددي وما فعل خالد. فقال رسول الله ﷺ: **يا خالد ما حملك على ما صنعت**؟ قال: يا رسول الله استكثرته، فقال رسول الله ﷺ: **رُدّ عليه ما أخذت منه**. فقلت: دونك يا خالد ألم أقل لك. فقال رسول الله ﷺ: **ما ذاك**؟ فأخبرته، فغضب رسول الله ﷺ. وقال: **يا خالد لا ترد عليه. هل أنتم تاركو لي أمرائي، لكم صفوة أمركم وعليهم كدره**» [٤٢٠] (١).

أخرجه مسلم عن زهير.

---

(١) سنن أبي داوُد، الجهاد، ح٢٧١٩.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السَّمَرقندي، أنبأ أبو الحسين بن النَّقُّور، أنبأ أبو طاهر المخلص، أنا أبو الحسين رضوان بن أحمد بن جالينوس، أنا أحمد بن عبد الجبّار العطاردي، نا يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق قال: فبكى حسّان أهل مؤتة فقال:

تأوّبني ليل بيثرب أعسر ... وهمّ إذا ما نوّم الناس مسهرُ
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاء التذكّر
بل إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تتابعوا ... شعوباً وخلّف بعدهم متأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبيّ إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتّى مات غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنّا نرى في جعفر بن محمّد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عزّ لا يزول ومفخر
همُ جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر
بهاليلُ منهم جعفر وابن أمّه ... عليّ ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعبّاس منهم وفيهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... حماش إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله منزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهّر

وقال كعب بن مالك يبكي جعفراً وأصحابه يوم مؤتة:

نام العيون ودمع عينك تهطل ... سحاً كما وكف الضباب المخضلُ
في ليلة وردت عليّ همومها ... طوراً أحنّ وتارة أتململ
واعتادني حزن فبتّ كأنني ... ببنات نعش والسماك موكل
وكأنّما بين الجوانح والحشا ... ممّا تأوبني شهاب مدخل
وجداً على النفر الذي تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلّى الإله عليهم من فتية ... وسقا عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة [للإله] نفوسهم ... حذر الردى وحفيظة أن ينكلوا
فمضوا أمام المؤمنين كأنّهم ... فنق عليهن الحديد المرمل

إذ يـــقتدون بـــجعفر ولوائـــه قـــدّام أوّلهـــم، ونـــعم الأوّل
حـتّى تـفرجت الصـفوف وجـعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدّل
فـــتغيّر القـــمر المـــنير لفـقده والشمس قد كسفت وكادت تأفـل
قـــرم عـــلا بـنيانه مـن هـاشم فـــرع أشـم وسـؤدد مـا يـنقل
قـــوم بـــهم عـصم الإله عـباده وعـــليهمُ نـزل الكـتاب المـنزل
فـــضلوا المـعاشر عـزة وتكـرّماً وتـغمدت أحـلامهم مـن يـجهل
لا يـــطلقون إلى السـفاه حـباهم ويـــرى خـطيبهم بـحق يـفصل
بـيض الوجـوه تـرى بـطون أكـفّهم تـندى إذا اغـبرّ الزمـان المـمحل
وبـــهديهم رضـــى الإله لخـلقه وبـجدّهم نـصر النـبي المـرسل

وأمّا غزوة ذات السلاسل(١):

فهي بعد غزوة مؤتة، فيما ذكر أهل المغازي، سوى ابن إسحاق، فإنّه ذكر أنها قبل غزوة مؤتة.

أَخْبَرَنا أبو بكر محمّد بن عبد الباقي الفرضي، أنا الحسن بن علي الجوهري، أنا أبو عمر بن حيويه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيّة، نا محمّد بن شجاع، نا محمّد بن عمر الواقدي: حدّثني ربيعة ابن عثمان عن ابن رومان، وحدّثني أفلح بن سعيد، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش عن أبي بكر بن حزم، وحدّثني عبد الحميد بن جعفر فكلّ قد حدّثني منه بطائفة، وبعضهم أوعى للحديث من بعض، فجمعت ما حدّثوني وغير هؤلاء المسمّين، فحدّثني أيضاً قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بَليّ وقضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، فعقد له لواءً أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في سَرَاة المهاجرين والأنصار ـ في ثلاثمائة ـ عامر بن ربيعة، وصُهَيْب بن سنان، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وسعد ابن أبي وقاص؛ ومن الأنصار: أُسيد بن حُضير، وعُبادة بن بشر، وسلمة بن سلامة وسعد بن عبادة، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب وهي بلاد بَليّ وعُذْرة وبَلْقَيْن، وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رحمٍ بهم؛ كانت أمّ العاص بن وائل بَلَويه. فأراد رسول الله ﷺ يتآلفهم بعمرو، فسار، وكان يكمن النهار ويسير الليل، وكانت معه ثلاثون فرساً، فلمّا دنا من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً، فتمهّل قريباً منهم عشاء وهم شاتون. فجمع أصحابه الحطب يريدون أن يصطلوا ـ وهي أرض باردة ـ فمنعهم، فشقّ ذلك عليهم حتّى كلّمه في ذلك بعض المهاجرين، فغالظه. فقال عمرو: قد أُمرت أن تسمع لي وتُطيع ؟ قال: نعم، قال: فافعل.

وبعث رافع بن مَكيث الجُهَني إلى رسول الله ﷺ يخبره أنّ لهم جمعاً كثيراً ويستمده بالرجال.

---

(١) ذات السلاسل: وراء وادي الفرس، بينها وبين المدينة عشرة أيّام.

فبعث أبا عُبيدة بن الجَرّاح وعقد له لواء، وبعث معه سَراة المهاجرين ـ أبو بكر وعمر ـ والأنصار، وأمره رسول الله ﷺ أن يلحق عمرو بن العاص. فخرج أبو عُبيدة في مائتين، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا. فساروا حتى لحقوا بعمرو بن العاص، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدّم عَمْراً، فقال له عمرو: وإنّما قدمتَ عليّ مدداً لي، وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير. وإنّما أرسلك النبي ﷺ إليّ مَدَداً. فقال المهاجرون: كلا بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه. فقال عمرو: لا بل أنتم مَدَد لنا، فلمّا رأى أبو عُبيدة الاختلاف ـ وكان حسن الخُلق، لين الشّيمة ـ قال: انظرن يا عمرو، تعلمنّ أنّ آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «**إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا**»[٤٢١] وإنّك والله إن عَصيتني لأطيعنّك. فأطاع أبو عُبيدة، فكان عمرو يصلّي بالناس. فآب إلى عمرو جَمعٌ ـ فصاروا خمس مائة ـ فسار الليل والنهار حتّى وطئوا بلاد بَليّ ودوّخها(١) وكلّما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلمّا سمعوا بك تفرّقوا، حتّى انتهى إلى أقصى بلاد بَليّ وعُذْرة وبَلْقَين، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير، فتقاتلوا ساعة وترامَوا بالنبل، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة بسهم فأصيبت ذراعه. وحمل المسلمون عليهم فهربوا، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرّقوا، ودَوَّخ عمرو ما هناك وأقام أيّاماً لا يسمع لهم بجمع ولا بمكان صاروا فيه. وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، وكانوا ينحرون ويذبحوّن، فلم يكن في ذلك أكثر من ذلك، لم يكن غنائم تُقسم إلّا ما لا ذُكر له.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السَمَرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الْمخَلّص، نا رضوان ابن أحمد بن جالينوس ح.

وأخْبَرَنا أبو عبدالله الفُرَاوي، أنا أبو بكر البيهقي(٢)، أنا محمد بن عبدالله الحافظ، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، قالا: نا أحمد بن عبد الجبار، نا يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق، حدّثني محمد ابن عبد الرّحمن بن عبدالله بن الحصين التميمي، عن غزوة ذات السلاسل من أرض بَليّ وَعُذْرة قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَليّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يسأتلفهم بذلك حتى إذا كان [على ماءٍ] بأرض جُذام يقال لها السلاسل، وبذلك سُمّيت تلك الغزاة ذات السلاسل، فلمّا كان عليه خاف فبعث رسول الله ﷺ يستمدّه فبعث إليه أبا عبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عُبيدة حين وجّهه: «**لا تختلفا**» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنّما جئت مدداً إليّ فقال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سَهْلاً هَيناً عليه أمر الدنيا. فقال له عمرو: بل أنت مَدد لي فقال له أبو عبيدة: لا يا عمرو إن

---

(١) يعني أنه قهرها وغلبها واستولى عليها.

(٢) دلائل النبوّة للبيهقي: ٤ / ٣٩٩ مع تفاوت.

رسول الله ﷺ قال: «**لا تختلفا**» [٤٢٢] فإنك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو: فإنّي أميرٌ عليك وإنّما أنت مددٌ لي، قال: فدونك فصَلِّ، فصلّى عمرو بالناس.

قال: ونا يونس عن أبي معشر عن بعض مشيختهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّي لأؤمر الرجل على القوم فيهم مَن هو خيرٌ منه لأنّه أيقظ عيناً وأبصَر بالحرب**» [٤٢٣].

حدَّثنا أبو الحسن علي بن المسلم السُّلمي ـ لفظاً ـ وأبو القاسم الخضر بن الحسين ـ قراءة ـ قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسِم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الرّحمن، نا محمد بن عائذ قال: فأخبرني الوليد بن مُسْلم، عن عبدالله بن لَهِيَعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: ثم غزوة عمرو بن العاص بذات السلاسل من مشارف الشام، بعثه رسول الله ﷺ في بَليّ وهم أخوال العاص بن وائل، وبعثه رسول الله ﷺ فيمن يليهم من قُضاعة وأمّره عليهم، فخاف عمرو من جانبه الذي هو به، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمدّه فلمّا قدم رسول [عمرو على رسول الله] ﷺ يستمده ندب له المهاجرين. فانتدب أبو بكر وعمر في سَرَاةٍ من المهاجرين وأمّر عليهم أبا عُبيدة بن الجرّاح ثم أمدّ بهم عمرو بن العاص، وعمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قُضاعة فلمّا قدم مَدَد رسول الله ﷺ من المهاجرين الأوّلين وأميرهم أبو عبيدة بن عبدالله بن الجرّاح. قال عمرو: أنا الأمير وإنّما أرْسلتُ إلى رسول الله ﷺ أستمدّه، فأمدّني بكم. قال المهاجرون: أنت أمير أصحابك وأبو عُبيدة أمير المهاجرين. فقال عمرو: إنّما أنتم [مددٌ أ] مددت به فأنا الأمير. فلما رأى أبو عبيدة ذلك، وكان رجلاً حسن الخُلُق لين الشيمة. قال: إن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «**إذا قدمْت على صاحبك فتطاوعا**» [٤٢٤] وإنك والله إن عَصَيتني لأطيعنّك فسلّم أبو عُبيدة لعمرو بن العاص.

قال ابن عائذ فأخبرني الوليد بن مسلم، نا عبدالله بن لَهِيَعة، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزّهري قال: بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى كَلْب وغسّان وكفار العَرب الذين كانوا بمشارف الشام، وأمّر على أحد البعثين أبا عُبيدة بن الجرّاح وأمّر على البعث الآخر عمرو بن العاص، فانتدب في بعث أبي عُبيدة أبو بكر وعمر. فلمّا كان عند خروج البعث دَعا رسول الله ﷺ أبا عبيدة وعمراً فقال: «**لا تعصيا**» فلمّا فصلا من المدينة خلا أبو عبيدة بعمروٍ فقال له: إن رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليك على أن لا تعاصيا، فإمّا أن تطيعني وإمّا أن أطيعك. قال: لا بل أطعني فأطاع أبو عبيدة وكان عمرو أميراً على البعثين كليهما. فوجد عمر من ذلك، وقال أتطيع ابن النابغة وتؤمّره على نفسك وعلى أبي بكر وعلينا. ما هذا الرأي؟ فقال أبو عُبيدة لعمر: يا ابن أمّ، إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليه أن لا نتعاصيا، فخشيت إن لم أُطِعْه أن أعصي رسول الله ﷺ ويدخل بيني وبينه الناس. وإنّي والله لأطيعنّه حتى أقفل. فلمّا قفلوا كلم عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ وشكى إليه ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**لن أؤمر عليكم بَعْدَها إلّا منكم**» [٤٢٥] يريد المهاجرين. فكانت تلك غزوة ذات

السلاسل أسر فيها ناس كثير من العرب.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُرَاوي، أنا أبو بكر البيهقي(١)، أنا أبو عبدالله الحافظ، أنا أبو جعفر البغدادي، نا أبو عُلَاثة محمد بن عمرو بن خالد، نا أبي، نا ابن لَهْيَعة، نا أبو الأسود، عن عُروة ح.

قال: وأنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن عتّاب العبدي، نا القاسم بن عبدالله بن المغيرة، نا ابن أبي أويس، نا إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبَة، عن عمّه موسى ابن عُقبة قالا: ثم غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من مشارِف الشام بَليّ وسعد الله ومن يليهم من قُضَاعة، وفي رواية عُروة بعثه رسول الله ﷺ في بَليّ وهم أخوال العاص بن وائل وبعثه فيمن يليهم من قُضاعة وأمّره عليهم.

قال موسى: فخاف عمرو بن العاص من جانبه الذي هو به فبعث إلى النبي ﷺ يستمدّه فندب النبي ﷺ المهاجرين الأوّلين فانتدب فيهم أبو بكر وعمر بن الخطّاب في سراة المهاجرين وأمّر عليهم أبا عُبيدة بن الجرّاح فأمدّ بهم عمرو بن العاص.

قال عُروة: وعمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قُضاعة.

قال موسى: فلمّا قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلتُ إلى النبي ﷺ استمدّه بكم، قال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عُبيدة أمير المهاجرين. فقال عمرو: إنّما أنتم مددٌ أُمددته فلمّا رأى ذلك أبو عُبيدة وكان رجلاً حسن الخُلُق، لين الشّيمة يتبعي والصواب متبع لأمر رسول الله ﷺ وعهده، قال: تعلم يا عمرو إن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «**إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا**»[٤٢٦] وإنك إن عصيتني لأطيعنّك، فسلم أبو عُبيدة الإمارة لعمرو بن العاص.

قال البيهقي: لفظ حديث موسى بن عُقبة وفي حديث عُروة بمعناه.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصين، أنا أبو علي بن المذهب ح.

وأخْبَرَنا أبو علي الحسن بن المُظفّر بن الحسن بن السبط، أنا أبو محمد الجوهري قالا: أنا أبو بكر القطيعي، نا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي(٢)، نا محمد بن أبي عَدي، عن داود، عن عامر قال: بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل فاستعمل أبا عُبَيدة على المهاجرين، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب. فقال لهما: **تطاوعا**[٤٢٧]. قال: فكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر فانطلق عمرو فأغار على قُضاعة لأن بكراً أخواله. قال فانطلق المغيرة بن شعبة ابي عُبيدة فقال: إن رسول الله ﷺ استعملك علينا وأن ابن فلان قد ارتبع أمر القوم وليس لك معه أمر. فقال أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع. فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو.

والصواب على بَليّ كما تقدّم.

---

(١) دلائل النبوّة للبيهقي: ٣ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٢) مسند أحمد: ١ / ١٩٦.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفرَاوي، أنا أبو بكر البيهقي[١]، أنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: نا أبو العبّاس محمد بن يعقوب، نا يحيى بن أبي طالب، أنا علي بن عاصم، أنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بَعثني رسول الله ﷺ على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبو بكر وعمر فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلّا لمنزلةٍ لي عنده، قال: فأتيته حتّى قعدت بين يديه. وقلت: يا رسول الله من أحبّ الناس إليك ؟ قال: **«عائشة»** قلت: إنّي لست أسأل لك عن أهلك قال: **«فأبوها»** قلت: ثم من ؟ قال: **«ثم عمر»**[٤٢٨] قلت: ثم من ؟ حتّى عدّ رهطاً [قال:] قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا.

أخْبَرَتنا أم الُمجتبى فاطمة بنت ناصر العَلوية، قالت: قريء على أبي القاسم إبراهيم بن منصور السُّلمي، أنا محمد بن إبراهيم بن المقريء، أنا أحمد بن علي بن المثنى، نا الحسن بن حمّاد الحضرمي سجادة، نا يحيى بن سعيد الأموي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه في ذات السلاسل. فسأله أصحابه أن يأذن لهم أن يوقدوا ناراً ليلاً فمنعهم، فكلّموا أبا بكر فكلّمه في ذلك فأباه فقال: قد أرسلوك إليّ لا يوقد أحد منهم ناراً إلّا ألقيته فيها. قال: فلقوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم. فلمّا انصرف ذلك الجيش ذكر ذلك للنبي ﷺ وشكوه إليه. فقال: يا رسول الله إنّي كرهت أن آذن لهم أن يُوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قلّتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فأحمد رسول الله ﷺ أمره فقال: يا رسول الله من أحبّ الناس إليك ؟ قال: **«لِمَ ؟»** قال: لأحب من تحبّ. قال: **«عائشة»** قال: من الرجال ؟ قال: **«أبو بكر»**[٤٢٩].

---

(١) دلائل النبوّة للبيهقي: ٤ / ٤٠٠.

باب
غزاة النبي ﷺ تبوك بنفسه
وذكر مكاتبته ومراسلته الملوك

أَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، نا أبو محمّد عبد العزيز بن أحمد الكتاني، نا أبو محمد عبد الرّحمن بن عثمان بن أبي نصر، وأبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن الجَنَدي، قالا: نا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم القُرَشي، نا محمد بن عايذ، أخبرني محمد بن شعيب، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه عَطاء الخُراساني، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: لبث رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف ستّة أشهر، ثم أُمر بغزوة تبوك. وهي التي ذكر الله ساعة العسرة في حرّ شديد، وقد كثر النفاق وكثر أصحاب الصفة، والصفة بيت كان لأهْل الفاقة يجتمعون فيه فتأتيهم صَدقة النبي ﷺ والمسلمين، وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرّجل الرجلَ أو ماشاء الله يشبعه. فجهزوهم وغزوا معهم واحتسبوا عليهم. فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحسبة، فانفقوا احتساباً، وأنفق رجال غير محتسبين، وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقي أناس. وأفضل ما تصدّق به يومئذ [أحد] عبد الرّحمن بن عوف تصدّق بمائتي أوقية، وتصدّق عمر بن الخطاب بمائة أوقية، وتصدّق عاصم الأنصاري بتسعين وسقاً[(١)] من تمر. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إنّي لا أرى عبد الرّحمن إلّا قد اخترب، ما ترك لأهْله شيئاً. فسأله رسول الله ﷺ: «**هل تركت لأهْلك شيئاً ؟**» [٤٣٠] قال: نعم، أكثر ممَ أنفقته وما طيب. قال: «**كم ؟**» قال: ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير. وجاء رجل من الأنصار يقال له أبو عقيل بصاع من تمرٍ فتصدّق.

وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات، فإذاكانت صَدقة الرجل كثيرة تغامزوا به، وقالوا: مرائي، وإذا تصدّق الرجل بيسير من طاقته تمر، قالوا: هذا أحوج إلى ما جاء به. فلمّا جاء أبو عقيل بصاعه من تمر قال: بت ليلتي آجرّ بالخرير[(٢)] على صاعين، والله ماكان عندي من شيء غيره وهو يعتذر هو يستحي. فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي. فقال المنافقون: هذا أفقر إلى صاعه من غيره. وهم في ذلك ينتظرون يُصيبون من الصّدقات غنيّهم وفقيرهم. فلمّا أزف خروج رسول الله ﷺ أكثروا الاستئذان وشكوا شدّة الحرّ، وخافوا، زعموا، الفتنة إن غزوا ويحلفون بالله على الكذب. فجعل رسول الله ﷺ يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم. وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به

---

(١) الوسق: ستّون صاعاً، أو حمل بعير (قاموس: وسق).

(٢) في مختصر ابن منظور: «بالجرير» وهو حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة.

الفاسق أبا عامر، وهو عند هرقل قد لحق به وكِنَانة بن عبد ياليل، وعَلْقَمة بن عُلَاثة العامري. وسورة براءة تنزل في ذلك إرسالاً. ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعدٍ. فلمّا أنزل الله عزّوجلّ: ﴿**انفِرُوا خِفَافاً وثِقالاً**﴾(١) اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله، والمريض والفقير إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: هذا أمر لا رخصة فيه. وفي المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك. وتخلّف رجال غير مستيقنين، ولا ذوي علّة. ونزلت هذه السورة بالتبيان والتفصيل في شأن رسول الله ﷺ [ينظر هنا] بمن اتبعه حتى بلغ تبوك، فبعث منها علقمة بن مُجَزّز المُدْلِجي إلى فلسطين، وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فقال: أسرع لعلّك أن تجده خارجاً يتقنص فتأخذه، فوجَده فأخذه وأرجف المنافقون في المدينة بكل خبرٍ سوء، فإذا بلغهم أن المسلمين أصابهم جهد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا: قد كنّا نعلم ذلك ونحذّر منه، وإذا أُخبروا بسلامة منهم وخير أصابوه حزنوا. وعرف ذلك منهم كل عدوّ لهم بالمدينة فلم يبقَ أحد من المنافقين أعرابي ولا غيره إلّا استخف بعملٍ خبيثٍ، ومنزلةٍ خبيثةٍ واسْتعلن، ولم يبقَ ذو علّة إلّا هو ينتظر الفرج فيما ينزل الله في كتابه. ولم تزل سورة براءة تنزل حتى ظنّ المؤمنون الظنون، وأشفقوا أن لا تفلت منهم كبير أحد أذنب في شأن التوبة قط ذنباً إلّا أنزل فيه أمر بلاء، حتّى انقضت وقد وقع كل عامل تبيان منزله من الهُدى والضلالة(٢).

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلّص، أنا رضوان ابن أحمد ـ إجازة ـ نا أحمد بن عبد الجبّار، نا يونس، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري، عن الزُّهري أن قائد كعب بن مالك الذي كان يقود به حين عمي حدثه قال: حدثني كعب بن مالك عن رسول الله ﷺ إنه كان إذا أراد المسير في الغزاة أذن في المسلمين بالجهاز وكتمهم أين يجاهدون مكيدة للعدو. وما كان رسول الله ﷺ يؤذن بالجهاز إلّا وعندي بعير فأقوى به على الخروج معه. حتى كانت تبوك فكانت في حر شديد وحين أقبلت الثمرة. فأذن رسول الله ﷺ بالجهاز إلى تبوك وبيّنها للمسلمين. ووافق ذلك عندي بعيرين، فرأيت أني قوي على الخروج، فتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون، وأغدُو أنا لأتجهّز فوالله لكأنّما أربط فأرجع وما قطعت شعرة وعندي بعيران، وأنا أرى أني قوي على الخروج إذا أردت. فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون. ثم ذهبت أتحرا فإذا أنا أرى رجلاً تخلّف إلّا رجلاً مغموصاً عليه في دينه. غير أني قد رأيت رجلين من الأنصار صحيحين كدت أسكن إليهما: هلال بن أمية الواقفي، ومرارة العَمْري. حتى إذا أيست من الخروج قلت: اعتذر إلى رسول الله ﷺ إذا رجع.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ١٦٠.

قال: ونا يونس، قال: قال ابن إسحاق[١]: ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الخميس واسْتَخلف على المدينة محمد بن مَسْلَمة الأنصاري فلمّا خرج رسول الله ﷺ ضرب عَسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس، وضرب عبدالله بن أبيّ عدوّ الله على ذي حدةٍ عسكراً أسفل منه نحواً من كذا وكذا، وما كان فيها يزعمون بأقل العَسكرين. فلمّا سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبدالله بن أبيّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب. وخلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلّا استثقالاً له وتخففاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب سلاحه، ثم خرج حتّى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف فقال: يا رسول الله زعم المنافقون أنك إنّما خلّفتني تستثقلني وتخفّف منّي، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبوا ولكنّي خلّفتك لما تركت ورائي فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك، ألا ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي**»[٤٣١] فرجع إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ لسفره.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، حدّثني أبي، نا عبد الرَّزّاق، نا مَعْمَر عن الزّهري، عن عبدالرّحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، حتى كانت غزوة تبوك إلّا بدراً. ولم يُعاتب النبي ﷺ أحداً تخلّف عن بدر، إنّما خرج يريد العير فخرجت قريش مُغْوِثين لغيرهم فالتقوا عن غير موعد كما قال الله عزّوجلّ. ولعمري إنّ أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر، وما كنت أحبّ أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العَقَبة حيث توافقنا على الإسلام. ولم أتخلّف بعد عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها. فأذن رسول الله ﷺ للناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة عدوّهم، وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار، فكان قلّ ما أراد غزوة إلّا ورّى غيرها.

وقال يعقوب عن ابن أخي ابن شهاب: إلّا ورّى بغيرها.

حدّثناه أبو سفيان، عن مَعْمَر، عن الزّهري، عن عبد الرّحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، عن أبيه وقال فيه ورَا غيرها ثم رجع إلى حديث عبدالرّزّاق.

وكان يقول: الحرب خدعة. فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهّب الناس أهبته. وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين. وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ[٢] وأنا في ذلك أصغو إلى الظلال وطيب الثمار. فلم أزل كذلك حتى قام النبي ﷺ غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس، وكان يحبّ أن يخرج يوم الخميس.

---

(١) سيرة ابن هشام: ٤ / ١٣٢.

(٢) أي خفيف الظهر من العيال (النهاية: حوذ).

أَخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، وأبو نصر محمد ابن هارون، قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، نا أحمد بن إبراهيم القرشي، نا ابن عايذ، أنا الوليد بن محمد، عن محمد بن مسلم الزّهري، أنه أخبره قال: ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وهو يريد الروم وكفار العرب بالشام. حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذْرُح(١) وَوَفد أيْلة(٢) فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية، ثم قفل رسول الله ﷺ من تبوك ولم يُجاوزها.

أَخْبَرَنا أبو عبدالله الفُرَاوي، أنا أبو بكر البيهقي(٣)، أنا أبو عبدالله الحافظ، نا أبو العبّاس محمد ابن يعقوب، نا أحمد بن عبد الجبّار، نا يونس بن بُكَير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر بالتهيّؤ إلى غزو الروم.

أَخْبَرَنا أبو عبدالله، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ، نا أبو العبّاس، نا أحمد، نا يونس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم: أن رسول الله ﷺ قلّ ما كان يخرج في وجه من مغازيه إلّا أظهر أنه يريد غيره، غيرَ أنه في غزوة تبوك قال: أيّها الناس إنّي أريد الروم، فأعلمهم وذلك في زمان من البأس، وشدّة من الحرّ، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها، فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في جهَازه إذ قال للجدِّ بن قيس: يا جَدّ هل لك في بنات بني الأصفر؟ قال: يا رسول الله لقد علم قومي أنه ليس من أحد أشدّ عُجْباً بالنساء منّي، وإنّي أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتنني، فأْذن لي يا رسول الله. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**قد أذنت**» [٤٣٢] فأنزل الله تعالى: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألَا في الفتنة سقطوا**﴾(٤) يقول ما وقع فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن نفسه أعظم ممّا يخاف من فتنة نساء بني الأصفر، وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين. يقول لمن وراءه. وقال رجل من حملة المنافقين: لا تنفروا في الحرّ، فأنزل الله عزّوجلّ ﴿**قلْ نار جهنّم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون**﴾(٥) قال: ثم أن رسول الله ﷺ جدّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنا على النفقة والحُملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنا وأحسنوا وأنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، وحمل على مائتي بعير(٦).

---

(١) أذرح بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء (ياقوت).

(٢) أيلة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام (ياقوت).

(٣) دلائل النبوّة للبيهقي: ٥ / ٢١٢ وما بعدها. وسيرة ابن هشام: ٤ / ١٢٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٩. (٥) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٦) دلائل النبوة: ٥ / ٢١٢.

أَخْبَرَنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيُّويه، نا عبدالوهاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع، نا محمد بن عمر[1]، نا عمر بن عثمان بن عبد الرّحمن بن سعيد، وعبدالله بن جعفر الزُّهري، ومحمد بن يحيى، وابن أبي حبيبة، وربيعة بن عثمان، وعبد الرّحمن بن عبد العزيز بن أبي قَتادة، وعبدالله بن عبد الرّحمن الجُمَحي، وعمر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وموسى ابن محمد بن إبراهيم، وعبد الحميد بن جعفر، وأبو مَعْشَر، ويعقوب بن محمد بن أبي صَعْصَعة، وابن أبي سَبْرَة، وأيّوب بن النعمان، فكلّ قد حدّثني بطائفة من حديث تَبوك، وبعضهم أوعى له من بعض، وغير هؤلاء قد حدّثني ممّن لم أسمّ، ثقات، وقد كتبت كلّ ما حدّثوني.

قالوا: كانت الطائفة [2] ـ وهم الأنباط ـ يقدمون المدينة بالدَّرْمَك[3] والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام، فإنّما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم؛ لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت منهم قادمة فذكروا أنّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رَزَق أصحابه لسنة، وأجْلبت معه لَخْم وَجُذَام وغسّان وعاملة. وزحفوا وقدّموا مقدّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها. وتخلّف هرقل بحمص. ولم يكن ذلك. إنّما ذلك شيء قيل لهم قالوه. ولم يكن عدوّ أخوف عند المسلمين منهم، وذلك لما عاينوا منهم ـ إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً ـ من العُدَد والعُدّة والكُراع. وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلّا وَرّى بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سَفراً بعيداً، واستقبل غزواً وعَدداً كثيراً، فجلّى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة عدوّهم، وأخبرهم بالوجه الذي يريد. وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل وإلى مكّة يستنفرهم إلى عدوّهم. فبعث إلى أسلم بُرَيدة بن الحُصَيب وأمره أن يبلغ الفُرْع، وبعث أبا زهم الغِفاري إلى قومه أن يطلبهم ببلادهم، وخرج أبو واقد الليثي في قومه، وخرج أبو جَعْد الضَّمْري في قومه بالسّاحل، وبعث رافع بن مَكيث، وجُنْدَب بن مَكيث في جُهينة، وبعث نُعيم بن مسعود في أشجع، وبعث في بني كعب بن عمرو عدة: بُدَيل بن ورقاء، وعمرو بن سالم، وبشر بن سفيان. وبعث في سُليم عدة: منهم العبّاس بن مِرداس. وحض رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه، وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة، فكان أوّل من حمل أبو بكر الصّديق، جاء بماله كلّه أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: **هل أبقيت**

---

(١) مغازي الواقدي: ٣ / ٩٨٩.

(٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ١٦٣ «الضافطة» وهي الأقرب أي الذين يجلبون المبرة والمتاع إلى المدن، أو المكاري الذي يكري الأحمال، وكانوا في تلك الأيام من الأقباط (انظر النهاية: ضفط) وفي القاموس: هم رذال الناس.

(٣) الدرمك: دقيق الحُوّارى.

لأهلك شيئاً؟ قال: الله ورسوله أعلم، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ: **هل أبقيت شيئاً**؟ قال: نعم، نصف ما جئت به. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر الصّديق فقال: ما استبقنا إلى خير قطّ إلّا سَبقتني إليه. وحمل العبّاس بن عبد المطّلب إلى رسول الله ﷺ مالاً. وحمل طلحة بن عُبيد الله إلى النبي ﷺ مالاً، وحمل عبد الرّحمن بن عوف إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عُبادة إليه مالاً، وحمل محمد بن مَسْلَمة إليه مالاً. وتصدّق عاصم بن عَدي بتسعين وسقاً تمراً، وجهز عثمان بن عفّان ثُلُث ذلك الجيش، وكان من أكثرهم نفقة، حتّى كفى ثلث ذلك الجيش مؤنتهم حتى إن كان ليقال: ما بقيت لهم حاجة، حتى كفاهم شُنُق[١] أسْقيتهم فيقال: إنّ رسول الله ﷺ قال يومئذ: **ما يضرّ عثمان ما فعل بعد هذا.**

ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف، واحتسبوا في ذلك الخير، وقوّى ناس دون هؤلاء من هو أضعف منهم، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج. حتّى إن كنّ النساء ليعنّ بكل ما قدرن عليه.

لقد قالت أم سنان الأسْلمية: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة فيه مَسَك[٢] ومعاضد وخلاخل وأقرطة وخواتيم وخدمات، ممّا يبعث به النساء يعنّ به المسلمين في جهازهم. والناس في عُسْرةٍ شديدةٍ، وحين طابت الثمار وأحبت الظلال، فالناس يحبّون المقام، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وأخذ رسول الله ﷺ الناس بالانكماش والجدّ، وضرب رسول الله ﷺ عَسْكره بثنية الوداع، والناس كثير لا يجمعهم كتاب، قلّ رجلٌ يريد أن يتغيب إلّا ظنّ أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عزّوجلّ.

فلمّا[٣] استمر برسول الله ﷺ سفره، وأجمع المسير استخلف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطة الغفاري ويقال محمد بن مسْلَمة لم يتخلّف عنه في غزوة غيرها، ويقال ابن أمّ مكتوم، وأثبتهم عندنا محمد بن مَسْلَمة وقال رسول الله ﷺ: **«استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعلاً» [٤٣٣]**. فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف ابن أُبيّ عن رسول الله ﷺ فيمن تخلّف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحرّ والبلد البعيد، إلى ما لا قبل له به يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب؟ ونافق من هو معه على مثل رأيه. ثم قال ابن أُبيّ: والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الجبال، إرجافاً برسول الله ﷺ وأصحابه.

---

(١) شنق جمع شناق، وهو الخيط أو السير الذي تعلّق به القربة. والخيط الذي يشدّ به فمها (النهاية: شنق).

(٢) المسك الأسورة والخلاخيل، واحدته مسكة والمعاضد: الدمالج لأنه على العضد يكون، واحدته معضدة ومعضد. والخلاخل: الحلي. والخدمات واحدتها خدمة، وهي الخلخال.

(٣) الواقدي: ٣ / ٩٩٥.

فلمّا رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ورايته العظمى إلى الزبير، ودفع راية الأوس إلى أُسيد بن الحُضَير، ولواء الخزرج إلى أبي دُجانة، ويقال إلى الحبّاب بن المُنذر بن الجَموح.

قال: ومضى[١] رسول الله ﷺ من المدينة فصبّح ذا خُشُب[٢] فنزل تحت الدَّومة، وكان دليله إلى تبوك عَلْقَمة بن الفَغْواء الخُزاعي. فقام رسول الله ﷺ تحت الدَّوْمة فراح منها مُمسياً حيث أبرد،وكان في حر شديد.

قالوا: وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فرس، وأمر رسول الله ﷺ كلّ بطنٍ من الأنصار أنْ يتّخذ لواء أو راية، والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية. وكان رسول الله ﷺ قد دفع راية بني مالك بن النجار إلى عُمارة بن حزم: فأدرك رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فأعطاه الراية. قال عُمارة: يا رسول الله لعلّك وجدت عَليّ قال: **«لا والله، ولكن قدّموا القرآن، وكان زيد أكثر أخذاً للقرآن منك، والقرآن يقدم. وإن كان عبداً أسود مُجدّعاً»** [٤٣٤] وأمَر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن. وكان أبو زيد يحمل راية بني عمرو بن عوف، وكان مُعاذ بن جبل يحمل راية بني سَلِمة.

قال[٣]: وكان هرقل قد بعث رجُلاً من غسّان إلى النبي ﷺ ينظر إلى صفته وإلى علاماته، إلى حمرة في عينيه، وإلى خاتم النبوّة بين كتفيه، وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة، فوعى أشياء من حال النبي ﷺ، ثم انصرف إلى هرقل يذكر ذلك له. فدعا قومه إلى التصديق [به] فأبوا حتّى خافهم على ملكه، وهو في موضعه لم يتحرّك ولم يزحف. وكان الذي خُبّر النبي ﷺ من بعثته أصحابه ودنوّه إلى أدنى الشام باطل، لم يُرد ذلك ولم يهمّ به. وشاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم. فقال عمر ابن الخطّاب: إن كنت أُمرتَ بالسير فسرْ. قال رسول الله ﷺ: لو أُمرت به ما استشرتكم فيه. قال: يا رسول الله فإن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الشام وقد دنوت منهم حيث تَرَى، وقد أفزعهم دُنُوك، فلو رجعت هذه السنة حتّى ترى، أو يحدث الله تعالى لك في ذلك أمراً.

أَخْبَرَنا أبو المظفر عبد المنعم بن الأستاذ أبي القاسم القُشيري وأبو محمد هبة الله بن سَهْل بن عمر السَيّدي، قالا: أنا أبو سعيد بن محمد، أنا زاهر بن أحمد، أنا إبراهيم بن عبدالصّمد، نا أبو مُصْعَب، نا مالك، عن أبي الزبير المكي، عن أبي الطّفَيل عامر بن واثلة أن مُعاذ بن جَبَل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء. قال: فأخّر الصلاة يوماً، ثم خرج فصَلّى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج

(١) مغازي الواقدي: ٣ / ٩٩٩.

(٢) وادٍ على مسير ليلة من المدينة (معجم البلدان).

(٣) الواقدي: ٣ / ١٠١٨ بتفاوت.

فصلّى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال: «**إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنّكم لن تأتوها حتّى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتّى آتي**»[١] قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئاً؟**» قالا: نعم، فسبّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك يا مُعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلىء جناناً**» [٤٣٥] (٢).

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلّص، أنا رضوان ابن أحمد ـ إجازة ـ نا أحمد بن عبد الجبّار، نا يونس بن بُكَير، عن المبارك بن فَضَالة، عن الحسن أنه قال: آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ تبوك.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، نا سريج بن يونس بن كِنانة، نا عبّاد بن عبّاد يعني المُهَلّبي، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم[٣]، عن سعيد بن أبي راشد مولىً لآل معاوية قال: قدمت الشام، فقيل لي: في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ قال: فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير، فقلت له: أنت رسول [قيصر إلى رسول] الله ﷺ قال: نعم قال: فقلت: حدّثني عن ذلك. قال: إنّه لما غزا تبوكاً [كتب] إلى قيصر كتاباً وبَعثَ به مع رجل يقال له دِحْية بن خَليفة. فلمّا قرأ كتابه وضعه معه على سريره، وبعث إلى بطارقته ورؤوس أصحابه فقال: إنّ هذا الرجل بعث إليكم رسولاً، وكتب إليكم كتاباً يخبركم إحدى ثلاث: إمّا أن تتبعوه على دينه، أو تُقرّوا له بخَراج يجرى له عليكم، ويقرّكم على هيئتكم في بلادكم، أو أن تلقوا إليه بالحرب. قال: فنخروا[٤] نَخْرَةً حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا: لا نتبعه على دينه، وندع ديننا ودين آبائنا، ولا نقرّ له بخراج يجري علينا، ولكن نُلقي إليه الحرب. فقال: قد كان ذلك ولكني كرهت أن أفتات دونكم بأمرٍ. قال عباد: فقلت لابن خُثَيم: أوَليس قد كان قارب وهمّ بالإسلام فيما بلغنا؟ قال: بلى، لولا أنه رأى منهم. قال: فقال: أبغوني رجلاً من العرب أكتب معه إليه جواب كتابه. قال: فأتيتُ وأنا شاب فانطُلِق بي إليه، فكتب جوابه وقال لي: مهما نسيت من شيء فاحفظ عنّي ثلاث خلال: انظر إذا هو قرأ كتابي هذا، هل يذكر الليل والنهار، وهل

(١) صحيح مسلم، الفضائل، ح٧٠٦.
(٢) صحيح مسلم، الفضائل، ح٧٠٦.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ٧٤ ـ ٧٥.

(٤) نخروا: تكلّموا، بكلام فيه غضب ونفور، بمعنى أنهم أظهروا عدم موافقتهم على ما سمعوا (النهاية واللسان).

يذكر كتابه إليّ، وانظر هل ترى في ظهره علماً؟ قال: فأقبلت حتى أتيته وهو بتبوك في حلقة من أصحابه منتحين فسألت فأُخبرت به. فدفعت إليه الكتاب، فدعا معاوية فقرأ عليه الكتاب. فلمّا أتى على قوله: دعوتني إلى جنة عرضها السّمَاوات والأرض، فأين النار؟ قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء الليل فأين النهار**»؟ قال: فقال: «**إني قد كتبت إلى النجاشي فحرقه، فحرقه الله محرّق الملك**». فقال عباد: فقلت لابن خُثَيم: أليس قد أسْلم النجاشي ونعاه رسول الله ﷺ بالمدينة إلى أصحابه فصلّى عليه؟ قال: بلى، ذلك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان، قد ذكرهما ابن خُثَيم جميعاً ونسيتهما. «**وكتبت إلى كسرى كتاباً فمزّقه فمزّقه الله ممزق الملك. وكتبتُ إلى قيصر كتاباً فأجابني فيه، فلن يزال الناس يخشون**[1] **منهم بأساً ما كان في العيش خير**» ثم قال لي: «**ممّن أنت؟**» قلت: من تَنوخ قال: «**يا أخا تنوخ هل لك في الإسلام؟**» قلت: لا، إني أقبلتُ من قِبل قوم وأنا فيهم على دين، ولست مستبدلاً بدينهم حتى أرجع إليهم. قال: فضحك رسول الله ﷺ أو تبسم فلما قضيتُ حاجتي قمت فلما ولّيت دعاني، فقال: «**يا أخا تَنُوح هَلم فامض للذي أمرت به**» قال: وكنت نسيتها فاستدرت من وراء الحلقة وألقى بردة كانت عليه عن ظهره، فرأيت على غضروف كتفه مثل المحجم الضخم [٤٣٦].

وأخْبَرَنا أبو المُظفّر عبد المنعم بن القُشيري، نا أبو سعد الجَنْزَرُودي، أنا أبو عمرو بن حمدان ح.

وأخْبَرَتنا أم الُمجتبى فاطمة بنت ناصر قالت: قُرِيء على إبراهيم بن منصور، أخبركم أبو بكر ابن المقريء، قالا: أنا أبو يَعْلَى المَوْصلي، نا حَوْثرة بن أشْرَس، نا حمّاد بن سلمة، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم، عن سعيد بن أبي راشد، قال: كان رسول قيصر جاراً لي في ـ وقال ابن المقريء جاء إليّ وقالا: ـ زمن يزيد بن معاوية. فقلت له: أخبرني عن كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر. فقال: إنّ رسول الله ﷺ أرسل دِحْية الكلبي إلى قيصر وكتب معه كتاباً يُخَيّره بين إحدى ثلاث: إما أن يُسلم وله ما في يديه ـ وقال ابن حمدان: يده ـ من ملكه، وقال: وإمّا أن يؤدّي الخَراج، وإمّا أن يأذن بحرب. قال: فجمع قيصر بطارقته وقسّيسيه في قصره وأغلق عليهم الباب وقال: إنّ محمّداً كتب إليّ يُخَيّرني بين إحدى ثلاث. إمّا أن أُسلم ولي ما في يدي من ملكي، وإمّا أن أؤدّي الخَراج، وإمّا أن آذن بحرب. وقد تجدون فيما تقرؤون من كتبكم أنه سيملك ما تحت قدميّ من ملكي، فنخروا نخرةً حتى أن بعضهم خرجوا من برانسهم وقالوا: ترسل إلى رجل من العرب جاء في بُردته ونعله بالخراج؟ فقال: اسكتوا، إنّما أردت أن أعلم تمسككم بدينكم ورغبتكم فيه. ثم قال: ابتغوا لي رجلاً ـ زاد ابن حمدان: من العرب، وقالا ـ فجاؤوا بي، فكتب معي إلى النبي ﷺ كتاباً وقال لي:

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ٧٥.

انظر ما سقط عنك من قوله فلا يسقطنّ عنك ـ وقال ابن حمدان: يسقط عنك ـ ذكر الليل والنهار، فأتيت رسول الله ﷺ وهو مع أصحابه وهم محتبون بحمائل سيوفهم حول بئر تبوك، قلت: أيّكم محمّد، فأومأ بيده إلى نفسه فرفعت ـ وقال ابن المقريء: فدفعت ـ إليه الكتاب، فدفعه إلى رجل إلى جنبه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: معاوية بن أبي سفيان، فقرأه فإذا فيه: كتبتَ تدعُوني إلى جنّة عَرضها السّموات والأرض فأين النار؟ ـ زاد ابن حمدان: إذاً، وقالا: ـ فقال رسول الله ﷺ: «**يا سبحان الله إذا جاء الليل فأين النهار**» فكتبته عندي ثم قال ـ زاد ابن المقريء رسول الله ﷺ، وقالا ـ: **إنك رسول قوم، وإن لك حقّاً، لكن جئتنا ونحن مُرْمِلون**» فقال عثمان بن عفان: أنا أكسوه ـ وقال ابن حمدان: قال عثمان: اكسوه ـ حلة صفُورية[1] فقال رجل من الأنصار عليّ ضيافته، فقال لي قيصر فيما قال: انظر إلى ظهره. فرأى رسول الله ﷺ أني أريد النظر إلى ظهره فألقى ثوبه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم في بعض الكتف. فأقبلت عليه أقبّله، ثم قال ـ زاد ابن المقريء: رسول الله ﷺ ـ **إنّي كتبت إلى النجاشي فأحرق كتابي، والله محرقه. وكتبت إلى كسرى عظيم فارس فمزّق كتابي والله ممزقه** ـ وقال ابن حمدان يمزقه ـ **وكتبت إلى قيصر فرفع كتابي فلا يزال في الناس ما كان في العيش خير** ـ فقال ابن حمدان: فلا يزال ـ الناس ذكر كلمة ـ ما كان في العيش خير ـ

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن الحصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، نا أبو عامر حَوْثَرة بن أشرس، أملاه علي، أخبرني حمّاد بن سلمة، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم، عن سعيد بن أبي راشد قال: كان رسول قيصر جاراً لي زمن يزيد بن معاوية، فقلت له: أخبرني عن كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر فقال: إنّ رسول الله ﷺ أرسل دِحْية الكلبي إلى قيصر وكتب معه إليه كتاباً. فذكر نحو حديث عبّاد بن عبّاد، وحديث عبّاد أتمّ وأحسن اقتصاصاً للحديث ـ وزاد قال: فضحك رسول الله ﷺ ـ يعني ـ حين دعاه إلى الاسلام، فأبى أن يسلم. وتلا هذه الآية ﴿**إنّك لا تَهْدي من أحببتَ ولكنّ اللهَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ**﴾[2] ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنك رسول قوم، وإنّ لك حقّاً، ولكن جئتنا ونحن مُرْمِلون**» [٤٣٧][3] فقال عثمان بن عفان: أنا أكسوه حلة صفُورية وقال رجل من الأنصار: عليّ ضيافته.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُرَاوي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ، نا أبو العباس محمد بن يعقوب ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا محمد بن عبد الرّحمن الذهبي المُخَلّص، أنا رضوان بن محمد، قراءة عليه، قالا: أنا أحمد بن عبدالجبّار، نا يونس، عن ابن

---

(١) الصفورية: جنس من الثياب (تاج العروس). (٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٣) مسند أحمد، مسند المدنيين، ح١٦٢٥٢.

إسحاق، قال: فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤْبة صاحب أيلة[١] فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرْبَاء[٢] وأذْرُح فأعطوه الجزية، وكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً فهو عندهم، فكتب ليُحَنَّة بن رُؤْبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا أمنة من الله ومحمّد النبي ورسوله ليُحَنّة بن رُؤْبة وأهل أيْلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنّه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بَرٍّ أو بحر. هذا كتاب جُهَيم بن الصّلْت وشُرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وكتب لأهل جَرْباء وأذْرُح: بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد رسول الله النبي ﷺ لأهل أذْرُح. أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمّدٍ وأنّ عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة. وذكر باقي الكتاب.

قال: وأعطى رسول الله ﷺ أهل أيْلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراه أبو العباس عبدالله بن محمد بثلاثمائة دينار. ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أُكَيدر دُوْمة.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن أحمد بن العبّاس الدِّيْنَوَري، نا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن الحسن القزويني -إملاء- نا أبو حفص عمر بن محمد بن الزيات، حدّثني عبدالله ابن محمد بن ناجية، نا أبو همّام، حدّثني أبي، قال: سمعت عبيدالله بن إياد بن لقيط السَّدُوسي قال: سمعت أبي يحدث عن قيس بن النعمان السَّكوني قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ فسمع بها أُكَيْدر دومة الجَندل فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغنا أنّ خيلاً انطلقت وإني خفت على أرضي ومَالي فاكتب لي كتاباً لا يعرضوا من شيءٍ لي، فإني مقرّ بالذي عليّ من الحق. فكتب له رسول الله ﷺ. ثم إن أُكَيدر أخرج قباءً من ديباج منسوج ممّا كان كسرى يكسوهم فقال: يا رسول الله اقبل عنّي هذا، فإنّي أهديته لك. فقال له رسول الله ﷺ: «**ترجع بقباك فإنّه ليس يلبس هذا في الدنيا إلّا حَرّمه**» يعني في الآخرة، فرجع به حتى أتى منزله وإنه وجد في نفسه أن يردّ عليه هديته. فقال: يا رسول الله إنّا أهل بيت يشقّ علينا ردّ هديتنا فاقبل منّي هديتي، فقال له رسول الله ﷺ: «**انطلق [فارفعه] إلى عمر بن الخطاب**» قال: وقد كان عمر قد سمع ما قال رسول الله ﷺ

(١) أيلة: بالفتح، مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر.

(٢) جرباء موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، وهي قريبة من منطقة أذرح من البلقاء بينهما ثلاثة أيام، وفي القاموس: أذرح بجنب جربا.

فبكى، ودمعت عيناه، وظن أنه قد لحقه شيءٌ فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أحَدَث فيّ أمر؟ قلت: في هذا القباء ما قلت، ثم بعثت به إليّ، فضحك رسول الله ﷺ حتى وضع يده أو ثوبه على فيه ثم قال: «**ما بعثت به إليك لتلبسه ولكن تبيعُه وتستعين بثمنه**» [٤٣٨] (١).

(١) دلائل النبوة: ٥ / ٢٤٨.

باب
ذكر بعث النبي ﷺ أسامة قبل [الموت]
وأمره إيّاه أن يشن الغارة على مُؤتة ويُبنى وآبل الزيت

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأ أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن سيف بن سعيد، نا أبو عبيدة السّري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر، نا عبدالله بن سعيد بن ثابت بن الجزع الأنصاري، عن عُبَيْد بن حُنَيْن مولى النبي ﷺ، عن أبي مُـوَيْهِبة مـولى رسول الله ﷺ قال[1]: رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجّة التمام، فتحلّل به السيرُ وضرب على الناس بعثاً، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، أمره أن يوطىء آبل الزيت من مشارف الشام بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، ورد عليهم النبي ﷺ: **«إنه لخليق لها، أي حقيق بالإمارة، ولئن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبله، وإنْ كان لها لخـليقاً»** [٤٣٩]. وطـارت الأخـبار لتـحلل السـير بالنبي ﷺ، أن النبي ﷺ قد اشتكا. ووثب الأسود باليمن، ومُسَيلمة باليَمامة. وجاء النبي ﷺ الخبر عنهما، ثم وثب طُلَيحة في بلاد بني أسد بعدما أفاق النبي ﷺ ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه جلّ وعزّ فيه.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا محمد بن عبدالرّحمن، أنا أحمد بن عبدالله بن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف، ثنا طلحة بن الأعلم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ قد ضرب بَعث أسامة ولم يستتب[2] فرجع إليـه النبي ﷺ وأخلع[3] مسيلمة والأسود. وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة حتى بـلغ النـبي ﷺ، فخرج [على الناس] عاصباً رأسه من الصداع لذلك من الشأن ولبشارة أُريها في بيت عائشة وقال: **«إنّي أُريت البارحة ـ فيما يرى النائم ـ في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأوّلتهما هذين الكذابين ـ صاحب اليمامة وصاحب اليمن ـ وقد بَلغني أن أقواماً يقولون في إمرة أسامة ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً لها، وإنه لها لخليق فانفذُوا بعث أُسامة»**. وقال: **«لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»** [٤٤٠].

فخرج أسامة فضرب بالجُرن وأنشأ الناس في العسكرة ونجم طليحة وتمهل الناس وثقل رسول

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ١٨٤ أحداث سنة ١١.

(٢) في مختصر ابن منظور: لم يستتب لوجع النبي ﷺ وانظر تاريخ الطبري: ٣ / ١٨٦.

(٣) في مختصر ابن منظور: «والخلع».

الله ﷺ فلم يستتم الأمر انتظر أوّلهم آخرهم حتى توفّى الله جلّ وعزّ نبيّه ﷺ.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن الحصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، أنا عبدالله بن أحمد، حدّثني أبي، نا وكيع، حدّثني صالح بن أبي الأخضر، عن الزُّهري، عن عُروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قرية يقال لها: أُبنى فقال: **«ائتها صباحاً ثم حرّق» [٤٤١]**.

وأَخْبَرَنا أبو سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنا عبد الرّحمن بن أحمد بن الحسن، أنا جعفر بن عبدالله بن يعقوب، نا محمد بن هارون الرُّوياني، نا محمد بن المفتي، نا مُعاذ بن معاذ، نا صالح بن أبي الأخضر، نا الزهري، نا عروة، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى الشام وأمره أن يغير على أُبْنى صباحاً ثم يحرّق.

أَخْبَرَنا أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحّامي، أنا أبو حامد أحمد بن الحسن بن محمد الأزهري، أنا أبو سعيد محمد بن عبدالله بن حمدون، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، أنا محمد بن يحيى الذُّهْلي، ثنا محمد بن عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري، حدّثني صالح بن أبي الأخضر، عن الزّهري، عن عُروة، قال: أخبرني أُسامة بن زيد قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أغير على أُبنى صباحاً ثم أحرق.

رواه أحمد بن حنبل وعبّاد بن موسى الخُتَّلي، عن محمد بن عبدالله الأنصاري أتمّ من هذا.

فأمّا حديث أحمد: فأخبرناه أبو القاسم بن الحصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، حدّثني أبي، نا محمد بن عبدالله بن المثنّى، حدّثني صالح بن أبي الأخضر، نا الزّهري عن عُروة، عن أسامة، أن النبي ﷺ كان وجهه، فقُبض النبي ﷺ. فسأله أبو بكر رضي الله عنه: ما الذي عهد إليك ؟ قال: عهد إليّ أن أغير على أُبنى صباحاً ثم أحرّق.

وأمّا حديث عبّاد: فأَخْبَرَتنا به أمّ الُمجتبى فاطمة بنت ناصر العلوية قالت: قُرِيء على إبراهيم ابن منصور السّلمي، وأنا حاضرة قال: أنا أبو بكر بن المقريء، أنا أبو يَعْلَى الموصلي، نا عباد بن موسى الخُتَّلي، نا محمد بن عبدالله الأنصاري، حدّثني صالح بن أبي الأخضر، عن الزُّهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد: أن النبي ﷺ كان وجّهه وَجْهاً، فقُبض النبي ﷺ ولم يتوجّه في ذلك الوجه، ثم استُخْلِف أبو بكر. فقال أبو بكر لأسامة: ما الذي عهد إليك رسول الله ﷺ ؟ فقال: عهدَ إليّ رسول الله ﷺ أن أغير على أُبنى صباحاً وأُحرّق.

أَخْبَرَناه أبو علي الحداد في كتابه.

ثمّ أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأ يوسف بن الحسن الزّنجاني التفكري، قالا: أنا أبو نُعَيم الحافظ قال: حدّثنا ح.

وأَخْبَرَناه أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي محمد بن الحسن بن فَوْرَك، أنبأ عبدالله بن جعفر الأصبهاني، نا يونس بن حبيب، نا أبو داود الطيالسي، نا صالح بن أبي الأخضر، عن الزُّهري،

عن عُروة بن الزبير، عن أسامة، قال: أمرني النبي ﷺ أن أُغير على أُبْنى صباحاً وأحرق.

هذا حديث غريب اشتهر بصالح بن أبي الأخضر البصري، عن محمد بن مسلم الزُّهري.

وأهل الشام يقولون يُبْنى بالياء، وكلا القولين صواب، وقد تبدّل الألف ياء والياء همزاً في مواضع، كقولهم: أحمد ويحمد وإساف ويساف وأخامر ويخامر.

أخْبَرَنا أبو القاسم عبد الملك بن عبدالله بن داود الفقيه، وأبو غالب محمد بن الحسين بن علي البصري، قالا: أنا أبو علي علي بن أحمد بن علي، أنبأ أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أنبأ أبو علي اللؤلؤي ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو علي الرُّوذباري، أنا أبو بكر بن داسة، قالا: ثنا أبو داود السجستاني، نا عبدالله بن عمرو الغَزّي، قال: سمعت أبا مُسْهِر قيل له: أُبْنى قال: نحن أعلم، هي يُبْنى فلسطين.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلّص، نا أحمد بن عبدالله بن سيف بن سعيد، نا أبو عُبيدة السَّري بن يحيى، نا سعيد بن إبراهيم، نا سيف بن عمر التميمي، عن أبي ضَمْرَة، وأبي عمر وغيرهما، عن الحسن بن أبي الحسن، قال[1]: ضرب رسول الله ﷺ بعثاً قبل وفاته على أهل المدينة ومَنْ حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب وأمّر عليهم أُسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخَنْدَق حتى قُبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه، يأذن لي فأرجع الناس، فإن معي وجوه الناس وحدّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وثقل رسول الله ﷺ وأثقال المسلمين أن يتخطّفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبىٰ إلّا أن نمضي وأبلغه عنّا، واطلب إليه أن يولّي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر: لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضاه رسول الله ﷺ قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، أنهم يطلبون إليك أن تولّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة، فوثب أبو بكر ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمّك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمُرني أن أنزعه. فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت ؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمّهاتكم. ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله ﷺ.

ثم خرج أبو بكر حتّى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم، وهو ماشي وأسامة راكب، وعبد الرّحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر. فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ لتركبنّ أو لأنزلنّ فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب وما عليّ أن أغبّر قدميّ ساعة في سبيل الله، فإن للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبع

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ في حوادث سنة ١١.

مائة حسنة تكتب له، وسبع مائة درجة ترفع له وتمحى عنه سبع مائة خطيئة، حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل، فأذن له وقال: يا أيّها الناس، قفوا. أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي: لا تخونوا، ولا تُغِلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقذفوا(١) نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلّا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدَعُوهم وما فرّغوا أنفسهم وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وسوف يلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم تركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيوف خفقاً. اندفعوا بسم الله، أفناكم الله بالطعن والطاعون.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلّص، نا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن سيف بن سعيد، نا السري بن يحيى بن السري، نا سعيد بن إبراهيم التيمي، نا سيف بن عمر التميمي، نا هشام بن عُروة، عن أبيه، قال: لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أمّر أُسامة وضرب البَعث على عامة أهل المدينة، وأمره أن يسير حتى يوطىء بهم آبل الزيت، ويحلل به السير، فطار في الآفاق أن النبي ﷺ اشتكى. ووثب الأسود باليمن، ومُسَيلمة باليمامة وأتى النبي ﷺ الخبرُ عنهما. ثم إن طُلَيحة وثب بعدما أفاق النبي ﷺ وبعدما جاءه الخبر عن الأسود ومُسَيلمة ثم إنه اشتكى وجعه الذي توفاه الله فيه في عقب المحَرّم.

قال: وتردّد ناس من العسكرة لوجع رسول الله ﷺ، وبلغ النبي ﷺ عن الذين قالوا في تأمير أسامة على المهاجرين والأنصار فخرج ﷺ عاصباً رأسه من الصداع فأتى المنبر فقال: «**إنّه بلغني أن رجالاً قالوا في تأمير رسول الله ﷺ أسامة، ولعمري لئن قالوا فيه لقد قالوا في أبيه من قبله، وإنه لخليق بالإمارة وأبوه من قبله فأنفذوا بعث أُسامة**» **[٤٤٢]** ودخل.

وخرج الناس إلى الجُرْف، فلمّا ثقل رسول الله ﷺ أقاموا حتى شهدوه، فلما فرغوا أنفذه أبو بكر رضي الله عنه على ما قال رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى الجُرْف فاستقرى أسامة وبعثه، وسأله عمر فأذن له، وقال له: اصنع ما أمَرَكَ به نبي الله ﷺ أبدأ ببلاد قُضاعة ثم ائت آبل ولا تقصرنّ في شيءٍ من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلنّ لما خلفت عن عهده. فمضى أسامة مُغذّاً على ذي المروة والوادي، وانتهى إلى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيول في قبائل قُضاعة والغارة على آبل، فَسلِمَ وغَنِمَ، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومقبله راجعاً.

قال ونا سيف عن أبي عمر، عن زيد بن أسلم، قال: مات رسول الله ﷺ وعمّاله على قُضاعة: على كلب امْرِىء القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبدالله، وعلى القَيْن عمرو بن الحكم، وعلى

(١) في مختصر ابن منظور: ولا تعزقوا.

سَعد هُذَيم معاوية بن فلان الوائلي. فارتدّ وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب، وبقي امرؤ القيس على دينه، وارتد زُميل بن قُطبة القَيْني فيمن آزره من بني القَيْن وبني عمرو، وارتدّ معاوية فيمن آزره من سعد هُذَيم فكتب أبو بكر إلى امْرىء القيس بن فلان، وهو جدّ سُكَينة بنت الحسين رضي الله عنهما فثار بوديعة وإلى عمرو فأقام لزُمَيل وإلى معاوية العذري فأقام لمعاوية.

فلما توسط أسامة بلاد قُضاعة بث الخيول قِبَلهم، وأمرهم أن يُنهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه. فخرجوا هُرّاباً، حتى أرزءوا إلى دومة، واجتمعوا إلى وديعة ورجعت خيول أُسامة إليه. فمضى فيها أسامة حتى أغار على الحملتين فأصاب في بني الضُّبَيْب من جُذَام، وفي بني حيليل من لَخْم ولفها من القبيلتين، وحازهم من آبل ثم انكفأ سالماً غانماً.

وقال السُّمَيْط بن النعمان اللّخْمي:

أما ينفك من زيد جُذَامٌ وَلا لَخْم وإن رَمّتْ عظامه

حدّثنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه ـ لفظاً ـ أنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء، أنا أبو محمد عبد الرّحمن بن عثمان بن القاسم، أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد بن عائذ، نا الوليد بن مسلم، عن عبدالله بن لَهْيَعة، عن أبي الأسْود، عن عروة، قال: فلما فرغوا من البيعة واطمأن الناس، قال أبو بكر لأسامة: امض لوجْهك الذي بعثك له رسول الله ﷺ، فكلّمه رجالٌ من المهاجرين والأنصار وقالوا: امْسكْ أسامة وبعثَه، فإنّا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر وكان آخرهم أمراً: أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ لقد اجترأت على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب، أحبُّ إليّ من أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ. امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمرت به. ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب فاستشير وأستعين به. فإنّه ذو رأي ومناصح للإسلام فافعل. ففعل أسامة ورجع عامة العرب عن دينهم وعامة أهل المشرق وغطفان وبنو أسد وعامة أشجع. ومسكت طيء بالإسلام. وقال عامة أصحاب النبي ﷺ: أمسِك أُسامة وجيشه ووجِّههم [نحو] من ارتد عن الإسلام من غطفان وسائر العرب. فأبى ذلك أبو بكر أن يحبس أسامة وقال: إنكم قد علمتم أنه قد كان من عهد رسول الله ﷺ إليكم في المشورة فيما لم يمض من نبيكم فيه سنّة، ولم يُنزّل عليكم به كتاب، وقد أشرتم، وسأشير عليكم. فانظروا أرشد ذلك، فائتمروا به، فإن الله لن يجمعكم على ضلالة. والذي نفسي بيده، ما أرى من أمر أفضل في نفسي من جهاد من منع منا عِقالاً[١] كان يأخذه رسول الله ﷺ فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر، ورأوا أنه

(١) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم، وقال الكسائي: صدقة عام. وقال بعضهم: أراد أبو بكر بالعقال: الحبل الذي

أفضل من رأيهم. فبعث أبو بكر أسامة بن زيد لوجهه الذي أمره به رسول الله ﷺ فأصاب في العدو مصيبة عظيمة، وسلمه الله وغنّمه، هو وجيشه، وردّهم صالحين. وخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار، حين خرج أسامة حتى بلغ نقعاً(١) حذاء وهربت الأعراب بذراريهم. فلما بلغ المسلمين هرب الأعراب كلّموا أبا بكر، وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذراري والنساء، وأمِّرْ رجلاً من أصحابك على الجيش، واعهدْ إليه أمرك. فلم يزل المسلمون بأبي بكر حتى رجع وأمّر خالد بن الوليد على الجيش. فقال له: إذا أسلموا وأعطوا الصدقة، فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع. ورجع أبو بكر إلى المدينة.

أخْبَرَنا محمد بن عبد الباقي الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيويه، أنا عبد الوهّاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع الثَّلْجي، أنا محمد بن عمر الواقدي(٢) قال: قالوا: لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه، ووجد عليهم وجداً شديداً، فلمّا كان يوم الاثنين لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة أمر رسول الله ﷺ الناس بالتَّهيُّؤ لغزو الروم، وأمرَهم بالانكماش(٣) في غزوهم. فتفرّق المسلمون من عند رسول الله ﷺ وهم يجدون في الجهاز(٤) فلما أصبح رسول الله ﷺ من الغد، يوم الثلاثاء لثلاث ليالٍ بقين من صفر دَعَا أسامة بن زيد فقال: «**يا أسامة، سرْ على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أُبْنى وحرّقْ عليهم، وأسرع السير بسَبق الخبر، فإن أظفركَ الله فأقلل اللبث فيهم، وخذْ معك الأدلّاء وقدّم العيُون أمامك والطلائع**»[٤٤٣]. فلماكان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدىء رسول الله ﷺ فصُدِّع وحُمّ. فلما أصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد له رسول الله ﷺ بيده لواءً ثم قال: «**يا أسامة، اغزُ بسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا تَمنّوا لقاء العدوّ، فإنّكم لا تدرون لعلّكم تُبتلون بهم، ولكن قولوا: اللّهمّ اكفناهم واكفف بأسهم عنّا، فإن لقوكم قد أجلبوا وصبحُوا، فعليكم بالسكينة والصمت ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾(٥) وقولوا: اللّهم إنّا نحن عبادك وهم عِبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنّما تغلبهم أنت، واعلموا أنّ الجنّة تحت البارقة(٦)**» [٤٤٤].

= كان يعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة إذا قبضها المصدّق. (اللسان: عقل).

(١) النقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف (معجم البلدان).

(٢) مغازي الواقدي: ٣ / ١١١٧ وما بعدها.

(٣) الانكماش: الإسراع (قاموس).

(٤) عند الواقدي ومختصر ابن منظور: ١ / ١٧٤: وهم مجدون في الجهاد.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٧ .

(٦) البارقة: السيوف (قاموس).

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر، نا عبدالوهّاب، نا محمد بن شجاع، نا الواقدي، حدّثني يحيى بن هشام بن عاصم الأسلمي، عن المُنذر بن جهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أسامة شن الغارة على أهل أُبْنى**»[٤٤٥].

وأخْبَرَنا أبو بكر: أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيّويه، نا عبد الوهاب، نا محمد، نا الواقدي، قال[١]: فحدّثني عبدالله بن جعفر بن عبد الرّحمن بن أزهر بن عوف، عن الزُّهري، عن عُروة، عن أسامة بن زيد أن النبيّ ﷺ أمره أن يغير على أهل أُبنى صباحاً وأن يُحرق.

قالوا: ثم قال رسول الله ﷺ لأسامة: «**امض على اسم الله**» فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بُرَيدة ابن الحصيب الأسلمي فخرج به إلى بيت أسامة وأمر رسول الله ﷺ أسامة فعسكر بالجُرْف وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم. وجعل الناس يُجدون[٢] بالخروج إلى العسكر، فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره، ومن لم يقضِ حاجته فهو على فراغ، ولم يبق أحدٌ من المهاجرين الأوّلين إلّا انتدب في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل في رجال من المهاجرين والأنصار عدة: قَتادة بن النعمان، وسَلَمة بن أسلم بن حريش.

فقال رجال من المهاجرين، وكان أشدّهم في ذلك قولاً عياش بن أبي ربيعة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ فكثرت القالة في ذلك فسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك القول، فردّه على من تكلّم به، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصَب على رأسه عصابةً وعليه قطيفةٌ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، أيُّها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيمُ الله، إن كان للإمارة لخليقاً، وأن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ، وانهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم**»[٤٤٦] ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خلون من ربيع الأول. وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أُسامة يودعون رسول الله ﷺ فيهم عمر بن الخطاب ورسول الله ﷺ يقول: «**أنفذوا بَعث أسامة**» ودخلت أم أيمن فقالت: أي رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه. فقال رسول الله ﷺ: «**أنفذوا بعث أسامة**»[٤٤٧] فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله ﷺ ثقيل مغمورٌ، وهو اليوم الذي لدّوه[٣] فيه،

---

(١) مغازي الواقدي: ٣ / ١١١٨.

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ١٧٥ «يؤخذون».

(٣) اللدود ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم، (القاموس ـ النهاية).

فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان، وعنده العبّاس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبّله. ورسول الله ﷺ لا يتكلّم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصبهما على أسامة، فأعرف أنه كان يدعو لي قال أسامة: فرجعت إلى معسكري. فلما أصبح يوم الاثنين غدا من معسكره وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً، فجاءه أسامة فقال: اغدُ على بركة الله، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيق مريح(١) مفيق وجعل نساؤه يتماشطن سروراً براحته. ودخل أبو بكر فقال: يا رسول الله أصبحت مفيقاً بحمد الله، واليوم يوم ابنة خارجة فائذن لي، فأذن له فذهب إلى السُّنح(٢) وركب أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه باللحوق إلى العسكر فانتهى إلى معسكره ونزل. وأمر الناس بالرحيل وقد متع النهار، فبينا أسامة بن زيد يريد أن يركب من الجُرْف أتاه رسول أمّ أيمن ـ وهي أمه ـ تخبره أن رسول الله ﷺ يموت، فأقبل أسامة إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة. فانتهوا إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يموت، فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم اثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرْف إلى المدينة، ودخل بُرَيدة بن الحُصَيب بلواء أسامة معقوداً، حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده. فلمّا بويع لأبي بكر أمر بُرَيدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ولا يحله أبداً حتى يغزوهم أسامة. فقال بُرَيدة: فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلى بيت أسامة، ثم خرجت به إلى الشام معقوداً مع أسامة، ثم رجعت به إلى بيت أسامة فما زال معقوداً في بيت أسامة حتى توفي أسامة. فلما بلغ العرب وفاة رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ منها عن الإسلام، قال أبو بكر لأسامة: انفذْ في وجْهك الذي وجّهك فيه رسول الله ﷺ. وأخذ الناس بالخروج، وعسكروا في موضعهم الأوّل وخرج بُريدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأوّل، فشق على كبار المهاجرين الأوّلين، ودخل على أبي بكر: عمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، إن العرب قد انتقضت عليك من كلّ جانب، وإنك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجْعلهم عدة لأهل الردّة ترمي بهم في نحورهم، وأخرى لا نأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجِرانه(٣) وتعود أهل الردّة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا. فلمّا استوعب أبو بكر كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً ؟ قالوا: لا، قد سمعتَ مقالتنا. فقال: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع

(١) يقال: أراح الرجل إذا رجعت نفسه إليه بعد الإعياء.

(٢) موضع بعوالي المدينة.

(٣) الجران باطن عنق البعير، أي حتى يقر قراره ويستقيم، كما أن البعير إذا برك واستراح مدّ عنقه على الأرض (النهاية).

تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث. ولا بدأت بأوّل منه، ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: «انفذوا جيش أسامة» ولكن خصلة أكلم أسامة في عمر يُخلّفه يقيم عندنا فإنّه لا غنى بنا عنه، والله ما أدري يفعل أسامة أم لا. والله إن أبىٰ لا أكرهه. فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بَعث أسامة. ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته، فكلّمه في أن يترك عمر، ففعل أسامة وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة ؟ فقال أسامة: نعم. قال وخرج فأمر مُناديه ينادي: عزمة مني ألّا يتخلّف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ فإني لن أوتَى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلّا ألحقته به ماشياً، وأرسَل إلى النفر من المهاجرين الذين كانوا تكلّموا في إمارة أسامة فغلّظ عليهم وأخذهم بالخروج، فلم يتخلف عن البعث إنسان واحد.

وخرج أبو بكر يشيّع أسامة والمسلمين، فلما ركب أسامة من الجرف في أصحابه ـ وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم ألف فرس ـ فسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ثم قال: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك [إنّي سمعت] رسول الله ﷺ يوصيك، فانفذْ لأمر رسول الله ﷺ، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه. إنّما أنا منفذ لأمر أمرَ به رسول الله ﷺ، فخرج سريعاً فوطِىء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام ـ جُهينة وغيرها من قُضاعة ـ فلمّا نزل وادي القرى قدّم عيناً له من بني عُذْرة يدعى حُرَيثاً فخرج على صدر راحلته أمامه مُغذّاً حتى انتهى إلى أُبنى فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق، ثم رجع سريعاً حتى لقي أُسامة على مسيرة ليلتين من أُبْنى فأخبره أن الناس غارّون ولا جموع لهم، وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع وأن يشنها غارة.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضيّ، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيّويه، نا عبد الوهاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع، نا الواقدي(١)، قال: فحدّثني هشام بن عاصم، عن المُنذر بن جهم قال: قال بُريدة لأسامة: يا أبا محمد، إني شهدت رسول الله ﷺ يوصي أباك أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أطاعوه خيّرهم، إن أحبّوا أن يقيموا في ديارهم ويكونوا كأعوان المسلمين، ولا شيء لهم في الفيء ولا في الغنيمة إلّا أن يجاهدوا مع المسلمين، وإن تحولوا إلى دار الإسلام كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. قال أسامة: هكذا وصية رسول الله ﷺ لأبي، ولكن رسول الله ﷺ أمرني، وهو آخر عهده إليّ أن أسْرع المشي وأسبق الأخبار، وأن أشُنّ الغارة عليهم بغير دعاء، فأحرّق وأخرّب. فقال بُريدة: سمعاً وطاعة لأمر رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى أُبْنى فنظر إليها منظر العين عبّأ أصحابه وقال: اجعلوها غارة ولا تُمعنوا في الطلب ولا تفترقوا، واجتمعوا واخفوا الصوت، واذكروا اسم الله في أنفسكم، وجرّدوا سيوفكم وضعوها فيمن أشرف لكم. ثم دفع عليهم الغارة، فما نبح كلب ولا تحرّك أحد، ولا شعروا إلّا بالقوم

---

(١) مغازي الواقدي: ٣ / ١١٢٢.

قد شنوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم: يا منصور أمت. فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق في طوائفها بالنار، وحرق منازلهم وحروثهم ونخلهم. فصارت أعاصير من الدخاخين، وأقام الخيل في عرصاتهم، ولم يُمعنوا في الطلب، أصابوا ما قَرُب منهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة خرج على فرس أبيه الذي قُتل عليها أبوه يوم مؤتة كانت تدعى سَبْحَة. وقتل قاتل أبيه في الغارة، خبّره به بعض من سبى؛ وأسهم للفرس سَهمين ولصاحبه سهماً. وأخذ لنفسه مثل ذلك. فلما أمْسوا أمر الناس بالرحيل، والدليل أمامه حُرَيث العُذْري، فأخذوا الطريق التي جاء منها، ودأبوا ليلتهم حتى أصبحوا بأرض بعيدة.

ثم طوى البلاد حتى انتهوا إلى وادي القرى في تسع ليال ثم قصد يغذ السير إلى المدينة وما أصيب من المسلمين أحد فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص فدعا بطارقته فقال: هذا الذي حذّرتكم، فأبيتم أن تقبلوه منّي. قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم. قال أخوه يناق: فابعث رابطة تكون بالبلقاء[(١)]. فبعث رابطة واستعمل عليهم رجلاً من أصحابه، فلم يزل مقيماً حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قالوا: واعْترض لأسامة في منصرفه قومٌ من أهل كَثْكَث - قرية هناك - قد كانوا اعترضوا لأبيه في بدأته فأصابوا من أطرافه، فناهضهم أسامة بمن معه فظفر بهم وحرّق عليهم، وساق من نَعَمهم، وأسَر منهم أسيرين فأوثقهما، وهرب من بقي، فقدم بهما المدينة فضرب أعناقهما.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيُّويه، نا عبد الوهّاب بن أبي حَيّة، نا محمد بن شجاع، نا الواقدي[(٢)]، قال: فحدّثني أبو بكر بن يحيى بن النضر، عن أبيه: أن أسامة بن زيد بعث بشيره من وادي القُرى بسلامة المسلمين، وأنهم قد أغاروا على العدو فأصابوهم، فلما سمع المسلمون بقدومهم خرج أبو بكر في المهاجرين، وخرج أهل المدينة حتى العواتق وسروا بسلامة أسامة ومن معه من المسلمين ودخل يومئذ على فرسه سَبْحَة كأنّما خرجت من ذي خُشُب عليه الدرع، واللواء أمَامه يحمله بُرَيدة حتى انتهى به إلى المسجد، فدخل فصلّى ركعتين وانصرف إلى بيته معه اللواء.

وكان مخرجه من الجُرْفِ لهلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة، فغاب خمسة وثلاثين يوماً: سار عشرين في بدأته وخمسة عشر في رجعته.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُراوي، أنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرّحمن الصابوني، أنا أبو محمد عبد الرّحمن بن أحمد المقريء، نا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف، نا محمد بن علي

---

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى (معجم البلدان).

(٢) مغازي الواقدي: ٣ / ١١٢٤.

المَيْمُوني، نا الفريابي، نا عبّاد بن كثير، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: والذي لا إله إلّا هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة فقيل له: يا أبا هريرة. فقال: إن رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام، فلما نزِل بذي خُشُب قُبض النبي ﷺ وارتدّت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له: يا أبا بكر رُدّ هؤلاء. توجّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدّت العرب حول المدينة فقال: والذي لا إله إلّا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللتُ لواء عقده رسول الله ﷺ، فوجّه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلّا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوّة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتّى يلقوا الروم، فبلغوا الرُّوم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام.

باب
ذكر اهتمام أبي بكر الصِّدِّيق بفتح الشّام وحِرْصه عليه
ومعرفة إنفاذه الأمراء بالجنود الكثيفة إليه

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر الطبري، أنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب بن سفيان، نا عمّار بن الحسن، نا سَلمة، عن ابن إسحاق قال: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعثُ الجنود إلى الشام سنة ثنتي عشرة.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو علي محمد بن محمد بن أحمد بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص الحَمّامي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن الصّوّاف، نا أبو محمد الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، حدّثني أبو حُذيفة إسحاق بن بشر القرشي، نا محمد بن إسحاق، قال: ان أبا بكر لما حَدّث نفسه بأن يغزو الروم فلم يُطلع عليه أحداًإذ جاءه شرحبيل بن حَسنة فجلَس إليه فقال: يا خليفة رسول الله أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جنداً؟ فقال: نعم، قد حدّثتُ نفسي بذلك، وما أطلعتُ عليه أحداً، وما سألتني عنه إلّا لشيءٍ. قال: أجل إنّي رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق خَرْشَفة(١) من الجَبَل ثم أقبلت تمشي حتى صعدت قُنّة من القِنان العالية، فأشرفتَ على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القِنان إلى أرضٍ سَهْلة دمثة فيها الزرع والقرى والحصون فقلت للمسلمين: شنوا الغارة على أعداء الله وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة، فشدّ المسلمون وأنا فيهم معي راية، فتوجّهت بها إلى أهل قرية، فسألوني الأمان فأمنتهم ثم جئت، فأجِدَك قد انتهيت إلى حِصن عظيم ففتح الله لك، وألقوا إليك السّلم، ووضع الله لك مجلساً فجلَسْت عليه، ثم قيل لك: يفتح الله عليك وتُنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته، ثم قرأ: ﴿**إذا جاء نَصْرُ الله والفَتْح ورأيت الناس يَدخلون في دين الله أفواجاً فَسَبِّح بحَمْدِ ربِّك واستغفره إنّه كان توّاباً**﴾(٢) ثم انتبهت. فقال له أبو بكر: نامت عيناك. خيراً رأيت وخيراً يكون إن شاء الله. ثم قال: بشّرت بالفتح ونعيت إليّ نفسي، ثم دمعت عينا أبي بكر ثم قال: أما الخَرْشَفة التي رأيتنا نمشي عليها حتى صعدنا إلى القُنة العالية فأشرفنا على الناس فإنّا نكابد من أمر هذا الجند والعَدُو مشقةً ويكابدونه. ثم نَعلُوا بعد ويعلو أمرنا. وأمّا نزولنا من القُنّة العالية إلى الأرض السّهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون فإنّا ننزل إلى أمر أسهل ممّا كنّا فيه من الخصب والمعاش، وأمّا قولي للمسلمين:

---

(١) الخرشفة: الأرض الغليظة (اللسان).

(٢) سورة النصر، الآية: ١ ـ ٤.

شُنّوا على أعداء الله الغارة فإنّي ضامن لكم الفتح والغنيمة فإنّ ذلك دُنو المسلمين إلى بلاد المشركين وترغيبي إيّاهم على الجهاد والأجر والغنيمة التي تُقسم لهم وقبولهم. وأمّا الراية التي كانت معك فتوجّهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها واستأمنوا فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك. وأمّا الحصن الذي فتح الله لي فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي. وأمّا العرش الذي رأيتني عليه جالساً فإن الله يرفعني ويضع المشركين. وقال الله تبارك وتعالى ليوسف ﴿**ورفع أبويه على العرش**﴾(١) وأمّا الذي أمرني بطاعة الله وقرأ عليّ السورة فإنّه نعى إليّ نفسي، وذلك أن النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة، وعلم أن نفسه قد نعيت إليه. ثم سالتا عيناه فقال: لآمرن بالمعروف ولأنهينّ عن المنكر ولأجهدنّ فيمن نزل أمر الله ولأجهزن الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد أحد لا شريك له، أو يُؤدُّوا الجزية عن يد وهم صاغرون. هذا أمر الله وسنّة رسول الله ﷺ، فإذا توفاني الله عزّوجلّ لا يجدني الله عاجزاً ولا وانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً. فعند ذلك أمر الأمراء وبعث إلى الشام البعوث.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن الحَمّامي، أنا أبو علي ابن الصَّوّاف، نا أبو محمد القطان، نا إسماعيل العطار، حدّثني إسحاق بن بشر، أنا أبو إسحاق، عن الزّهري، حدّثني ابن كعب عن عبدالله بن أبي أوفى الخُزاعي، قال: لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عُبيدة بن الجرّاح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه. قال عبدالله بن أبي أوفى: وأنا فيهم فقال: إن الله عزّوجلّ لا تُحصى نعماؤه ولا يبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد، قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفا عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره. فالعرب اليوم بنو أُمٍّ وأبٍ، وقد رأيت أني أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظّ الوافر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً، ولما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيي الذي رأيت فأشار امرؤ عَليّ برأيه. فقام عمر بن الخطاب فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه والله ما استبقنا إلى شيءٍ من الخير قط إلّا سبقتنا إليه و ﴿**ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يشاء**﴾(٢) والله ذو الفضل العظيم، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت، فما قضي أن يكون حتى ذكرته [قبلي] فقد أصبْتَ أصاب الله بك سبيل الرشاد، سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعثْ الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود فإن الله ناصر

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

دينه ومعزّ الإسلام وأهله.

ثم أن عبد الرّحمن بن عوف قام فقال: يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد وركن شديد، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاماً. لكن تبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم ثم ترجع إليك. فإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أداني أرضهم فقووا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعاً إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئتَ أغزيتهم. ثم سكت وسكت الناس. إذ قام فقال لهم أبو بكر: ما ترون ؟ فقال عثمان بن عفان: إنّي أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه فإنّك غيرُ ظنين. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد ابن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فامضه، فإنّا لا نخالفك ولا نتّهمك. وذكروا هذا وأشباهه ـ وعلي في القوم لم يتكلّم ـ قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن ؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشّرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون**» [٤٤٨](١) فقال: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني به سرّك الله.

ثمّ إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلّى على نبيّه ﷺ ثم قال: أيّها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد وفضّلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام. فإنّي مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم، فأطيعوا ربّكم، ولا تخالفوا أمراءكم، لتحسن نيّتكم وشربكم وأطعمتكم، فـ ﴿**إنّ الله مع الذين أتقوا والذين هم محسنون**﴾(٢) قال: فسكت القوم فوالله ما أجابوا. فقال عمر: يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ وقد ﴿**دعاكم لما يحييكم**﴾(٣) أما إنّه ﴿**لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً**﴾(٤) لابتدرتموه. فقام عمرو بن سعيد فقال: يا ابن الخطاب ألنا تضرب الأمثال، أمثال المنافقين ؟ فما منعك ممّا عبتَ علينا فيه أن تبتدىء به ؟ فقال عمر: إنّه يعلم أني أجيبه لو يَدعوني، وأغزو لو يغزيني. قال عمرو بن سعيد: ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا إنّما نغزو لله. فقال عمر: وفقك الله فقد أحسنت، فقال أبو بكر لعمرو: اجلس رحمك الله فإنّ عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه، إنّما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد. فقام خالد بن سعيد فقال: صَدق خليفة رسول الله ﷺ اجلس ابن أخي فجلس، وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الذي بعث محمّداً بالهدى ودين

---

(١) مسند أحمد، مسند البصريين، ح ٢٠٤٣١.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٢.

الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون فالله منجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوّه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر إذا استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر وقال: جزاك الله خيراً من أخ وخليل. فقد كنت أسْلمت مرتقباً وهاجرت محتسباً. قد كنت هربت بدينك من الكفّار لكيما يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته وأنت أمير الناس فسر يرحمك الله. ثم إنّه نزل. ورجع خالد بن سعيد فتجهّز وأمر أبو بكر بلالاً فأذّن في الناس أن انفروا أيّها الناس إلى جهاد الروم بالشام. والناس يرون أن أميرهم خالد بن سعيد. وكان الناس لا يشكّون أن خالد ابن سعيد أميرهم، وكان أوّل خلق الله عسكر. ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة كل يوم حتّى اجتمع أناس كثير. فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم. فرأى عدّة حسنة لم يرض عدّتها للروم. فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء ؟ أن نشخصهم إلى الشام في هذه العُدّة ؟

فقال عمر: ما أرضى هذه العُدّة لجموع بني الأصفر فقال لأصحابه: ماذا ترون أنتم ؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر. فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد ونرغبهم في ثوابه. فرأى ذلك جميع أصحابه فقالوا: نِعْمَ ما رأيت افعل، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قُرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد، فإنّ الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك وقد حسنت في ذلك نيّتُهم وعظُمت حسبتهم. فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيّتكم فيه فإنّكم إلى إحْدى الحسنيين: إمّا الشهادة وإمّا الفتح والغنيمة. فإن الله تبارك وتعالى لم يرضَ من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يَدينوا بدين الحق ويقرّوا لحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهَدى قلوبكم وزكّى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين. وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيّويه، أنا أبو الحسن أحمد بن معروف الخشاب، نا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سعد، أنا محمد بن عمر، حدّثني عبد الجبّار ابن عُمارة، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: لما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أوّل من سار من عمّاله عمرو بن العاص، وأمره أن يسلك على أيلة عامداً لفلسطين فقدم عمرو أمامه مقدمة عليهم سعيد بن الحارث السهمي، ودفع لواءه إلى الحجّاج بن الحارث السَّهمي، وكان جند عمرو الذين خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار. وخرج أبو بكر الصدّيق يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص، وهو يوصيه

ويقول: يا عمرو اتق الله في سر أمْرك وعلانيته، واستحيه فإنّه يراك ويرى عملك. وقد رأيت تقديمي إيّاك على من هو أقدم سابقةً منك، ومن كان أعظم غناءً عن الإسلام وأهله منك. فكن من عمّال الآخرة، وأرِدْ بما تعمل وجه الله وكن والداً لمن معك، ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم، وكن مجدّاً في أمْرك واصدق اللقاء إذا لاقيت، ولا تجبن وتقدم في الغلول وعاقب عليه، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك.. في وصية له طويلة وعهد عهده إليه يعمل به.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر، أنا أحمد بن معروف، نا الحسين ابن الفهم، نا محمد بن سعد، نا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، أن أبا بكر قال لعمرو بن العاص: إني قد استعملتك على من مررت به من بَلي وعُذْرة وسائر قُضاعة ومن سقط هناك من العرب فاندبهم إلى الجهاد في سبيل الله، ورغّبهم فيه فمن تبعك منهم فاحْمله وزوّده. ورافق بينهم، واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها.

قال: وأنا محمد بن عمر، نا أسامة بن زيد الليثي، عن مُعاذ بن عبدالله بن خُبَيب، عن رجال من قومه قال: بعث أبو بكر الصّدّيق ثلاثة أمراء إلى الشام: عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة فكان عمرو هو الذي يُصلّي بالناس إذا اجتمعوا، وإن تفرّقوا كان كل رجل منهم على أصحابه. وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يمدّ عمرو بن العاص فكان خالد مدداً لعمرو وكان أمر الناس إلى عمرو بن العاص يوم أجْنَادَيْن[١] ويوم فِحْل[٢]، وفي حصار دمشق حتى فتحت. قال أبو عبدالله الصُّوري الحافظ: في الأصل فِحِل بكسر الحاء، والمحفوظ سكونها.

أخْبَرَنا أبو بكر، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حيّويه، أنا أحمد بن معروف، نا الحسين ابن الفهم، نا محمد بن سعد، أنا محمد بن عمر، حدّثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه قال: لمّا رأى عمرو بن العاص كثرة الجموع بالشام كتب إلى [أبي] بكر يذكر أمر الروم وما جمعوا ويستمده، فشاور أبو بكر من عنده من المسلمين، فقال عمر بن الخطاب: يا خليفة رسول الله ﷺ اكتب إلى خالد بن الوليد يسير بمن معه إلى عمرو بن العاص فيكون له مدداً، ففعل أبو بكر. وكتب إلى خالد بن الوليد، فلمّا أتاه كتاب أبي بكر قال: هذا عمل عمر، حسدَني على فتح العراق. وأن يكون على يدي، فأحبّ أن يجعلني مدداً لعمرو بن العاص وأصحابه فأكون كأحدهم، فإن كان فتح شركنا فيه، أو أن أكون تحت يدي بعضهم، فإن كان فتح كان ذكره له دوني.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر، نا أحمد بن معروف، نا الحسين

---

(١) أجْنَادَيْن بالفتح: موضع من نواحي فلسطين، من الرملة من كورة بيت جبرين (معجم البلدان).

(٢) فحل: بكسر ففتح: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم (معجم البلدان).

ابن الفهم، نا محمد بن سعد، أنا محمد بن عمر، حدّثني عبد الحميد بن عمران بن أبي أنس، عن المطلب بن السائب بن وداعة قال: كتب أبو بكر الصدّيق إلى عمرو بن العاص: إني كتبت إلى خالد ابن الوليد يسير إليك مدداً لك، فإذا قدم عليك فأحسن مصاحبته ولا تطاول عليه ولا تقطع الأمور دونه لتقديمي إيّاك عليه، وعلى غيره. شاورهم ولا تخالفهم.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن عتّاب العبْدي، نا القاسم بن عبدالله بن المغيرة، نا إسماعيل بن أبي أويس، نا إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة، عن عمّه موسى بن عُقبة، قال: ثم بعث أبو بكر حين ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ ثلاثة أمراء إلى الشام: خالد بن سعيد على جندٍ، وعمرو ابن العاص السهمي على جُندٍ، وشرحبيل بن حَسنة على جُندٍ، ثم نزع[1] خالد بن سعيد وأمّر على جُنده يزيد بن أبي سفيان فأدركه بذي المَرْوَة[2] فكأنّ عمراً وَجَد على خالد بن سعيد، ولما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة جاءه كتاب أبي بكر يأمره بالمسير إلى الشام. فمضى خالد على وجهه وسلك على عين التمر[3] فمر بدُومة فأغار عليها فقتل بها رجالاً وهزمهم، وسبى ابنة الجودي ثم مضى حتى قدم - يعني الشام - وبه يومئذ أبو عبيد بن الجرّاح على جُندٍ، ويزيد بن أبي سفيان على جُندٍ، وعمرو بن العاص على جُندٍ، وشرحبيل بن حسنة على جُندٍ، فقدم عليهم خالد بن الوليد فأمدّهم يوم أجْنَادَيْن وهزم الله عدوّه.

أخبرَتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد بن أحمد قالت: أنا أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي، أنا أبو بكر [ابن] المقريء، أنا أبو الطيّب محمد بن جعفر الزّرّاد المَنْبِجي، نا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم، أنا عمي، نا أبي عن ابن إسحاق قال: ولما قفل أبو بكر من الحج جهز الجيوش إلى الشام فبعث عمرو بن العاص قِبَل فلسطين فأخذ الطريق المعرفة[4] على أيْلة وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عُبيدة بن الجرّاح وشرحبيل بن حسنة وهو أحد الغوث[5] وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ح.

---

(١) بسبب مافعله خالد بعد السقيفة من عدم مبايعته وعرض البيعة على علي بن أبي طالب عليه السلام راجع تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨، والكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٢.

(٢) ذو المروة: قرية بوادي القرى، وقيل بين خُشُب ووادي القرى (معجم البلدان).

(٣) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ (معجم البلدان).

(٤) المُعرقة: هي طريق إلى الشام كانت قريش تسلكها.

(٥) بنو الغوث بطن من كهلان من القحطانية.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر الطبري، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، نا عمّار، نا سلمة، عن محمد بن إسحاق ح.

وأخْبَرَنا حامد، نا صَدقة قال: قرأت على محمد بن إسحاق قال: وحدّثني العلاء بن عبد الرّحمن، عن رجلٍ من بني سهم عن ابن ماجدة السهمي أنّه قال: حجّ علينا أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة فلما قفل أبو بكر من الحج جهّز الجيوش إلى الشام: عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجرّاح وشرحبيل بن حَسَنة.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي محمد بن محمد بن محمد بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن علي بن أحمد الحمّامي، أنا أبو علي بن الصَّوَّاف، نا الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا إسحاق بن بشر، حدّثني محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبدالرّحمن بن يعقوب، عن رجلٍ من بني سهم، عن علي بن ماجد السهمي أنّه قال: حجّ أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة فلما قفل أبو بكر من الحج جهّز الجيوش إلى الشام فبعث عمرو بن العاص قِبَل فلسطين، فأخذ الطريق المُغْرِبة على أيْلة وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجرّاح وشرحبيل بن حسنة وأمرَهم أن يسلكوا التبوكيّة من علياء الشام.

كذا قال ابن ماجد، وإنّما هو ابن ماجدة. كما تقدّم.

أخْبَرَنا أبو بكر الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيّويه، أنا أبو الحسن بن معروف، نا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سعد، أنا محمد بن عمر، حدّثني عبدالله بن وابصة العبسي، عن أبيه، عن جدّه قال: كنّا مع خالد بن الوليد في الردّة أعواناً له، فلما رجع إلى المدينة ومعه العرب رجعت العرب إلى أوطانها، ورجعت عَبْس وطيء ومن كان من أسد إلى منازلهم، حتى جاءهم النفير إلى الشام، فقدموا المدينة فجعل أبو بكر يفرّق الجيوش على ولاته وهم ثلاثة: عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فخرجوا معهم إلى الشام.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القُرَشي، نا أبو عبدالله محمد بن عائذ، نا الوليد بن مسلم قال: سمعت أبا عمرو وغيره من أشياخنا يذكرون مغازي رسول الله ﷺ ويقولون: صدق الله وعده نبيّه ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم ساق الكلام إلى ذكر تنفيذ جيش أسامة، وبعث أبي بكر الجيوش لقتال أهل الردّة ثم قال:

حتى أتته وفود العرب مُقرّة بما كانت أنكرت، راجعةً إلى ما كانت خرجت منه. فلما رأى أبو بكر حسن خلافة ربّه نبيّه ﷺ في تركته، وجماعة أمّته، ومنّه عليهم بنصره على كل مُصَعّب ومُكَذّب وكفايته مؤونته على كل مرتدّ ومرتاب، وقوته عليهم جميعاً، واجتماع كلمتهم على الإيمان بالله، والإقرار بتوحيده، والعمل بفرائضه وشرائعه، دعاهم إلى جهاد قيصر وكسرى ومن

يليهما من أهل ملكهما، وإقامة فريضة الله عليهم بذلك والعمل بسنّة رسول الله ﷺ فيما كان من مَسيره بنفسه، وجماعة أمّته إلى قيصر ومن يليهم. فأجابه إلى ذلك جماعة من المهاجرين والأنصار ومُهاجرة الفتح وأمداد أهل العالية واليمن. فاجتمع له منهم أربعة وعشرون ألفاً وولّى عليهم الأمراء، وعقد لهم الألوية، وجهّزهم بما قدر عليه من الأموال والظهر، ولم يرضَ ببعثه السرايا ولا الاقتصار عليها. فمضوا لما وجّههم له. فوليهم الله بحسن الصحبة في العافية[1] وسعة الرزق والتمكين في البلاد والنصر والفلج، والظهور على من تعرض قتالهم بأَجْنَادَيْن ثم فِحْل ثم مَرْج الصُّفَّر[2] ثم تولوا على دمشق وحاصروا أهلها.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الْمخَلّص، نا أبو بكر بن سيف، نا السريّ بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر، عن أبي إسحاق سُليمان الشيباني عن أبي صفية التيمي ـ تيم شيبان ـ وطلحة عن المغيرة، ومحمد عن أبي عثمان قالوا[3]: أمر أبو بكر خالداً أن ينزل تيماء ففصل ردءاً حتى ينزل بتيماء[4] وقد أمره أبو بكر أن لا يبرحها، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه، وأن لا يقبل إلّا ممّن لم يرتدّ، ولا يقاتل إلّا من قاتله حتى يأتيه أمره، فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة، وبلغ الروم عظم ذلك العَسكر، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم؛ فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنفرت الروم، ونفر إليهم من بَهْرَاء وكُلْب وسَليح وتُنُوخ ولَخْم وجُذَام وغسّان من دون زَيزاء[5] بثلاث، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تُحْجِم واستنصر الله، فسار إليهم خالد، فلما دنا منهم تفرّقوا وأعروا منزلهم، فنزله خالد ودخل عامة من كان تجمّع له في الإسلام.

وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك. فكتب إليه أبو بكر: أقْدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك، فسار فيمن كان خرج معه من تيماء أو فيمن لحق به في طرف الرمل حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل[6] فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يُدعى مَاهَان[7] فهزمه وقتل جُنده وكتب بذلك إلى

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ١٨٦ «العاقبة».

(٢) مرج الصفر: بالضم ثم الفتح والتشديد، والراء، موضع بين دمشق والجولان، صحراء كانت بها وقعة مشهورة في أيام بني مروان. (معجم البلدان).

(٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٨٨ حوادث سنة ١٣.

(٤) تيماء: بالفتح والمدّ، بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق (ياقوت).

(٥) زيزاء من قرى البلقاء (معجم البلدان).

(٦) آبل: بالأردن من مشارف الشام. والقسطل موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة (معجم البلدان).

(٧) في الطبري ومختصر ابن منظور: باهان بالباء.

أبي بكر واستنفره[١]. وقدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن، ومن بين مكة وبين اليمن، وفيهم ذو الكلاع، وقدمَ عليه عِكْرِمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تِهامة[٢] وعُمان والبحرين والسَّرو فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسمّي ذلك الجيش جيش البدال. وقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام، وعناه أمره، وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عِمالة كان رسول الله ﷺ ولّاها إيّاها من صدقات سعد هُذَيم وعُذْرة ومن لقيهم من جُذَام وحَدَس[٣] قبل ذهابه إلى عُمان. فخرج إلى عُمان وهو على عِدة من عمله إذا هو رجع فخرج إلى عُمان فأنجز له ذلك أبو بكر.

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو: إنّي قد كنت رددتك إلى العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولّاكه مرّة، وسمّاه لك أخرى مبعثك إلى عمان إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ، قد وُليته ثم وليته، وقد أحببت أبا عبدالله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك، إلّا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك. فكتب إليه عمرو: إنّي سهم من سهام الإسلام، وإنك بعد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي. وكتب إلى الوليد [ابن عقبة] نحو ذلك فأجابه بإيثار الجهاد.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين، أنا أبو طاهر، نا أبو بكر بن سيف، نا السري ابن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد قال[٤]: كتب أبو بكر إلى عمرو، وإلى الوليد بن عُقبة وكان على النصف من صدقات قُضاعة، وقد كان أبو بكر شيعهما مبعثهما على الصَّدقة وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة: اتّق الله في السر والعلانية، فإنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتّق الله يكفّر عنه سيئاته، ويُعظم له أجراً. فإنّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنك في سبيل من سبل الله لا يسعك فيه الإذهان[٥] والتفريط ولا الغفلة عمّا فيه قوام دينكم، وعصمة أمركم، فلا تنِ ولا تفتر. وكتب إليهما: استخلفا على أعمالكما، واندبا من يليكما.

فولّى عمرو على عُلياء قُضاعة عمرو بن فلان العُذْري، وولّى الوليد على ضاحية قُضاعة ممّا يلي دومة امرىء القيس، وندبا الناس، فتضامّ إليهما بشر كثير وانتظرا أمر أبي بكر.

---

(١) في الطبري: واستمده.

(٢) تهاية بالكسر، إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الحجفة وذات عرق (معجم البلدان). وعُمان اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند (ياقوت). السرو: منازل حمير بأرض اليمن، وهي عدّة مواضع (ياقوت).

(٣) حَدَس: بطن عظيم من العرب (قاموس).

(٤) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٠ حوادث سنة ١٣.

(٥) يقال: ذهن عن الشيء، وأذهنه عنه، أنساه إيّاه وألهاه عنه.

وقام أبو بكر في الناس خطيباً فحمد الله وصلّى على رسوله ﷺ وقال: ألا إن لكلّ أمر جوامع، فمن بلغها فهوحسبه ومن عمل لله عزّوجلّ كفاه الله عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، إلّا أنه لا دين لأحد لا إيمان معه ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نيّة له. ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي النجاة التي دل الله عليها ونجّى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة.

فأمدّ عمراً ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه، وأمّره على فلسطين، وأمره بطريق سماها له، وأتى الوليد فأمره بالأردن، وأمدّه ببعضهم ودعا يزيد بن أبي سفيان، فأمّره على جُندٍ عظيم، هم جمهور من انتدب له، وفي جُنده سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة، وشيّعه ماشياً. فقال يزيد: يا خلفة رسول الله أتمشي وأنا راكب؟ فأبى عليه وقال: إني أحتسب خطاي في سبيل الله.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن الجَنَدي وأبو القاسم عبد الرّحمن بن الحسين بن الحسن بن أبي العَقَب، قالا: أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم القُرشي، نا محمد ابن عائذ القرشي قال: قال الوليد: أخبرنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبَير: إن الله تبارك وتعالى لما نصر المسلمين على أهل الردّة وكَفَرَة بني خنيفة، وقُتل مُسَيلمة الكذّاب كتب أبو بكر إلى خالد يأمره بالمسير إلى العراق. فسار في ستة آلاف. وجهز أبو بكر الجيوش إلى الشام، فاجتمع له أربعة وعشرون ألفاً من المهاجرين والأنصار ومُسْلِمة الفتح وأمداد اليمن وأهل العالية. وولّى أبا عبيدة على ربع، وعمرو بن العاص على ربع، وشرحبيل بن حَسنة على ربع، ويزيد بن أبي سفيان على ربع وولّاه على جماعتهم.

قال: ونا ابن عايذ: قال: قال الوليد: وقد أخبرنا ابن لَهِيَعة عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزُّهري: أن أبا بكر بعث خالداً على جيشه قِبَل العراق، وبعث إلى الشام ثلاثة أمراء: خالد بن سعيد ابن العاص على جُندٍ، وعمرو بن العاص على جُندٍ، وشرحبيل بن حَسنة على جُندٍ. ولم يزل عمر بأبي بكر حتى أمّر يزيد بن أبي سفيان على جُندٍ فأدركهم بذي مَرْوَة.

قال الوليد بن مسلم: إنّ حديث صفوان بن عمرو عن عبد الرّحمن بن جُبير في تولية يزيد بن أبي سفيان على جماعتهم بالمدينة قبل أن يسيروا أنه أثبت. وبذلك اجتمعت الأحاديث.

قال: ونا ابن عايذ قال الوليد: وأخبرني أبو عمرو، عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصدّيق ولّى يزيد بن أبي سفيان على جماعتهم وخرج مشيّعاً له. وقال يزيد: إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل. فقال أبو بكر: ما أنا براكبٍ ولستَ بنازلٍ، إني أحتسب خُطاي هذه في سبيل الله.

أَخْبَرَنا أبو بكر محمد بن الحسين بن علي بن المَزْرَفي، أنا أبو الغنائم عبد الصّمد بن علي بن المأمون، أنا أبو القاسم عُبيد الله بن محمد بن إسحاق بن حبابة ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، وأبو المعالي أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الرُّويح المعروف بابن الحاجب قالا: أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسين قالا: نا عبدالله بن محمد، نا أبو نصر، نا كَوْثَر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر: أن أبا بكر بن أبي قُحافة رضي الله عنهم: بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام فمشى معهم نحواً من ميلين. فقيل له: يا خليفة رسول الله ﷺ لو انصرفت. قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اغبرّت قدماه في سبيل الله عزّوجلّ حرمهما الله على النار**»[٤٤٩][١] ثم بَدا له في الانصراف إلى المدينة فقام في الجيش فقال: أوصيكم بتقوى الله عزّوجلّ: لا تعصوا، ولا تغلوا، ولا تجبنوا، ولا تهدِمُوا بيعة، ولا تعزقوا نخلاً، ولا تحرقوا زرعاً، ولا تجشروا بهيمة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً، ولا صبيّاً صغيراً. وستجدون أقواماً قد حَبَسُوا أنفسهم للذي حَبَسُوها فذرُوهم وما حبسوا أنفسهم له. وستجدون أقواماً قد اتخذت الشياطين أوساط رؤوسهم أفحاصاً فاضربوا على أعناقهم. وسترون ـ وقال ابن المَزْرَفي: وستردون ـ بلداً يغدو ويروح عليكم فيه ألوان الطعام، فلا يأتيكم لون إلّا ذكرتم اسم الله عليه ولا ترفعوا لوناً ـ وقال ابن المزرفي ولا يُرفع لون ـ إلّا حمدتم الله عزّوجلّ عليه.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا أبو محمد عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم بن بشر القُرشي، نا محمد بن عائذ، نا الوليد بن مسلم، أخبرني صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبَيْر: أن أبا بكر لمّا وجّه الجيش إلى الشام قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أمرهم بالمسير إلى الشام وبشّرهم بفتح الله إيّاها حتّى تبنوا فيها المساجد فلا نعلم أنكم إنّما تأتونها تلهياً. والشام أرض شبيعة يكثر لكم فيها من الطعام فإيّاي والأشر. أما ورب الكعبة لتأشرنّ ولتبطرنّ، وإنّي موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن: لا تقتلن شيخاً فانياً ولا صبيّاً صغيراً ولا امرأة ولا تهدموا بيتاً ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تعقرن بهيمة إلّا لأكل، ولا تحرقوا نخلاً ولا تعزقوه، ولا تعصر ولا تجبن ولا تغلل وستجدون قوماً قد حبَسُوا أنفسهم فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له وستجدون آخرين محلقة رؤوسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منها بالسيوف، والله لئن أقتل رجلاً منهم أحبّ إليّ من أن أقتل سبعين من غيرهم ذلك بأن الله قال: ﴿**قاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم**﴾[٢].

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو بكر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قَتَادة، أنا أبو الفضل محمد بن عبدالله بن خميرويه الكرابيسي الهَرَوي ـ بها ـ أنا أحمد بن نجدة، نا الحسن بن الربيع، نا عبدالله بن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن

---

(١) فتح الباري، الجمعة، ح٩٠٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢.

المُسَيّب، أن أبا بكر لما بعث الجنود نحو الشام: يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة، قال: لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثَنيّة الوداع فقالوا: يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟ فقال: إنّي أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله. اغزوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإنّ الله ناصر دينه، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تجبنوا، ولا تفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمَرُون، وإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم: ادعُوهُم إلى الإسلام فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين، فأخبروهم أنهم كأعراب المُسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فُرض على المؤمنين وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله ولا تعزقن نخلاً، ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتّخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله.

وأخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: نا أبو العبّاس محمد بن يعقوب قال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: هذا حديث منكر، ما أظن من هذا شيئاً هذا كلام أهل الشام، أنكره أبي على يونس من حديث [الزهري] كأنه عنده من يونس، عن نمير الزُّهري.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن سهل الفقيه، أنا أبو عثمان سعيد بن عبدالله بن محمد البَحيري، أنا زاهر بن أحمد الفقيه، أنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، نا أبو مُصعب الزّهري، نا مالك، عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصدّيق بعث جيوشاً إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان وكان أمير ربع من تلك الأرباع فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر الصدّيق: إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل. فقال له أبو بكر: ما أنت بنازل وما أنا براكب. إنّي أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ثم قال: ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فَذَرْهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف. وإني موصيك بعشرٍ: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلّا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تعزقنه، ولا تغلُل، ولا تجبن.

أَخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالا: نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا يحيى بن أبي طالب، أنا عبد الوهاب بن عطاء، أنا رَوْح بن القاسم، عن يزيد بن أبي مالك الشامي قال: جهّز أبو بكر الصدّيق يزيد بن أبي سفيان بعثه إلى الشام أميراً فمشى معه وذكر الحديث بمعناه.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ، نا أبو العباس، نا أحمد ابن عبد الجبّار، نا يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، حدّثني صالح بن كيسان قال: لما بعث أبو بكر يزيد بن أبي سفيان إلى الشام على رَبع من الأرباع خرج أبو بكر معه يوصيه، ويزيد راكب [وأبو بكر يمشي، فقال يزيد: يا خليفة رسول الله، إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل، فقال: ما أنت بنازل وما أنا براكب] إني احتسب خطاي هذه في سبيل الله، يا يزيد إنّكم ستقدمون بلاداً تؤتون بها بأصناف من الطعام، فسمّوا الله على أوّلها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حَبسُوا أنفسهم في هذه الصوامع فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم. وستجدون أقواماً قد اتخذوا الشيطان على رؤوسهم مقاعد ـ يعني الشمامسة ـ فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيراً هرماً، ولا امرأة ولا وليداً، ولا تخربوا عمراناً، ولا تقطعوا شجرة إلّا لنفع، ولا تعقُرنّ بهيمة إلّا لنفع، ولا تحرقن نخلاً ولا تعزقنه، ولا تغدر، ولا تمثّل ولا تجبن، ولا تغلل ﴿**وليَنصُرَنّ الله من ينصُره**﴾(١) ورسُلَه بالغيب ﴿**إن اللهَ قويٌّ عزيزٌ**﴾ أستودعك الله وأقرئك السلام ثم انصرف.

قال: ونا يونس، عن ابن إسحاق، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير وقال لي: هل تدري لم فَرّق أبو بكر وأمر بقتل الشمامسة، ونهى عن قتل الرهبان فقلت: لا أراه إلّا لحبس هؤلاء أنفسهم، فقال: أجل، ولكن يلقون القتال فيقاتلون، وإن الرهبان رأيهم أن لا يقاتلوا وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾(٢).

أَخْبَرَنا أبو غالب أحمد وأبو عبدالله يحيى، ابنا الحسن بن البنا، قالا: أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المُسْلَمة، أنا أبو طاهر المُخلّص، أنا أحمد بن سُليمان الطوسي، نا الزبير بن بكار، حدّثني مصعب بن عبدالله قال: لما سار خالد بن الوليد يريد دومة الجَنْدَل أخذ المفاوز، واستأجر رافعاً الطائي يهديه، واشترى خمسين شارفاً(٣) فكبتها وأوجرها بعد وسقاها عَلَلاً ونهلاً(٤) فكلّما نزل منزلاً نحر وجعل أكراشها على النار وشرب القوم منها، حتى إذا شارفوا رَمِدَ رافع حتى لم يبصر. فقال رافع: ائتوني بغلام حديث قال: أروني الماء ثم قال للغلام: ما ترى؟ قال: أرى سِدْراً على موضع مرتفع فقال ذلك سدر دُومة الجَنْدَل. وقال خالد بن الوليد: أقسم بالله لتركبن، وقال خالد:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.
(٣) الشارف من النوق المسنة الهرمة (قاموس).
(٤) العلل: الشربة الثانية، والنهل: الشربة الأولى.

ضـلّ ضـلال رافـع إنـي اهْـدى فَــوّز مــن قُــراقــرٍ إلى سُــوى
خِمساً إذا ما سارت الجيش بكى مــا ســارها مــن قـبله أنس أرَى

أخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمن بن عبدالله بن الحسن بن أبي الحديد، أنا جَدي أبو عبدالله، أنا علي بن الحسن الرّبعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حِبان، أنا أبو العباس بن الزّفتي، أنا محمد بن محمد بن مُصْعَب الصُّوري، نا محمد بن المبارك الصُّوري، نا الوليد بن مسلم: سمعت إسحاق بن أبي فروة يحدث أن خالداً ومن معه هبطوا من ثَنيّة الغوطة تقدمهم راية رسول الله ﷺ السوداء التي يقال لها العُقابُ فبها سميت يومئذ ثَنيّة العُقاب.

أخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي، أنا أبو الحسن محمد بن علي السيرافي، أنا أبو عبدالله أحمد بن إسحاق بن خَرْبان النهاوندي، نا أحمد بن عمران بن موسى، نا موسى بن زكريا التُّسْتَري، نا أبو عمرو خليفة بن خياط العُصْفُري، نا بكر يعني ابن سُليمان، عن ابن إسحاق قال[١]: وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد فسار إلى الشام، فأغار على غسّان بمرج راهط[٢] ثم سار فنزل على قناة بُصْرى[٣] وقدم فيه يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجرّاح وشرحبيل بن حسنة فصالحه أهل بُصرى فكانت أوّل مدائن الشام فُتحت وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر[٤] ومرّ على حُوَّارين[٥] فقتل وسَبَى.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، نا أبو بكر الخطيب ح.

وأنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن اللاّلْكَائي، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، أنا يعقوب، نا عمّار، عن سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سار خالد حتى أغار على غسّان بمرج راهط ثم سار حتى نزل على قناة بُصرى وعليها أبو عبيدة بن الجرّاح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا فرابطوها حتى صالحت بُصرى على أخذ الجزية وفتحها الله على المسلمين فكانت أوّل مدينة من مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر[٦].

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي أنا أبو بكر البيهقي ح.

و**أخْبَرَنا** أبو القاسم بن السّمرقندي، أنا أبو بكر بن اللاّلْكائي، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل بن القطان، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب بن سفيان، نا أبو اليَمان الحكم بن نافع [نا] صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبير، أن أبا بكر الصّدّيق كان جهز بعد النبي ﷺ جيوشاً على بعضها

---

(١) تاريخ خليفة: ١١٨ حوادث سنة ١٣.
(٢) مرج بجوار دمشق.
(٣) بصرى: قصبة كورة حوران (ياقوت).
(٤) تدمر: مدينة مشهورة في برية الشام (ياقوت).
(٥) قرية على مرحلتين من تدمر، وقيل هي القريتين (ياقوت).
(٦) تاريخ الطبري: ٣ / ٤١٧ نقلاً عن ابن اسحاق.

شُرحبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص فساروا حتى نزلوا الشام فجمعت لهم الروم جموعاً عظيمة فحدّث أبو بكر بذلك فأرسل إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق وكتب: أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدْ إخوانك بالشام والعجلَ العجلَ، فأقبل خالد مغذاً جَواداً، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى ضُمَير فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففزعوا له، ففي ذلك يقول قائلهم:

ألا يا صبّحَينا قبل خيل أبي بكر لعَل منايَانا قريب ومَا ندري

انتهى حديث البيهقي وزاد ابن اللالكائي: فنزل خالد على شُرحبيل بن حَسنة ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأربعة أمراء وسارت الرّوم من أنطاكية وحلب وقِنَسرين وحِمْص وما دون ذلك، وخرج هِرقل كراهية لمسيرهم متوجّهاً نحو الروم وسار باهَان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن الجَنَدي وأبو القاسم عبد الرّحمٰن بن الحسين بن الحسن بن أبي العَقَب، قالا: أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أبو عبدالملك أحمد بن إبراهيم القرشي نا ابن عايذ قال الوليد: فحدثني يحيى، عن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه: أن المسلمين ساروا وعليهم هؤلاء الأمراء يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبي عُبيدة بن الجرّاح وشُرحبيل بن حَسَنة كل على عسكر، ومَنْ كانت الوقعة ما يلي عسكره فهو على أصحابه، وساروا معهم النساء والذريّة بالخيل والسلاح، ليس معهم حمار ولا شاة فأخذوا على طريق فلسطين حتى نزلوا بقرية يقال لها ثاذن من قرى غزة، وممّا يلي بالحجاز فلقيهم بها بطريق من بطارقة الروم، فأرسل إليهم أن يُخرجوا إليه أحد القوّاد ليكلّمه. قال: فتواكلوا ذلك وقالوا لعمرو بن العاص: أنت لذلك، فخرج إليه عمرو فرحب به البِطريق ومتّ إليه بقرابة العيص بن إسحاق بن إبراهيم من إسماعيل بن إبراهيم وقال: ما الذي جاء بكم ؟ فقد كانت الأباء اقتسمت الأرض فصار لكم ما يليكم وصار لنا ما يلينا وقد عرفنا أنكم إنّما أخرجكم من بلادكم الجهدُ، وسنأمُر لكم بمعروف وتنصرفون. فقال عمرو: أما القرابة فهي على ما ذكرتَ، وأما القسمة فإنّها كانت قسمة شططاً علينا فنحن نريد أن نترادّ[١] فتكون قسمة معتدلة، لنأخذ نصف ما في أيديكم من الأنهار والعمارة ونعطيكم نصف ما في أيدينا من الشوك والحجارة. وأما ما ذكرت من الجهد الذي أخرجنا فإنّا قدمنا فوجَدنا في هذه البلاد شجرة يقال لها الحنطة فذقنا منها طعاماً لا نفارقكم حتى نصيّركم عُبَيداً أو تقتلونا تحت أُصول هذه الشجرة. قال: قال: فالتفت إلى أصحابه فقال: صَدقوا. وافترقا.

---

(١) في المختصر: نزاد.

فاقتتلوا، فكانت بينهم معركة انصرف القوم على حامية ومضى المسلمون في آثارهم حتى طووهم عن فلسطين والأردن إلّا ما كان من إيليا وقيسارية [(١)] تَحصّن فيها أناس فتركوهم ومضوا إلى ناحية البثنية [(٢)] ودمشق.

أخْبَرَنا أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطي، أنا أبو المعالي ثابت بن بُندار، أنا العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن موسى البابسيري، أنا أبو أمية الأحوص بن المفضل بن غسّان الغَلّابي، نا أبي، حدّثني هشام بن عمّار، نا عبد الملك بن محمد، نا راشد بن داود الصَّنعاني، نا أبو عثمان الصنعاني شراحيل بن مرثد قال: بعث أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه في خلافته خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة وبعث يزيد بن أبي سُفيان إلى الشام، فكنت ممّن سار مع خالد إلى اليمامة فلما قدمنا قاتلنا أهلها قتالاً شديداً وظفرنا بهم، وهلك أبو بكر، واستُخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن الجرّاح إلى الشام، فقدم دمشق فاسْتمد أبو عُبيدة عمر، فكتب عمر إلى خالد أن سرْ إلى أبي عُبيدة بالشام، فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال: في كم تأتي إلى الحيرة ؟ فقال: في كذا وكذا، فقال: فعطّش خالد الإبل ثم سقاها واستقا وسَقى الخيل ثم طمم [(٣)] أفواه الإبل وأدبارها، وقال له الدليل: إن أنت أصبحت عند الشجرة نجوت ونجا من معك، وإن أصبحت دون الشجرة فقد هلكت وهلك من معك. فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل، وسقى ما في بطونها الخيل، وأطعم لحومَها المسلمين وسقى المسلمين من الزاد التي كانت تُحمل معه، ثم أتى الحيرة أو الكوفة فصالحه أسقفها.

كذا قال وإنّما كان هذا بعد رجوعه عن الحيرة. وأبو عبيدة كان بالشام أيام أبو بكر.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الـمُخلّص، أنا أبو بكر ابن سيف، أنا أبو بكر بن سيف، أنا السري بن يحيى، أنا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمرو، عن عمرو بن محمد، عن ا سحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهي ومحمد بن عبدالله، عن أبي عثمان، وطلحة، عن المغيرة، والمُهَلّب بن عُقبة عن سياه الأحمريّ. قالوا [(٤)]: كان أبو بكر قد وجّه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً. وأن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم، واستجلب الناس وعزّ، فهابته الروم وأحجموا عنه فلم يَصبر على أمر أبي بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الروم، حتى أورده الصفرين ثم تعطفوا عليه بعدما أمن، فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً، فوافقوه فقتلوه ومن

---

(١) على ساحل بحر الشام.

(٢) بلد من نواحي دمشق.

(٣) في المختصر: كعم.

(٤) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٠٧ حوادث سنة ١٣.

معه، وأتى الحي خالداً فخرج هارباً حتى أتى البر، فنزل منزلاً واجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا: والله لنشغل أبا بكر في نفسه عن توردِ بلادنا بخيوله.

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان به، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في بلاد قضاعة ـ بالسير إلى بلاد اليرموك ففعل، وبعث أبا عُبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وأمر كل واحد منهما بالغارة، وأن لا توغلوا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوّكم.

وقد عليه شُرحبيل بن حَسَنة بفتح من فتوح خالد، فسرّحه نحو الشام في جُندٍ وسمّى لكل واحد من أمراء الأجناد كورة من كور الشام، فتوافوا باليرموك فلما رأت الروم توافيهم، ندموا على الذي ظهر منهم، ونسوا الذي كانوا يتواعدون أبا بكر به، واهتموا وهمّتهم أنفسهم وأشجوهُم وشجوا بهم، ثم نزلوا الواقوصة وقال أبو بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث، وأمره أن يستخلف المُثنّى بن حارثة على العراق في نصف الناس، وإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك بالعراق.

قال ونا سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر أن [خالداً] أظن عمر وقال هذا عمله حسدني أن يكون فتح العراق على يدي، وإنّي بعد الله، كسّر الله حدّ العراق، ورعّب أهله وشجّع المسلمين على غزوه.

قال ونا سيف بن عطية بن الحارث، عن أبي سيف الثعلبي، عن ذي الجوشن الضبابي بمثله، وقال: ولا يشعر أن عمر لا ذنب له. فقال له القعقاع: ارفع لسانك عن عمر، والله ما كذب الصدِّيق ولا صدقت على أن أخيك قال: صدقني والله قبّح الله الغضب والظنون. وبالله يا قعقاع لقد أغريتني بحسن الظن. فقال القعقاع: الحمد لله الذي خلصك وأبقى فيك الخير ونفى عنك الشر.

وبعث خالد بالأخماس إلّا ما نفل منها مع عُمير بن سعد الأنصاري، وبمسيره إلى الشام، ودعا خالد الأدلة فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة، ثم طعن في البر إلى قُرَاقر ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين فكلّهم قال: لا نعرف إلّا طريقاً لا يحمل الجيوش يأخذه [الفَذّ] والراكب فإيّاك أن تغرر بالمسلمين فعزم عليه ولم يُجبه إلى ذلك إلّا رافع بن عُميرة على تهيئة شديدة فقال له خالد وللمسلمين: لا يهولنكم فإنّا عباد الله وفي سبيل الله، وعلى طاعة خليفة رسول الله ﷺ ونحن وإن كثرنا بعد أن نتزوّد فكالقليل المنكمش، فناشدوه فثاب فيهم فقال: لا يختلفن هديكم، ولا يضعفن نفسكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والمعونة على قدر الحَسَنة، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله له. فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لك الخير، فشأنك، فطابقوه ونووا واحسنوا واشتهى مثل الذي اشتهى خالد. فأمرهم خالد فترووا للشفة لِخمس. وأمر بصاحب كل خيل بقدر ما يسقيها، فظمّأ كل قائد من الإبل الشُرُف الجلاد ما يلتقي به، ثم سَقوها العلّ بعد النهل، ثم صرّوا

آذان الإبل وكعموها وحلّوا أدبارها، ثم ركبوا من قُرَاقر مفوزين إلى سُوا ـ وهي على جانبها الآخر ممّا يلي الشام ـ فلما ساروا يوماً افتظوا لكل عدة من الخيل عشراً من تلك الإبل، فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ثم سَقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ففعلوا ذلك أربعة أيام.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السّمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المخلص، أنا أبو بكر ابن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهي بمثله. وقال: فأخذ من قُراقر إلى سوطه فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل قريتين ثم نزل الحقار ثم نزل العرير ثم نزل سوى بليل.

قال: ونا سيف عن عبدالله بن محفِّز بن ثعلبة عمّن حدّثه، عن بكر بن وائل أن مُحْرِز بن قريش المحاربي قال لخالد: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم أُمّه تفض إلى سُوى، وكان أدلّهم.

وشاركهم محمد وطلحة، قالوا: ولما نزل بسُوَى وخشى أن يفضحهم حرّ الشمس، نادى خالد رافعاً: ما عندك ؟ قال: خير، أدركتم الماء وأنتم على الريّ، وشجعهم وهو متحيّر أرمد. وقال: يا أيّها الناس، انظروا علمين كأنهما ثديان، فأتوا عليهما، وقالوا: علمان، فقام عليهما فقال: اضربوا يمنة ويسرة ـ لعوسجة كقعدة الرجل ـ فوجدوا جذمها، فقالوا: جذم ولا نرى شجرة. فقال: احتفروا حيث شئتم، فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رواءً. فقال رافع: أيّها الأمير، والله ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلّا مرة وأنا غلام مع أبي، فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السّمرقندي، أنا أبو علي محمد بن محمد بن المسلمة، أنا أبو الحسن بن الحمامي، أنا أبو علي بن الصواف، أنا الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا إسحاق بن بشر قال: قال ابن إسحاق: إنّ عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر بعد قتل خالد بن سعيد ابن العاص يستمدّه. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالحيرة يأمره أن يمدّ أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ويستعمل على ضعفة أصحابه رجلاً منهم فلما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر. قال: هذا عمل الأُعيسر ابن عم سملة كره أن يكون فتح العراق على يدي. فاستعمل على الضعفاء عُمير بن سعد واستخلف على من أسلم من العراق المثنى بن حارثة الشيباني وعلى الحيرة والقرياب وخراجها ثم سار حتى نزل على عين التمر وأغار على أهلها ورابط حصونها [وفيها] مقاتلة كانت لكسرى وضعهم فيها، حتى استنزلهم فضرب أعناقهم. وسبى من عين التمر بشراً كثيراً، فبعث بهم إلى أبي بكر، وذلك أوّل سبي قدم المدينة. من ذلك السبي أبو عمرة أبو عبدالله بن أبي عمرة وعبيد مولى المعلى وأبو عبيد الله مولى بني زهرة وخير مولى أبي داود، ويسار مولى قيس ابن مخرمة.

قال: ونا أبو حذيفة، نا محمد بن إسحاق قال: وكان فيهم عُمير بن زيتون الذي ببيت المقدس،

ويسار مولى أبيّ بن كعب وهو أبو الحسن بن أبي الحسن البصري، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، ووجدوا في كنيسة اليهود صبياناً يتعلّمون الكتابة في قرية من قرى عين [التمر] يقال لها نُقَيرة وكان فيهم حمران بن أبان مولى عثمان، وقتل هلال بن عطية بن بشر النمري وصلبه. وسار ثم فوّز من قراقر، وهو ماء لكلب، إلى سُوى وهو ماء لبهراء. بينهما خمس ليال. فلم يهتد [إلى] الطريق. فطلب دليلاً فدُلّ على رافع بن عميرة الطائي. فأتاه رافع فاستدل على الطريق، فقال: أنشدك الله في نفسك وجيشك، فإنها مفازة خمس ليال ليس فيها ماء مع مضلتها وإن الراكب المنفرد يسلكها فيخاف على نفسه المهلكة، وما يسلكها إلّا مغرور. وما علمت أحداً أخذ فيها يثقل، فقال خالد: إنه لابدّ منه، وقد كتب إليّ الأمير بعزمه، فأحضرنا رأيك ونصيحتك ومرنا بأمرك. قال رافع: فابغني من الإبل عشرين سمان عظام، فأُتي بهن وظمّأهن حتى جهدن، فأوردها الماء فشربن حتى تملأن، ثم أمر بمشافرها فقطعن، ثم كعمهن كيلا يجترن، ثم حل أذنابهن، ثم قال لخالد: تزّود واحمل من أطاق أن يصرّ على أذن ناقته ماء فليفعل فإنها المهالك. ففعل وساروا فسار معهم، وسار خالد معه بالخيول والأثقال. فكلّما سار يوماً وليلة اقتطع منهنّ أربعة فأطعم لحمانها وسقى ما في أكراشها الخيل، وشرب الناس ماكانوا حملوا. وبقي منزل واحد، ونفدت الإبل، وخشي خالد على أصحابه في آخر يوم. فأرسل خالد إلى رافع أن الإبل قد نفدت فما ترى ؟ قال: قد انتهيت إلى الري فلا بأس عليك. اطلبوا شجرة مثل قعدة الرجل، فعندها الماء. ورافع يومئذ رمد، فطلبوها فلم يصيبوها فرجعوا إلى رافع فقالوا: لم نصبها. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هلكتم وهلكتُ، لا أبا لكم، اطلبوها فطلبوها فأصابوها، قد قطعت الشجرة وقد بقي منها بقية. فكبّر وكبّر الناس. فقال: احتفروا، فاحتفروا عيناً عذبة مروية. فترووا وسقوا وحملوا، فقال رافع:

إن هذه المفازة ما سلكتها قط إلّا مرّة واحدة مع أبي وأنا غلام.

قال ابن إسحاق: وبلغني أن خالداً لما نفذت الإبل خاف العطش. قال لرافع بن عميرة وهو أرمد، ويحك ما عندك ؟ قال: أدركت الري إن شاء الله. [انظر] هل ترى علمين كأنهما ندبان ؟ قال: نعم. فلما دنا من العلمين قال: انظروا هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل ؟ قالوا: لا والله، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. على مثل حديث الأول. فقال شاعر من المسلمين:

لله عينا رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قراقر إلى سُوى
خمساً إذا ما سارها الجبس بكى ... ما سارها من قبله أنس أرى

ثم إن خالد بن الوليد أغار على أهل سُوى، وهو ماء بهراء، قبل الصبح، وهم يشربون شراباً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها. ومغنيهم يقول:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب وما ندري

فزعموا أن ذلك الرجل المغني قتل تحت الغارة فسال دمه في الجفنة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السّمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المخلص، أنا رضوان ابن أحمد الصيدلاني ـ إجازة ـ نا أحمد بن عبد الجبار العطار، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: فحدّثني صالح بن كيسان ورجل من طيء عن من حدّثهما عن رافع بن عميرة. قال: ثم مضى خالد حين فرغ من عين التمر حتى أغار على ناس من النمر بن قاسط على ماء لهم يقال له قراقر ثم دعا رافع ابن عميرة فقال: إنّها قد جاءتني عزيمة من الأمير بأن أسير إلى الشام. فقال: إنّ بينك وبين المنهل الذي تريد الآن مسيرة خمس ليال جياد لا تجد فيهن قطرة ماء. حتى تأتي ماء يقال لها سُوى. وإنك لا تستطيع ذلك بالخيول والإبل. وقال: إنّ الراكب المفرد لتهمه نفسه فيه. فقال: ما لي من ذلك بدّ. فمرنا أمرك. فقال: من استطاع منكم أن يصرّ أذن ناقته على ماء فليفعل، وابغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسانّ. فجاءه بهن فظمّأهن أياماً حتى إذا أجهدهن العطش أوردهن فشربن، حتى إذا امتلأن عهد إليهن فقطع مشافرهن وكعمهن لئلا يجتررن. وحلّ أدبارهن لئلا يبلن. ثم قال: سيروا واستكثروا من الماء لشفاهكم. فخرج فكلما نزل منزلاً افتظ منهم أربعاً فسقى ما في كروشهن الخيول وشرب ا لناس ممّا عليهن. حتى انتهى إلى سوى في اليوم الخامس. وهو أرمد، فقال: انظروا شجرة مثل مقعدة الرجل من عوسج، فنظر الناس فقالوا: ما نراها. قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هلكتم والله إذاً وهلكتُ. ثم قال: ويلكم انظروا وتأمّلوا. فجال الناس حتى وجدوا بقية منها. فقالوا: قد وجدنا بعضها. فكبّر وقال: قد أدركتم الرواء. وأمرهم فحفروا قريباً منها، فكشفوا عن قليب كثير الماء، فتزوّد الناس منه. وقال رافع أما والله ما وردت قط إلّا مرّة واحدة مع أبي وأنا غلام صغير. فقال في هذا عن رافع أبو أُحيحة القرشي:

لله عـينا رافـع أنّـى اهـتدى ... فـي مـهمه مشـتبه نـحو سـوى
والعـين مـنه قـد تـغشاها الـندى ... مـعصوبة كأنـها مـلأى ثـرى
فـهو يـرى بـقلبه مـا لا يـرى ... من الصوى تترى له أثـر الصـوى
إذ النـقا بـعد النـقا إذا سـرى ... وهـو بـه خـبرنا ومـا دنـا
ومـا رآه ليس بـالقلب حسـي ... قـلب حـفيظ وفـؤاد قـد وعـى
فـوّز مـن قـراقـر إلى سـوى ... والسـير زعـزاع فـما فـيه ونـى
خمس إذا ما سارها الجبس بكى ... في اليـوم يـومين رواحـا وسُـرى
مـا سارها مـن قـبل إنسـي أرى ... هـذا لعـمري رافـع هـو الهـدى

ثم استقام لخالد الطريق، وتواصلت به المياه حتى إذا أغار على مرج العذراوية على ناس من غسان فأصاب منهم. ثم مضى حتى نزل مع أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشُرحبيل ابن حسنة على قناة بُصرى، فنزل معهم حتى صالحت بُصرى على الجزية، وكانت أول جزية وقعت بالشام في عهد أبي بكر.

وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد: أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه، الذين قدمت عليهم وهم فيه. ثم امض مخففاً في أهل القوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين. فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك ورحمة الله.

باب
ما رُوي من توقّع المشركين
لظهور دولة المُسلمين[1]

أخْبَرَنا أبو علي الحسن بن أحمد الحدّاد في كتابه، وحدّثني عنه أبو مسعود عبد الرحيم بن أبي الوفا المُعَدّل، أنا أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الحافظ، نا سليمان بن أحمد الطَبَراني، نا أبو زُرعة، نا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزُّهري: أخبرني عُبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن عبدالله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سُفيان وكفار قريش فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم وترجمانه ثم قال: أيّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم به نسباً، فقال: أدنوه منّي، وقربوا أصحابه فجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قلْ لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذب فكذّبوه.

قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء أن تأثروا عليّ كذباً لكذّبته عنه قال: ثم كان أوّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو نسب قال: فهل قال هذا القول فيكم أحد قط قبله ؟ قال: لا، قال: فهل كان في آبائه ملك ؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس اتّبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قلت: بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر ؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول الذي قال ؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر ؟ قلت: لا ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه ؟

قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إيّاه ؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منّا وننال منه. قال: فماذا يأمركم ؟ قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة وبالصدقة والعفاف والصّلة. فقال للترجمان: قل له إنّي سألتك عن نسبه فقلت إنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسُل تبعث في نسبَها قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله، قلت: رجل يأتمّ بقولٍ [قيل] قبله. وسألتك هل كان من آبائه ملك فذكرت أن لا.

فقلتُ لو كان أحد منكم قال هذا القول قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا، فقد أعرفُ أنه لم يكن لِيذَر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل وسألتك أشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم

---

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ١٩٥.

اتّبعوه، وهم أتباع الرُسُل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ، وسألتك أيرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب. وسألتك هل يغدر ؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الرسُل لا يغدرون. وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة وبالصّدقة والعفاف والصّلة فإن كان ما يقول حقّاً فسيملك موضع قدميّ هاتين وهو نبي وقد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أكن أظنّ أنه منكم، ولكن لو أني أعلمُ أني أخلص لتجشمت كفاه، ولو كنتُ عنده لغسلت قدميه.

ثم دعا بكتابِ رسول الله ﷺ الذي بعث به دِحْية إلى عظيم بُصرى ودفعه إلى هِرقل فقرأه فإذا هو: بسم الله الرّحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هِرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تَسْلَم، أسْلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك اسم الإرّيسين و﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ الآية[(١)].

قال أبو سُفيان [(٢)]: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرَجَنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا، لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة إنه يخافه [ملك] بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام، وكان ابن فاطور وهو صاحب إيلياء وهِرقل سقّفه على نصارى الشام يحدث أن هِرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس. فقال له بعض بطارقته لقد أنكرنا هيئتك فقال ابن قاطور: وكان هِرقل رجلاً حزّاءً ينظر في النجوم. فقال لهم حين سألوه: إنّي رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر. فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا: ليس يختتن غير اليهود فلا يهمنك شأنهم، وأْمُرْ إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينا هم على أمرهم ذلك أُتيَ هِرقل برجل أرسل [به] ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ فلما: استخبره هِرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟

فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، فسأله عن العرب أيختتنون ؟ فقال: نعم هم يختتنون، فقال هِرقل: هذا مَلك هذه الأمة قد ظهر، فكتب هِرقل إلى صاحبٍ [له] برومية وكان نظيره في العلم، وسار هِرقل إلى حِمص فلم يَرُم حِمص حتى أتاه كتاب يُوافق هِرقل على خروج رسول الله ﷺ وأنه نبي. فأذن هِرقل لعظماء الروم في دَسْكرة له بحِمص ثم أمر بأبوابها فغُلقت، ثم اطلع فيها فقال لهم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم ؟ تتبعوا هذا الرجل. فحاصوا حيصة حَمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها وقد أُغلقت، فلما رأى هرقل تفرقتهم وأيَس من إيمانهم فقال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) دلائل النبوة: ٤ / ٣٨٤ والكامل لابن الاثير: ١ / ٥٩٢.

ردّوهم عليّ، وقال: إنّما قلت مقالتي التي قلتُ لكم آنفاً أختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت الذي أحبّ فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرقل.

أخرجه البخاري عن أبي اليمان(١).

والمحفوظ: ابن الناظور ويقال بالطاء المهملة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السّمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المُخلّص، نا أبو بكر ابن سيف، نا السري، عن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر، عن محمد وطلحة قالا: وقد كان أمير الجند يعني جند الروم باليرموك قد بعث عَيناً من عرب الشام، فدخل على المسلمين عَسكرهم، فرجع إليه بأخبرهم أنهم بالليل رُهبان وبالنهار فرسان. هم فيما بينهم كالعبيد، وعلى من سواهم كالأسود. إذا قالوا صدقوا، وإذا واعدوا وفوا. يأخذون لله حقوقه ولو مِنْ أنفسهم. فقال: إنّي لك أن تجيب صادقاً، لَلْمَوتُ خير من الحياة وليمرَنّ علينا منهم شرّ طويل.

أَخْبَرَنا أبو القاسم، أنا ابن النَّقُّور، أنا أبو طاهر، نا أبو بكر، نا السري، نا شعيب، نا سيف، عن هشام بن عُروة، عن أبيه نحواً منه، وزاد: ولوددت أن حظي من ربي أن يخلّي بيننا وبينهم فلم ينصرك عليهم ولم ينصرهم عليّ (٢).

قال ونا سيف، عن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون قالوا: وقد كان هِرقل [حج] قبل مَهزم خالد ابن سعيد، حج البيت المقدس فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه، فجمع الروم وقال: أرى من الرأي أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم، فوالله لأن تعطوهم [نصف] ما أخرجت الشام، وتأخذون نصفاً وتبقى لكم جبال الروم، خير لكم من أن يغلبُوهم على الشام، ويشارككم في جبال الروم فنخر أخوه ونخر ختنه؛ وتصدع عنه من كان حوله؛ فلما رآهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه، وأمّر الأمراء ووجّه إلى كل جُند جنداً.

فلما اجتمع المسلمون، أمرهم بمنزل [واحد] جامع واسع حصين فنزلوا بالواقوصة، وخرج فنزل حِمص. فلما بلغه أن خالداً قد اطلع على سُوى فانتسف أهله وأموالهم، وعمد إلى بُصرى فافتتحها، وأباح عذراء قال لجلسائه: ألم أقل لكم لا تقاتلوهم، فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم ولا يقوم لهم أحد حتى يُبلى، فقالوا له: قاتل عن دينك ولا تخشَ الناس، واقض الذي عليك. قال: وأي شيء أطلب بهذا إلّا توقير دينكم.

ولما نزلت جنود المسـمين اليرموك بعث إليه المسلمون: إنّا نريد كلام أميركم، وملاقاته، أفتدعونا نأته نكلّمه؟ فأبلَنوه، فأذن لهم فأتاه أبو عبيدة كالرسول ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بن هشام، وضِرار بن الأزور، وأبو جندل بن سُهيل، ومع أخي الملك يومئذ في عسكره

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ٧ باب بدء الوحي.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٠٢.

ثلاثون رواقاً وثلاثون سُرادقاً كلها من ديباج. فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا فيها. وقالوا: لا نستحل الحرير فأنزلنا، فنزل إلى فُرُش له ممهدة وبلغ ذلك هِرقل فقال: ألم أقل لكم هذا أوّل الذلّ، أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صلح. فرجع أبو عُبيدة وأصحابه وأبعدوا. فكان القتال حتى جاء الفتح.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي محمد بن محمد بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن الحمّامي، أنا أبو علي الصّوّاف، نا الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، أنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر، قال: قال ابن إسحاق؛ أنبأ محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير: أن القبقلان بعث رجلاً من غسان فقال له: ادخل في هؤلاء القوم - يعني - أبا عُبيدة وجنوده فأقم فيهم يوماً وليلة [ثم ائتني بخبرهم، قالوا: فدخل في الناس ذلك الغسّاني، فأقام فيهم يوماً وليلة] ثم جاءه فقال: ماذا وراءَم ؟ ما وجدت عليه القوم ؟ فقال: هم بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق مَلكهم قطعوا يده، ولو زنا رجموه - يعني - بذلك إقامتهم الحق لله تعالى. قال: فقال القيقلان: إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير لنا من ظهرها، ولوددت إن شاء الله يحول بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ.

أَخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمن بن عبدالله بن الحسن بن أبي الحديد، أنا جدي أبو عبدالله، أنا أبو الحسين علي بن الحسن الرَّبعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حبان بن موسى، أنا أبو العبّاس بن الرّقّي واسمه عبدالله بن عتّاب، أنا محمد بن محمد بن مُصعب المعروف بوحشي، نا محمد بن المبارك، نا الوليد، قال: وأخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغسّاني يحدّث عن رجلين من قومه من غسّان قال: لما كان المسلمون بناحية الأردن تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر، فقال أحدنا لصاحبه: هل لك أن تدخل المدينة فسد من سوقها قبل حصارها، فبينا نحن نتسوق إذ أتانا رسول بِطريقها اصطراخيه. فذهب بنا إليه. فقال: أنتما من العرب ؟

قلنا: نعم. قال: وعلى النصرانية ؟ قلنا: نعم.

قال: ليذهب أحدكما إلى هؤلاء فليتجسّس لنا من خبرهم ورأيهم، وليتثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا فلبث لبثاً ثم جاءه فقال: جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولاً مشاق أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان يريشُون النَبل ويبرونها ويثقفون القنا. لو حدّثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر فالتفت إلى أصحابه فقال: [أتاكم] منهم ما لا طاقة لكم به.

أَخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم العَلوي، أنبأ رشأ بن نظيف المقريء، أنا الحسن بن إسماعيل ابن محمد، نا أحمد بن مروان المالكي، نا أبو إسماعيل الترمذي، نا معاوية بن عمرو، عن ابن إسحاق، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواقاً عند اللقاء، فقال هِرقل وهو على

انطاكية لما قدمت منهزمة الروم قال لهم: أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا هم بشر مثلكم ؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم ؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم ومن أجل أنّا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب، ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عمّا يرضي الله، ونفسد في الأرض. قال: أنت صدقتني.

باب
ذكر ظَفَر جيش المسلمين المُظفَّر وظهوره على الرّوم بأَجْنَادَيْن وفِحل ومَرْج الصُّفَّر

أَخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ح.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن اللالْكَائي قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، نا إبراهيم بن المنذر، نا ابن فُلَيح، عن موسى بن عُقبة، عن ابن شهاب قال: كانت وقعة أَجْنَادَيْن وفِحْل في سنة ثلاث عشرة، أَجْنَادَيْن في جمادى وفِحْل في ذي القعدة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عمر بن عُبيد الله بن عمر، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا عثمان بن أحمد بن السِّماك، نا حنبل بن إسحاق، نا إبراهيم بن المُنذر، نا محمد بن فُليح، عن موسى بن عُقبة، عن الزُّهري، قال: كانت وقعة أَجْنَادَيْن وفِحل في سنة ثلاث عشرة أَجْنَادَيْن في جمادى، وفِحْل في ذي القعدة.

قال: ونا حنبل، نا هلال بن العلاء، نا عبدالله بن جعفر الرّقي، نا مُطَرِّف بن مازن اليماني، عن مَعْمَر قال: ثم كانت وقعة أَجْنَادَيْن في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وعليهم شرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد.

أَخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم ابن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم بن بشر القُرشي، نا محمد بن عائذ، نا الوليد، حدّثني شيخ من بني أمية، عن أبيه قال: ثم أغزا أبو بكر جماعةً من المسلمين، إلى الشام فكانت وقعة أَجْنَادَيْن في جمادى الأولى، ووقعة فِحْل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة..

قال: وكذلك حدّثني زيد بن دعكنة أن هاتين الوقعتين بأَجْنَادَيْن وفِحْل في هذين الشهرين من سنة ثلاث عشرة. وبذلك حدّثني عبدالله بن لهَيْعة، عن أبي الأسود أن وقعة أَجْنَادَيْن وفِحْل كانتا في هذين الشهرين من سنة ثلاث عشرة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي بن المَسْلمة، أنا أبو علي بن الصّواف، نا أبو محمد الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا أبو حُذيفة إسحاق بن بشر القُرشي قال: قالوا: وكانت وقعة أَجْنَادَيْن يوم السبت صلاة الظهر لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.

أَخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة، قال: نا أبو بكر الخطيب ح.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، قالوا: أنا أبو الحسين بن الفضل

القطان، أنا عبدالله بن جعد، نا يعقوب، نا حامد بن يحيى، نا صدقة يعني ابن سابق، عن محمد بن إسحاق قالا: استُخْلِف عمر على رأس اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان [أمر] الناس بالشام إلى خالد بن الوليد، والأمراء على منازلهم. فساروا قِبَل فِحْل من الأردن، وكانت فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، وعلى رأس ستّة أشهر من خلافة عمر.

قال: ونا يعقوب، حدّثني سَلمة، عن أحمد بن حنبل، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعْشَر قال: وكانت فِحْل في ولاية عمر لستّة أشهر مضين فيها.

قال: ونا يعقوب، نا إبراهيم، نا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبَة، عن ابن شهاب. وقال حسان ابن عبدالله، عن ابن لَهِيَعة، عن أبي الأسود، عن عُروة، قالا: كانت وقعة أجْنَادَيْن وفِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة. ولما توفي أبو بكر واستُخْلِف عمر نزع خالد بن الوليد وأمَّر أبا عُبيدة بن الجرّاح على الأجناد.

أخبرتنا أمّ البهاء فاطمة بنت محمد بن أحمد بن البغدادي، قالت: أنا أبو طاهر أحمد بن محمود، أنا أبو بكر بن المقريء، نا محمد بن جعفر الرزاز، نا عبدالله بن سعد، نا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وكانت فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة على رأس ستّة أشهر من خلافة عمر.

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، عن أبي محمد الجوهري، عن أبي عمر محمد بن العبّاس ابن حيويه، أنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق بن إبراهيم بن الخليل الحَلّاب، أنبأ الحارث بن محمد ابن أبي أُسامة التميمي، أنا محمد بن سعد كاتب الواقدي، أنا محمد بن عمر الواقدي، قال: وفيها يعني سنة أربع عشرة، كان فتح مرج الصُّفَّر فأقام المسلمون بها خمس عشرة من المحرّم. وفيها زحف المسلمون إلى دمشق في المحرم فحاصروها ستّة أشهر إلّا يوماً.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر الطبري، أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، قال: كانت أجْنَادَيْن في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأميرها عمرو بن العاص ومعه خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة. وكان فِحْل وأجْنَادَيْن في عام واحد وذلك سنة ثلاث عشرة، غير أن فِحْل كان على رأس خمسة عشر يوماً من خلافة عمر، يعني أن فِحْل كانت في رجب.

أخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي، أنا أبو الحسن محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم السيرافي، أنا أبو عبدالله أحمد بن إسحاق النهاوندي القاضي، نا أحمد بن عمران بن موسى، نا موسى بن زكريا، نا أبو عمرو خليفة بن خيّاط العُصْفُري، نا بكر بن سليمان، قال: وقال أبو إسحاق: وقعة مرج الصُّفَّر يوم الخميس لاثني عشرة بقيت من جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة والأمير خالد بن الوليد.

أخبَرَتنا أمّ البهاء فاطمة بنت محمد بن أحمد بن البغدادي، أنا أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي، أنا أبو بكر بن المقريء، نا محمد بن جعفر الزّرّاد المنبجي، نا عُبيد الله بن سعد، نا عمي، نا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وكانت أجْنَادَيْن في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جُمادى الأولى، وقتل يومئذ من المُرسَلين ممّن ينتمي لنا من قريش أربعة عشر رجُلاً، ولم يسمّ لنا من الأنصار أحدٌ أُصيب بها.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن أحمد بن أشليها المقريء، وابنه أبو الحسن علي بن الحسين، قالا: أنا أبو الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن طاهر بن الفرات، أنبأ أبو محمد عبد الرّحمن بن عثمان ابن أبي نصر، أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنبأ أحمد بن إبراهيم القرشي، أنا محمد بن عايذ القُرشي، نا الوليد عن سعيد وابن جابر قالا: ثم كانت أجْنَادَيْن بعد[1] وقعة مرج الصُّفَّر قال سعيد: التقوا على النهر [عند الطاحونة] فقُتلت الروم يومئذ حتى جرى النهر وطحنت طاحونتها بدمائهم، فأنزل الله على المسلمين نصره، وقتلت يومئذ أمّ حكيم أربعة من الروم بعمود فُسطاطها.

أخْبَرَنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الفَرَضي، أنا أبو محمد الجوهري، أنبأ أبو عمر بن حيّويه، أنا أبو الحسن أحمد بن معروف الخشاب، أنا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سعد، أنا محمد بن عمر، حدّثني سعيد بن راشد، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس، قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يحدّث في بيت المقدس يقول: شهدنا أجْنَادَيْن ونحن يومئذ عشرون ألفاً وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص، فهزمهم الله تعالى وتفرّقوا. ففاءت فئة إلى فِحْل في خلافة عمر بن الخطاب، فسار إليهم عمرو بن العاص في الناس حتى نفاهم عن فِحْل.

أخْبَرَنا أبو علي الحسن بن علي بن الحسين بن أحمد بن أشليها المقريء وابنه أبو الحسن علي، قالا: أنا أبو الفضل أحمد بن علي بن الفرات، أنبأ أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم، نا ابن عايذ، نا محمد بن عمر، عن سعد بن راشد، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يحدّث في بيت المقدس يقول: شهدنا أجْنَادَيْن ونحن يومئذ عشرون ألفاً وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص فهزمهم الله تعالى ففاءت فئة إلى فحل في خلافة عمر رضي الله عنه، فسار إليهم في الناس عمرو بن العاص فنفاهم إلى فِحْل.

قال محمد بن عمر: وأهل الشام قاطبة وعامة رواتنا يقولون: إن أجْنَادَيْن كانت قبل فِحْل، وهي في ولاية أبي بكر، وكان فِحْل في ذي القعدة في خلافة عمر على رأس خمسة أشهر من خلافته.

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٠١: ثم كانت بعد أجْنَادَيْن وقعة مرج الصّفّر.

أَخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمن بن عبد الله الخطيب، أنا جدّي أبو عبدالله الحسن بن أحمد، أنا علي بن الحسن بن علي، أنبأ العبّاس بن محمد بن حيان، نا عبدالله بن عتاب بن الزفتي، نا محمد بن محمد بن مُصعب، نا محمد بن المبارك، نا الوليد.

وقرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي عن عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا محمد بن أحمد بن هارون الجندي، وعبد الرحمن بن الحسين بن الحسن بن علي بن يعقوب، قالا: أنبأ أبو القاسم بن أبي العَقَب، نا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم، نا محمد بن عايذ قال: قال الوليد: أخبرني سعيد بن عبد العزيز وابن جابر: أن أوّل وقعة كانت بين المسلمين وبين الروم بأَجْنَادَيْن نصر الله المسلمين. قال ابن جابر: فهي إِحْدى ملاحم الروم التي أُبيروا فيها.

أَخْبَرَنا أبو علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن أشليها المصري وابنه أبو الحسن، قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، أنا محمد بن عايذ قال: نا الواقدي قال: وكان فتح أَجْنَادَيْن يوم الاثنين لاثنتي عشرة بقيت من شهر جمادى الأولى. قال الواقدي: واليقين عندنا أن أَجْنَادَيْن كانت في جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وبُشّر بها أبو بكر رضي الله عنه وهو بآخر رمق.

[قال وحدّثنا ابن عائذ، أنبأ الوليد بن مسلم، عن عبدالله بن لَهْيَعة، عن أبي الأسود. عن عروة قال: وكانت وقعة أَجْنَادَيْن في جمادى سنة ثلاث عشرة. وكانت وقعة فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأ أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر المخلّص، أنبأ أبو بكر ابن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر التميمي، عن سهل، عن القاسم ومبشّر عن سالم، ويزيد بن أبي أسيد الغسّاني، عن خالد وعبادة قالوا: ولما قدم الوليد على خالد بن سعيد فسانده، وقدمت جيوش المسلمين الذي كان أبو بكر أمدّه بهم، وسُمّوا بجيش البِدال، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم إليه، اقتحم على الروم، طلب الحُظوة، وأعرى ظهره وبادر الأمراء بقتال الروم. فاستطرد له باهان فأرز هو ومَنْ معه إلى دمشق. واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعِكْرمة والوليد حتى نزل بالمرج، مرج الصُّفَّر، بين الواقوصة ودمشق. فانطوت مسالح باهان عليه، وأخذوا عليه الطُّرق ولا يشعر. وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس، فقتلوهم. فأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة. فأَفْلَتَ مَنْ أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم، ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المَرْوَة. وأقام عكرمة في الناس ردءاً لهم، فردّ عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه وأقام من بالشام على قريب. وقدم شرحبيل بن حسنة وافداً من عند خالد بن الوليد، فندب معه الناس، ثم استعمله [أبو بكر] على عمل الوليد وخرج معه يوصيه.

أَخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي وابنه أبو الحسن علي قالا: أنبأ أبو الفضل بن الفرات، أنبأ أبو محمّد بن أبي نصر، أنا أبو قاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك القرشي، نا محمد بن عائذ، نا الواقدي، عن هشام بن سعد.

عن عُروة بن رُوَيم أن خالد بن الوليد مضى إلى أصحابه حتى نزل على قناة بُصْرى. فوجد الأمراء مقيمين لم يفتحوا شيئاً. قال: ما مقامكم بهذا الموضع ؟ انهضوا. فنهضوا بأهل بُصْرى. فما أمسوا ذلك اليوم حتى دُعوا إلى الصلح، فصالحوهم وكتبوا بينهم كتاباً. فكانت أوّل مدينة فتحت من الشام صلحاً.

قال: ونا ابن عائذ، نا عبد الأعلى، عن سعيد بن عبد العزيز قال: أوّل مدينة فُتحت بالشام بُصرى، وفيها مات سعد بن عُبادة.

وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق في تاريخه: أن بُصرى افتتحت لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة.

قرأت على أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، عن أبي الفتح عبد الكريم بن محمّد بن أحمد ابن المحاملي.

أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني قال: وأما فِحْل فهو موضع بالشام كان به وقائع بين المسلمين والمشركين. فنسبت تلك الوقعة إلى الموضع، فقيل وقعة فِحْل وعام فِحْل. وأخبار ذلك في الفتوح.

هكذا ذكره بكسر الفاء. ونقلته من نسخة بخط زوج الحرّة مقروءة على الدارقطني كذلك. وقرأته بخط أبي بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الدولابي الحافظ: فَحْل بفتح الفاء وسكون الحاء هو الصواب.

وكذلك يقول أهل الشام: إن فِحْل كانت قبل فتح دمشق. وذكر سيف بن عمر التميمي أنها كانت بعد فتح دمشق. والله أعلم.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُّور، أنبأ أبو طاهر محمّد بن عبد الرحمن بن العباس المخلّص، أنا أبو بكر بن سيف، ثنا السري بن يحيى، نا شعيب ابن إبراهيم، نا سيف بن عمر، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغَسّاني وأبي حارثة العبتي قالا[(١)]:

وخلّف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وساروا نحو فِحْل. فكان على الناس شرحبيل بن حسنة. فبعث خالداً على المقدّمة وأبا عبيدة وعَمْراً على مجنبتيه، وعلى الخيل ضِرار، وعلى الرَّجْل عِياض. وكرهوا أن يصمدوا لهرقل. وخَلْفهم ثمانون ألفاً. وعلموا أنّ

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٤٢ حوادث سنة ١٣.

بإزاء فِحْل جند الروم وإليهم ينظرون، وأن الشام بعدهم سِلْم. فلما انتهوا إلى أبي الأعور عوّموه إلى طبرية، فحاصروهم، ونزلوا على فِحْل من الأردن ـ وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرزوا إلى بَيْسان[١] ـ فنزل شرحبيل بالناس فِحْلاً، والروم ببَيْسان. وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال. وكتبوا إلى عمر بالخبر، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام ولا يريدون أن يريموا عن فِحْل حتى يرجع جواب كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوّهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال. وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة فِحْل وذات الرَّدَغة[٢] وبَيْسان. وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل ما ترك فيه المشركون: مادّتهم متواصلة وخصبُهم رغدٌ. فاغترّهم القوم، وعلى الروم سَقلار بن مِخْراق، ورجوا أن يكونوا على غرّة فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم، فهم على حذر. وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلّا على تعبئة. فلما هجموا على المسلمين فغافَصوهم[٣] لم يناظروهم، فاقتتلوا بفِحْل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم إلى الليل. فأظلم عليهم الليل وقد حاروا. فانهزموا وهم حيارى، وقد أصيب رئيسهم سَقلار بن مخراق والذي يليه فيهم نسطورس. وظفر المسلمون أحسن ظفرٍ وأهنأه، وركبوهم وهم يرون على أنهم على قصدٍ وجددٍ، فوجدوهم حيارى] هرقل لا يعرفون مأخذهم. فأسْلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل،فركبوه ولحق أوائل المسلمين بهم، وقد وحلوا فركبوهم وما يمنعون يد لامس، فوخزوهم بالرماح، فكانت الهزيمة في فِحْل وكانت مقتلتهم في الرداغ فأُصيب الثمانون ألفاً لم يفلت إلّا الشريد وكان الله عزّوجلّ يصنع للمسلمين وهم كارهون النتوفة فكان عَوناً لهم على عدوّهم، وأتاه من الله عزّوجلّ ليزدادوا بصيرة وجدّاً، واقتسموا ما أفاء الله عزّوجلّ عليهم، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِحْل إلى حِمْص، فصرفوا بشير بن كعب من اليَرمُوك معهم، ومضوا بذي كَلاع ومن معه، وخلفوا شرحبيل ومن معه.

وقال القعقاع بن عمرو في يوم فِحْل:

كم من أبٍ لي قد ورثت فعاله ... جَمّ المكارم بَحرُه تيّارُ
ورث المكارم عن أبيه وجدّه ... فبنا بناءهم له استنصار
فبَنَيت مَجْدَهم وما هدّمته ... وَبنيّ بَعدي إن بقوا عمّار
ما زال منّا في الحروب مُرَوّس ... مَلْكٌ يغيرُ وخلفه جرّار
بطلُ اللقاء إذا الثغور توكّلت ... عِندَ الثغورِ مُجرّبٌ مظفارُ

---

(١) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي (ياقوت).

(٢) الرَدَغة والرَدْغة الجمع رداغ: الماء والطين والوحل الكثير الشديد (اللسان: ردغ).

(٣) أي فاجأوهم وأخذوهم على غرة.

وغـداة فِـحْلٍ قـد رأونـي مُـعْلَماً … والخـيل تـنحط والبـلاد أطـوار
يـفدى بَـلائي عِـندَها مـتكلّفٌ … سَـلس المَـياسر عَـودُه خَـوّار
سـلس المـياسر ما تسامى مأقـطاً … عـند الرهـان مـعير عـيّار
مـا زالت الخـيل العرَاب تـدوسهم … فـي حَـوم فِـحْل والحـتا مَـوّار
حتى رميت سُـرَاتـهم عن أسَـرهم … فـي رَدعـة مـا بـعدَها استمرار
يـوم الردَاع فـعند فِـحْل سـاعة … وخـزُ الرمـاح عـليهم مـدرار
ولقـد أثـرنا فـي الرداع جـموعهم … طُـرّاً ونـحوي تسـم الأبـصار

وقال أيضاً:

وَغَـداة فِـحْل قـد شـهدنا مَأقـطاً … يـنسي الكميّ سلاحَه فـي الدار
مـا زلتُ أرمـيهم بـفرحـة كـامل … كـرّ المـنيح ربـابة الأيسـار
حـتى فـضضنا جـمعهم بـتردس … يـنقي العـدو إذا سَـما جَـرار
نـحن الألي جسـنا العـرَاق بـخيلنا … والشـام جُسـنا فـي ذُرى الأسـفار

باب
كيف كان أمر دمشق في الفتح
وما أمضاه المسلمون لأهلها من الصُّلح

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني، نا أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو الميمون بن راشد، أنبأ أبو زُرعة عبد الرّحمن بن عمرو، حدّثني عبد الرّحمن بن إبراهيم، نا الوليد بن مسلم، قال: حدّثني الأموي قال: ثم ولي عمر بن الخطّاب، فعلى يديه فُتحت دمشق سنة أربع عشرة.

قال أبو زُرعة: وحدّثني محمود بن خالد، قال: عن محمد بن عايذ، عن الوليد بن مسلم، عن عثمان بن خضر، عن علاف، عن يزيد بن عبيدة، قال: فتحت دمشق سنة أربع عشرة.

قال أبو زُرعة: وفتحت دمشق سنة أربع عشرة في رجب.

حدّثنيه عبد الرّحمن بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم وغيره بهذه القصة. ثم أعاده في موضع آخر عن محمود عن الوليد ولم يذكر ابن عايذ.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن أشليها المصري وابنه أبو الحسن علي بن الحسين، قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد بن عايذ القُرشي، نا الوليد، عن عثمان بن خضر، عن يزيد ابن عُبيدة، قال: فُتحت دمشق سنة أربع عشرة.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، قالا: نا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا أبو القاسم تمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب بن جعفر الميداني، قالا: أنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمّارة بن أبي الخطاب يحيى بن عمرو بن عمارة الليثي ح.

قال تمام: وأخبرني أبو بكر يحيى بن عبدالله بن الحارث، ثنا عبد الرّحمن بن عمر المازني، قال تمام: وأخبرني [أبو إسحاق] بن سفيان إجازة قالوا: ثنا أحمد بن المُعلّى، ثنا عبدالرّحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت أشياخنا يقولون: إن دمشق فُتحت في سنة أربع عشرة، وأن عمر بن الخطاب قدم [الشام] سنة ست عشرة فولّاه الله فتح بيت المقدس على صلح ثم قَفل.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الرّحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الدّاراني، أنا أبو الفرج سهل بن بشر الإسفرايني، أنا أبو بكر الجليل بن هبة الله بن الخليل أنا عبد الوهاب بن الحسن الكِلابي، نا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طلّاب، نا العباس بن الوليد، ثنا صالح، نا أبو مُسْهِر قال: سمعت سعيد ابن عبد العزيز يقول: كان فتح دمشق سنة أربع عشرة، وكانت اليرموك سنة خمس عشرة وعلى المسلمين أبو عُبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأ عمر بن عُبيد الله بن عمر، أنا أبو الحسين بن بشران، أنبأ عثمان بن أحمد بن عبدالله، نا حنبل، نبأ عاصم بن علي، نا أبو مَعْشَر، قال: وكان فتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة.

قال: ونا حنبل بن إسحاق حدّثنا هلال بن العلاء، ثنا عبدالله بن جعفر الرَّقّي، نا مُطَرِّف بن مازن اليماني، عن مَعْمَر قال: وكان فتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنبأ عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، نا حامد بن يحيى، نا صَدَقة ـ يعني ـ ابن سابق، عن محمد بن إسحاق، قال: ثم ساروا إلى دمشق على الناس خالد، وقد كان عمر عزله، وأمّر أبا عبيدة فرابطوها حتى فتح الله عزّوجلّ. فلمّا قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمرته وعزل خالد استحيى أن يُقرىء خالد الكتاب حتى فُتحت دمشق. وكانت في سنة أربع عشرة في رجب. قال: وأظهر أبو عبيدة إمرته وعزل خالد. ثم شنا أبو عُبيدة شننته ـ وفي نسخة شنته ـ بدمشق.

قال: نبأ يعقوب، حدّثني سَلمة عن أحمد بن حنبل، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعْشَر قال: وكان فتح دمشق في العام القابل في رجب سنة أربع عشرة، وكانت اليرموك في رجب سنة خمس عشرة.

أخْبَرَتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد بن أحمد بن البغدادي، قالت: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الثقفي، أنا أبو بكر بن المقريء، نا محمد بن جعفر الزَّرّاد المَنْبَجي، حدّثنا عُبيد الله بن سعد، نا عمي، نا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الْمخَلِّص، أنا أحمد بن عبدالله بن سعيد بن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم نا سيف بن عمر قال: كانت وقعة دمشق في شوّال سنة أربع عشرة.

أخْبَرَنا أبو غالب الماوردي، أنا أبو الحسن محمد بن علي السيرَافي، ثنا أبو عبدالله أحمد بن إسحاق القاضي، نا أحمد بن عمران، نا موسى بن زكريا، نا خليفة بن خياط قال: سنة أربع عشرة، فيها فُتحت دمشق. سار أبو عُبيدة بن الجرّاح ومعه خالد بن الوليد فحاصرهم، فصالحوه وفتحوا له باب الجابية(١) وفتح خالد أحد الأبواب عنوةً وأتم لهم أبو عبيدة الصلح. وقال ابن الكلبي: كان الصلح يوم الأحد النصف من رجب سنة أربع عشرة صالحهم أبو عُبيدة بن الجرّاح.

---

(١) باب دمشق الغربي ومنه يكون الخروج إلى قرية الجابية.

قال: وثنا خليفة، ثنا بكر بن سليمان، عن ابن إسحاق، قال: صالحهم أبو عبيدة بن الجرّاح في رجب.

وقال: ونا خليفة، قال: وحدّثني بكر بن عطية، قال: حاصرهم أبو عبيدة رجب وشعبان وشهر رمضان وشوّال، تمّ الصلح في ذي القعدة[١].

أَخْبَرَنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي، أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد ابن البُسْري، أنبأ أبو طاهر الْمخَلّص إجازة، أن أبا محمد عبيد الله بن عبد الرّحمن بن محمد بن عيسى بن خلف السكري حدّثهم قال: دفع [إلي] أبو الحسن عبد الرّحمن بن حمد بن المغيرة الصيرفي في كتابه، وأخبرَني عن أبيه أنه قرأ بخط أبي عبيد القاسم بن سَلّام الثقة، وأنه سمعه من أبيه محمد بن المغيرة وأن أباه قرأه على أبي عبيد، قال أبو محمد: فنسخته وقرأته عليه، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أبو عبيدة، قال: سنة أربع عشرة فيها افتتحت دمشق.

وذكر أبو عثمان سعيد بن كثير بن عُفَير المصري في تاريخ فتح دمشق فقال: فحاصروها أربعة أشهر، ومنهم من قال: فحاصروها أربعة عشر شهراً.

أَخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، ثنا عبد العزيز الكتاني، أنبأ أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم ابن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد بن عايذ، نا الوليد بن مسلم، قال: حدّثني الشيخ الأموي عن أبيه أن أبا بكر ولي سنتين وأربعة أشهر فعَلى يديه كانت وقعة أجْنَادَيْن وفِحْل. ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة. وتوفي أبو بكرﷺ بعد ذلك. وولي عمر بن الخطاب فعلى يديه فتحت دمشق في سنة أربع عشرة قال: فسمعت أشياخنا يقولون: إنّ عمر بن الخطاب ولي سنة ثلاث عشرة، فأقام عمر عمود رسول الله ﷺ وسُنّته. فكان أوّل ما ابتدأ به إقامة فريضة الجهاد والائتمام برسول الله ﷺ وأبي بكر بأثرة أهله بكلّ ما قدر عليه من تقويتهم بالأموال التي صرفها رسول الله ﷺ وأبو بكر فيها، مع إعماله رأيه ونظره وتدبيره إيّاه ما حضر منه أو غاب.

قالوا: ففتح الله به وعلى يديه الفتوح العظيمة من دمشق سنة أربع عشرة، واليرموك سنة خمس عشرة.

أَخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نبأ أبو محمد الكتاني، أنبأ أبو القاسم الرازي، أنا أبو جعفر عبدالله ابن محمد بن هشام الكِنْدي، نا أبو زُرعة الدمشقي، حدّثني الحكم بن نافع، نا صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبير بن نُفير أن أبا بكر جهز بعد النبي ﷺ جيوشاً على بعضها شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص وأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق

---

(١) تاريخ خليفة: ١٢٥ و ١٢٦.

وقد فتح الله عليه القادسية(١) وجلولاء(٢) فكتب له أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدّ إخوانك بالشام والعجلَ العجلَ قال: فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأمراء الأربعة.

وأخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو الميمون بن راشد، نا أبو زُرعة، حدّثني أبو اليمان، حدّثني صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبير بن نُفير: أن يزيد بن أبي سفيان ومن معه كتبوا إلى [أبي] بكر يخبرونه بجموع الروم لهم ويستمدونه فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق ـ وقال غيره: بناحية عين التمر ـ وقد فتح الله عليه القادسية وجلولاء وأمير الجيش سعد بن أبي وقاص وكتب إليه أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمد إخوانك بالشام والعجلَ العجلَ إلى إخوانكم بالشام، فوالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله عزّوجلّ على المسلمين أحبّ إليّ من رستاق عظيم من رساتيق العراق. ففعل خالد فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى صفير(٣) وذنبة(٤) فوجد المسلمين معسكرين بالجابية. فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو. فاجتمع هؤلاء الأربعة أمراء بين مولى من الحارث(٥).

كذا قال وإنّما استخلف خالدٌ المثنى بن حارثة، ثم قدم سعدٌ بعد ذلك.

أخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي، أنا أبو الحسن محمد بن علي السيرافي، نا أحمد ابن إسحاق النهاوندي، نا أحمد بن عمران بن موسى، نا موسى بن زكريا، نا أبو عمرو خليفة بن خياط المعروف بشباب، حدّثني الوليد بن هشام، عن أبيه، عن جدّه قال: كان خالد على الناس، فصالحهم فلم يفرغ من الصُّلح حتى عزل وولي أبو عبيدة فأمضى صلحَ خالدٍ، ولم يغيّر الكتاب. والكتاب عندهم باسم خالد.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، نا أبو الميمون ابن راشد، نا أبو زُرعة، حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم، حدّثني الوليد بن مسلم، حدّثني الأموي، عن أبيه قال: وكانت وقعة أجْنَادَيْن في جُمادى الأولى، ووقعة فِحْل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة.

قال محمد بن عايذ: قال الوليد بن مسلم: قال سعيد بن عبد العزيز وابن حاتم: ثم كانت وقعة

---

(١) بلدة كان بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً (ياقوت).

(٢) جلولاء: بالمد، طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ (معجم البلدان).

(٣) لعلّه أحد موضعين، ففي معجم البلدان: ضفير: ذو ضفير: جبل بالشام. وفيه: ضُمير موضع قرب دمشق. فلعلّه صحفت اللفظة من النساخ.

(٤) ذنبة: موضع من أعمال دمشق (معجم البلدان).

(٥) في مجلدات تاريخ دمشق المطبوعة: فاجتمع هؤلاء الأربعة الأمراء يبرمون أمر الحرب.

بمَرْج الصُّفَّر والتقوا على النهر عند الطاحونة فقُتلت الروم يومئذ حتى جرى النهر وطحنت طاحونتها من دمائهم.

قال: فأخبرني عبد الرّحمن بن إبراهيم، نا الوليد بن مسلم، حدثني الأموي أن وقعة فِحْل وأجْنَادَيْن كانت في خلافة أبي بكر، ثم مضى المسلمون إلى دمشق ونزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة.

قال: وحدّثني عبد الرّحمن بن إبراهيم، نا الوليد بن مسلم قال: سمعت أبا عمرو وغير من أشياخنا يقولون: إن الله أظهرهم على من تعرّض قتالهم بأجْنَادَيْن وفِحْل ثم بمَرْج الصُّفَّر حتى نزلوا على دمشق وحاصروا أهلها.

قال ابن عايذ: قال الوليد، عن يحيى بن حمزة، أخبرني راشد بن داود، عن شراحيل بن مرثد: أن خالد بن الوليد وجماعة المسلمين نزلوا على حصار دمشق فحاصروها أربعة أشهر.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المُشْكاني الخطيب بها، أنا القاضي أبو منصور محمد بن الحسن بن محمد النهاوندي، أنا القاضي أبو العباس أحمد بن الحسين بن زنبيل النهاوندي، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد الرّحمن القاضي، نا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، حدّثني محمد بن عثمان الدمشقي، نا الهيثم بن حُميد، أخبرني محمد بن يزيد الرَّحَبي سمعت أبا الأشعَث عن أبي عثمان الصّنعاني قال: لما فتح الله عزّوجلّ علينا [دمشق] خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة بَرْزة[1]. ثم تقدمنا مع أبي عبيدة بن الجرّاح ففتح الله بنا حِمْص، ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السمط فأوطأ الله بنا ما دون النهر - يعني الفرات - وحاصرنا عانات وأصابنا لأواء وقدم علينا سلمان في مَدد لنا.

وأخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة، نا أبو بكر الخطيب، قالا: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الحسن، أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، نا أبو الجماهر محمد بن عثمان، نا الهيثم بن حُميد، أنا محمد بن يزيد الرَّحَبي، قال: سمعت أبا الأشعث الصّنعاني قال: لما فتح الله علينا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة بَرْزة ثم تقدّمنا مع أبي عبيدة ففتح الله علينا حمص. قال: ثم تقدّمنا مع شرحبيل بن السّمط فأوطأ بنا ما دون النهر - يعني - الفرات وحاصَرنا عانات فأصابنا عليه لأواء، وقدم علينا سلمان الخير في مَدَدٍ لنا.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن الحسين بن أشليها المصري وابنه أبو الحسن علي بن الحسين، قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنبأ أبو عبد الملك القُرشي، نا محمد بن عايذ القُرشي، نا أبو بكر مروان بن محمد، عن يحيى بن حمزة

---

(١) برزة: قرية من غوطة دمشق. (معجم البلدان).

وحدث راشد بن داود الصّنعاني، عن أبي عثمان الصنعاني، قال: حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن أبي سفيان على باب الصغير ونزل أبو عبيدة بن الجرّاح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب الشرقي وكان أبو الدرداء ببَرْزَة. قال: فحاصرناها أربعة أشهر قال: وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح. قال: فشرط عليه خالد بن الوليد أشياء أبىٰ الراهب أن يجيبه إليها. قال: فدخلها يزيد بن أبي سُفيان قَسْراً من باب الصغير حتى ركبها. قال: وذهب الراهب كما هو على الحائط الحائط، فأتى خالد بن الوليد ولا يعلم أحدٌ[(١)] أن يزيد قد دخلها قسراً فقال له: هل لك في الصلح قال: وتجيبني إلى ما شرطت عليك؟ قال: نعم فأشهد عليه، ففتح له باب الشرقي، فدخل يزيد فبلغ المقسلاط، فالتقى هو وخالد عند المقسلاط[(٢)] فقال هذا: دخلتها عنوة، وقال هذا: دخلتها صلحاً، فأجمع رأيهم على أن جَعلُوها صلحاً[(٣)].

قال: نا ابن عايذ، وثنا عبد الأعلى بن مُسْهِر، عن سعيد بن عبد العزيز أن يزيد بن أبي سفيان دخل من باب الصغير قَسْراً وخالد بن الوليد من باب الشرقي صُلحاً، فالتقى المسلمون في المقسلاط [فأمضوا الأمر على الصلح. وقالوا: فنظروا فإذا ما بين باب الشرقي إلى المقسلاط] أبْعد ممّا بين باب الصغير إلى المقسلاط.

قال: ونا ابن عايذ، حدّثني عبد الأعلى بن مُسهر، حدّثني غير واحد، عن الأوزاعي، قال: كنت عند ابن سُراقة حين أتاه أهل دمشق النصارى بِعَهْدهم فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم،

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق إنّي أمنتهم على دمائهم وكنائسهم، أن لا تُسكن ولا تُهدم.

شهد يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حَسَنة وقضاعي بن عامر. وكتب في رجب من سنة أربع عشرة[(٤)].

أخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمن بن عبد الله الخطيب، أنا جدّي أبو عبدالله الحسن، أنبأ أبو الحسن [الربعي] أنا أبو الفرج العبّاس بن محمد بن حبّان، أنا أبو العبّاس بن الرقّي، أنبأ محمد بن محمد بن مصعب، أنا محمد بن المبارك، نا الوليد، قال: وأخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدّث عن الرجلين اللذين من قومه اللذين دخلا دمشق يتسوقان منها قبل حصارها.

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٠٤ «خالد».

(٢) وهو بالقرب من درب الريحان، وهو موضع النحاسين بدمشق وهو البريص. (فتوح البلدان: ١٢٤).

(٣) المؤرخون على خلاف في كون فتحها صلحاً أم عنوة راجع تاريخ ابن كثير: ٢٨/٧ والفتوح: ١٢٨/١.

(٤) انظر نص كتاب خالد لأهل دمشق في فتوح البلدان للبلاذري: ١٢٤.

فبعث إليهما بِطْرِيقها فأمر أحدهما بالذهاب إلى معسكر المسلمين ليأتيه بخبرهم ثم رجع فخبّره بما خبّره به، فمنعهما من الخروج كراهية أن يذيع خبرهما قالا: فبينا به نحن فيها إذ سمعنا التكبير حول المدينة. وجعل كل قوم من أهلها على مايليهم من حائطها. قلنا: ممّن اجعل معهم إلى باب الشرقي. فنزل خالد ومن معه دير خالد(١) ونزل أبو عبيدة ومن معه ويزيد على باب الجابية. فبينا نحن على برج بابها الشرقي إذ نشب أصحاب خالد بن الوليد القتال، ودَنا رجل منهم في يده اليمنى السيف، وفي يده اليُسرى الدَرَقة فنادى بالبراز فقال لنا: ما يقول ؟ قلنا: نقول إنه يدعو إلى المبارزة، فأنزلوا حبشياً كالبعير مستائماً في سلاحه، فتدانى فضربه المسلم فقتله. ثم نادى بالبراز فأنزلوا إليه صاحب بندهم. أجلسوه على باب دلّوه، فتدانى فضربه المسلم فقتله. ثم نادى بالبرَاز فقال: قل للشيطان يُبارزك.

قال: وحدّثنا الوليد عن يحيى بن حمزة، عن راشد بن داود، عن شراحيل بن مرثد: أن خالد بن الوليد وجماعة المسلمين نزلوا على حصار دمشق فحاصروها أربعة أشهر، ويزيد بن أبي سفيان على بابها الصغير، وأبو عبيدة على باب الجابية، وخالد بن الوليد على دير خالد عند باب شرقي، وأبو الدرداء نازلٌ ببَرْزَة في مسلحةٍ في جماعة من المسلمين.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنبأ تمام الرازي، أنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج القُرشي، أنا أبو بكر محمد بن خُريم بن مروان بن عبد الملك، نا السلم بن يحيى، نا سُويد بن عبد العزيز، حدّثني الوَضين بن عطاء، عن يزيد بن مرثد، حدّثني عصابة من قومي شهدوا فتح دمشق قالوا: دخلها أبو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالأمان، ودخل خالد بن الوليد من باب الشرقي عنوة بالسيف يقتل، فالتقيا عند سوق الزيت، فلم يدروا أيّهما كان أوّل: العنوة أو الأمان ؟ فاجتمعوا فقالوا: والله إن أخذنا ما ليس لنا سفكنا الدماء وأخذنا الأموال لنأثمنّ، ولئن تركنا بعض مالنا لا نأثم. قال: فأجمعوا على أن أمضوه صلحاً.

قرأت على أبي القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان عن القاضي أبي عبدالله الحسن بن أحمد ابن عبد الواحد، أنا أبو المَعْمَر المُسَدّد بن علي بن عبدالله الأملوكي، أنبأ أبي، أنا أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي، نا عبد السلام بن العباس بن الزبير، نا أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز، عن عفير، عن عمه زُرعة بن السقر، عن أبي مِخْنَف، حدّثني محمد بن يوسف بن ثابت، عن عباس ابن سهل بن سعد قال: تولى أبو عبيدة حصار دمشق وَولّى خالد بن الوليد القتال على الباب الذي كان عليه ـ وهو الباب الشرقي ـ فحصر دمشق بعد موت أبي بكر حولاً كاملاً وأيّاماً ثم إنّه لما طال

(١) دير خالد: هو دير صليبا بدمشق مقابل دير الفراديس. قال ابن الكلبي: هو على ميل من الباب الشرقي (معجم البلدان).

على صاحب دمشق انتظار مَدَد هِرقل ورأى المسلمين لا يزدادون إلّاكثرة وقوّة، وإنّهم لا يفارقونه أقبل يبعث إلى [أبي] عُبيدة بن الجرّاح يسأله الصلح. وكان أبو عبيدة أحبَّ إلى الروم وسُكان الشام من خالد. وكان يكون الكتاب منه أحبّ إليهم. فكانت رُسُلُ صاحب دمشق إنّما تأتي أبا عبيدة بن الجرّاح وخالد يلج على أهل الباب الذي يليه. فأرسل صاحب الرحا إلى أبي عُبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية. وألحّ خالد بن الوليد على الباب الشرقي ففتحه عنوة. فقال خالد لأبي عُبيدة: اسْبِهِم فإنّي قد فتحتها عنوة. فقال أبو عُبيدة: إنّي قد أمّنتهم. قال أبو مِخْنَف: فتمّم أبو عبيدة الصلح وكتب لهم كتاباً وهذا كتابه:

بسم الله الرّحمن الرحيم

هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجرّاح ممّن أقام بدمشق وأرضها وأرض الشام من الأعاجم.

إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملّتنا. إنّا شرطنا لك على أنفسنا أن لا نحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسةً ولا ديراً ولا قلاية ولا صَوْمعة راهبٍ، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا شيئاً منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسّع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم على من غش المسلمين، وعلى أن لا نضرب بنواقيسنا إلّا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا، ولا نظهر الصليب عليها، ولا نرفع أصواتنا في صلواتنا وقراءتنا في كنائسنا ولا يخرج صليبنا ولا كتابنا [في طرق المسلمين] ولا يخرج باعوثاً(١) ولا شَعَانين(٢) ولا نرفع أصواتنا [مع] موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، ولا نجاورهم بالخنازير، ولا نبيع الخمور، ولا نظهر شركاً في نادي المسلمين، ولا نرغّب مسلماً في ديننا، ولا ندعوا إليه أحداً، وعلى أن لا نتّخذ شيئاً من الرّقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام، وأن نلزم ديننا حيث ما كنّا، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوةٍ ولا عمامةٍ ولا نعلين، ولا فرق شعرٍ، ولا في مراكبهم، ولا نتكلّم بكلامهم، ولا نتسمّا بأسمائهم، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، ونفرق نواصينا، ونشد الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش في خواتيمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نجعله في بيوتنا، ولا نتقلّد السيوف، وأن نوقّر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوا المجالس، ولا نطلع عليهم في

(١) الباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين، وهو اسم سرياني وقيل هو بالغين المعجمة والتاء فوقها نقطتان (اللسان: بعث).

(٢) شعانين أو سعانين، عيد للنصارى معروف عندهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع، سرياني معرب، وقيل هو جمع واحده سعنون (اللسان: سعن).

منازلهم، ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نشارك أحداً من المسلمين إلّا أن يكون للمسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة أيام، وعلى أن لا نشتم مُسْلماً، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده.

ضمنّا ذلك لك على أنفسنا وذرارينا وأزواحنا ومساكننا. وإن نحن غيّرنا أو خالفنا عمّا اشترطنا لك [على أنفسنا] وقبلنا الأمان عليه فلا ذمّة لنا. وقد حَلّ لك منا ما حلّ من أهل المعاندة والشّقاق. على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملّتنا وأقرّونا في بلادكم التي أورثكم الله عزّوجلّ عليها شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى به شهيداً.

أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان.

ثم أخْبَرَنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد، قالا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات، أنبأ طرّاد بن محمد بن علي الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسين بن الباد، أنا أحمد بن حامد بن محمد بن عبدالله الرقّا قالا: أنا علي بن عبدالعزيز، نا أبو عُبيد، حدّثني أبو مُسْهِر، عن يحيى بن حمزة، عن أبي المُهلّب الصّنعاني، عن أبي الأشعث وأبي عثمان الصّنعاني: أن أبا عُبيدة بن الجرّاح أقام بباب الجابية فحاصرهم أربعة أشهر.

قال أبو مُسْهِر: نا سعيد بن عبد العزيز قال: دخلها يزيد بن أبي سفيان من الباب الصغير قَسْراً، ودخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي صلحاً فالتقى المسلمون بالمقسلاط فأمضوها كلها على الصلح. قال ابو عبد: وإنما صارت دمشق كلها صلحاً لذلك الصلح الذي كان من خالد بن الوليد في بعضها، فغُلّبَ الصلح على العنوة وأُمضيت دمشق كلّها صُلحاً.

أخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمن بن أبي الحديد، أنا جدّي أبو عبدالله، أنبأ أبو الحسن الرَّبعي، أنا العبّاس بن محمد بن حيان، أنا أبو العباس بن الزفتي، أنبأ وحشي وهو محمد بن محمد بن مُصْعَب، أنبأ محمد بن المبارك الصوري، نا الكامل، قال: أخبرني صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبير: أن القتال اشتدّ ممّا يلي [باب] الجابية وأشرفوا على فتحها من تلك الناحية، فمال أهلها إلى مصالحة خالد ففعل. فدخل مَنْ على باب الجابية وباب الصغير قَسْراً، ودخل خالد بن الوليد ومن كان معه على باب الشرقي على مصالحة، فالتقت خيولهم في سوق مقسلاطها. فتذاكروا دُخولهم إيّاها بالصلح والقسر؟ فاجتمع رأيهم جميعاً على أن يرفعوا عن أهلها السنان والسيف وأمضوا الصلح.

قال واقد: فذكرته لسعيد وابن جابر فقالا: كذلك اجتمع رأيهم إذ اشتبه عليهم أيّهما كان قبل الآخر القسر أو الصلح فجعلوها كلّها صلحاً وذمّة.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنا أبو نصر محمد بن هارون الجَنَدي وأبو القاسم عبد الرّحمن بن الحسين بن الحسن، قالا: أنا أبو القاسم علي بن يعقوب، نا أبو عبد الملك، نا ابن عايذ قال: قال الوليد: فذكرته لسعيد بن عبد العزيز وابن جابر فقالا: كذلك اجتمع رأيهم إذ اشتبه عليهم أيّهم كان قبل الآخر القسر أو الصلح، فجعلوها كلّها صلحاً وذمة.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن الحَمّامي، أنا أبو علي ابن الصَّوَّاف، أنا الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا أبو حُذيفة إسحاق بن بشير قال: قال هؤلاء بإسنادهم يعني منسوخة: [ثم مضى] عمر بن الخطاب على جده وإنصافه. وكان أعظم همّه وهمّ المسلمين معه جيوشهم التي بالشام. فكانوا أعظم همّه. قالوا: وهم في حصارهم بدمشق لا يفتحونها، والأمراء على منازلهم، وخالد عليهم لم يحركوه لأن لا يرى العدو اختلاف أمورهم. وكتموا من العدو وفاة أبي بكر بجهدهم. فلما طال عليهم الحصار دسّ بِطْريقهم عيوناً فجسُّوا عساكرهم وأمراءهم. ثم عادوا إلى عظيمهم فسألهم بما جَسُّوا ورأوا. فقالوا: أما الليل فطولُ القيام، وامّا النهار فالخير الظاهر والحرص على الجهاد. وإن وجد أحدهم نعلاً أوكبة من شعرٍ أو غزلٍ دفعها إلى صاحب الغنم، فإذا قال صاحب المقسم. ما هذا ؟ قالوا: هذا لا نستحلّه إلّا بحلّة. فلمّا سمع عظيم دمشق هذه القصة قال: ما لنا بهؤلاء طاقة، ولا لنا في قتالهم خَير. فراضوا خالداً عند ذلك على الصلح حتى صالحهم، ودخلها من بابها بصلحٍ، وعليهم أبو عُبيدة من الناحية الأخرى فدخلها عنوة. فالتقيا في مدينة دمشق.

وفيهم من قال: أبو عُبيدة هو الذي صالح وخالد الذي دخلها. فقال أحدهما [لصاحبه]: قد أعطيت الأمان. وقال الآخر: دخلتها عنوة. فقالوا: نمضي الأمان. فكتب لهم [خالد] كتاب أمان فيه أبو عبيدة وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ.

قالوا[1]: وكان صَالح أهل دمشق على دينارين دينارين، وشيء من طعام، وبعضهم على الطاقة، إن زاد المال زاد عليهم، وإن نقص تُرك ذلك عنهم. وكان اشترط على أهلٍ الذمة بأرض الشام أنّ عليهم إرشاد الضال، وأن يبنوا قناطر أبناء السبيل من أموالهم وأن يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام، ولا يشتموا مسلماً ولا يضربوه، ولا يرفعوا في نادي أهل الإسلام صليباً، ولا يخرجوا خنزيراً من منازلهم إلى أفنية المسلمين، ولا يمرّوا بالخمر في ناديهم، وأن توقد النيران للغزاة في

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٠٦: قالوا: وكان صالح أهل دمشق على شيءٍ مسمّى لا يزداد عليهم إن استغنوا، ولا يحط عنهم إن افتقروا، فكان صالح أهل دمشق على دينارين....

سبيل الله عزّوجلّ، ولا يَدنوا[١] للمسلمين على عورة، وأن لا يحدثوا بناء كنيسة، ولا يضربوا بناقوسهم قبل آذان المسلمين، وأن لا يُخرجوا الرايات في عيدهم، وأن لا يَلبسوا السلاح في عيدهم، وأن لا يتحسر[٢] في بيوتهم، فإن فعلوا شيئاً من ذلك عوقبوا وأُخذ منهم وحسب لهم في جزيتهم.

ومنهم من قال: وقد كان أبو بكر رضي الله عنه توفي قبل فتح دمشق، وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالد بن الوليد. فكتم أبو عُبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب. فكتب خالد الأمان لأهل دمشق وأبو عُبيدة الأمير وهم لا يدرُون.

قال: فكان كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عُبيدة بنعي أبي بكر[٣] واستعماله أبا عُبيدة بن الجرّاح وعزله خالداً:

بسم الله الرّحمن الرحيم،

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عُبيدة بن الجرّاح.

سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد فإنّ أبا بكر الصدّيق خليفة رسول الله ﷺ قد توفي، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصدّيق العامل بالحقّ والآمر بالقسط والآخذ بالعرف، اللين الستير، الوادع، السهل القريب الحكيم. ونحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى، وأرغب إلى الله في العصمة بالتقى في مَرْحمته والعمل بطاعته ما أحيانا، والحلول في جنته إذا توفانا، فإنه على كل شيء قدير. وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق. وقد ولّيتك جماعة المسلمين، فابثث سراياك في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام. وانظر في ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين، ولا يحملنك قولي هذا على أن تغري عسكرك فيطمع فيك عدوّك. ولكن من استغنيت عنه فسيّره، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه. وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فإنّه لا غنى بك عنه.

قالوا: فدفع ذلك الكتاب إلى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق بنحوٍ من عشرين ليلة. فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين [بالولاية] فلم تُعلمني وأنت تُصلّي خلفي والسلطان سلطانك ؟ فقال أبو عُبيدة: وأنت يغفر الله لك ما كنتُ لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنتُ لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كلّه، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أريدُ وما للدنيا أعمل، وإنّ ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع. وإنّما نحن

---

(١) في مختصر ابن منظور: «ولا يدلوا».

(٢) في مختصر ابن منظور: وأن لا ينحروا.

(٣) فتوح الشام للأزدي: ٩٨.

إخوان وقوّام بأمر الله عزّوجلّ. وما يضرّ الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه. بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلّا من عصم الله عزّوجلّ، وقليلٌ ما هم. ودفع أبو عُبيدة عند ذلك إلى خالد بن الوليد الكتاب.

قال أبو حُذيفة: وولي أبو عُبيدة حصار دمشق، وولي [خالد] بن الوليد القتال على باب الشرقي، وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع المسلمون فيه للقتال. فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولاً كاملاً وأيّاماً وإنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدَد قيصر، رأى المسلمين لا يزدادون إلّا كثرة وقوّة وأنهم لا يفارقونه أقبل يبعث إلى أبي عُبيدة يسأله الصلح، وكان أبو عُبيدة أحبَّ إلى الروم وسكّان الشام من خالد بن الوليد، فكان أن يكون الكتاب منه أحبَّ إليهم، وكان اكتبهما وأقربهما منهم قرباً. وكان قد بَلغهم أنه أقدمهما هجرة وإسلاماً. فكانت رُسُلُ صاحب دمشق إنّما تأتي أبا عُبيدة وخالد يُلحّ على أهل الباب. فأرسل صاحب دمشق إلى أبي عبيدة فصالحه وفتح باب الجابية. وألحّ خالد على الباب الشرقي فافتتحه عنوة. فقال خالد لأبي عُبيدة: اسْبهم فإنّي قد افتتحتها عنوةً. فقال أبو عُبيدة: لا إنّي قد أمّنتهم، ودخل المسلمون دمشق.

قالوا: وكان فتح دمشق سنة أربع عشرة في رَجب، ولخمس عشرة مضت من رجب يوم الأحد، ولثلاثة عشر شهراً من خلافة عمر إلّا سبعة أيّام.

وكان أهل دمشق قد بَعثوا إلى قيصر وهو بأنطاكية رُسلاً أن العرب قد حاصرونا وليست لنا بهم طاقة، وقد قاتلناهم مراراً فعجزنا عنهم. فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة، فامددنا وأعنّا وإلّا فإنّا في ضيق وجُهد واعذرنا. وقد أعطانا القوم الأمان ورضوا منّا بالجزية اليسيرة. فسرّح إليهم أن تمسّكوا بحصنكم، وقاتلوا عدوّكم على دينكم، فإنّكم إن صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم وخيركم على دينهم واقتسموكم بينهم. وأنا مسرّح إليكم الجيش في إثر رسولي هذا. فانتظروا جيشه، فأبطأ عليهم.

وكتب عمر إلى أبي عُبيدة يأمره بالمناهضة.

وذكر سيف بن عمر: أن فتح دمشق كان بعد وقعة اليرموك.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الْمخَلّص، أنبأ أبو بكر ابن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر(١)، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة قالا: لما هزم الله عزّوجلّ جُند اليرموك، وتهافت أهل الواقوصة وفُرغ من المقاسم والأثقال وبُعث بالأخماس، وسُرّحت الوفود، اسْتَخلَف أبو عُبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحِميري كيلا يُغتال بردّةٍ ولا تقطع العدو على موادّه، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصفرين وهو

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٣٦ حوادث سنة ١٣ خبر دمشق من رواية سيف.

يريد اتّباع الفالّة ولا يدري يجتمعون أو يفترقون؛ فأتاه الخبر بأنهم أرْزوا إلى فِحْل، فأتاه الخبر بأن المَدد قد أتى أهل الشام فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أو بِفحْل من بلاد الأردن فكتب في ذلك إلى عمر وانتظر الجواب. وأقام بالصفرين ولما جاء عمر فتح اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم [عليه أبو بكر] إلّا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فإنه ضمّ خالداً إلى أبي عُبيدة، وأمر عمراً بمعونة الناس، حتى يصير الحرب إلى فلسطين وأهل حمص فإن فتحها الله قبل دمشق ثم يتولى حربها.

ولما جاء عمر رضي الله عنه الكتاب من أبي عبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به فكتب إليه:

أمّا بعد فابْدؤوا بدمشق وانهدوا لها، فإنها حِصن الشام وبيت مملكتهم. واشغلوا عنكم أهل فِحْل بخيل يكون بإزائهم في نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص. فإن فتحها الله عزّوجلّ فذاك الذي نحبّ وإن تأخّر فتحها حتى يفتح الله عزّوجلّ دمشق فلتنزل دمشق من تمسك بها وَدَعُوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فِحْل فإن فتح الله عزّوجلّ عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص ودع شرحبيل وعَمْراً وأخلهما بالأردن وفلسطين، وأمير كل بلد وجُند على الناس حتى يخرجوا من إمارته. فسرّح أبو عُبيدة إلى أهل فِحْل عشرة قواد: أبا الأعور السّلمي، وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشي وعامر بن خَيْثَمة وعمرو بن كلب بن يحصب وعُمارة بن الصَّعْق بن كلب وصيفي بن عُلْبة بن سنامل وعمرو بن الخُبيب بن عمرو ولبدة بن عامر بن خَثْعَمة، وبشر بن عُصْمة، وعُمارة بن محنس قائد الناس ومع كل رجل خمسة قواد وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدون من يحتمل ذلك منهم فساروا من الصفرين حتى نزلوا قريباً من فِحْل فلما رأت الروم أن الجنود تريدهم بثقوا المياه حَول فِحْل، فارْدَغت الأرض ثم وحلت الأرض واغتنم المسلمون ذلك، فحبَسُوا عن المسلمين ثمانين ألف فارس، فكان أوّل محصور بالشام أهل فِحْل، ثم أهل دمشق وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردءاً وبعث علقمة بن حكيم ومسروقاً فكانا بين دمشق وفلسطين، والأمير يزيد، يفضل، وفضل بأبي عُبيدة من المرج وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عُبيدة وعلى الخيل عِياض وعلى الرجال شرحبيل فقدموا على دمشق، وعليهم بسطاس بن بسطورس فحصروا أهل دمشق ونزلوا حواليها فكان أبو عُبيدة على ناحية، وخالد على ناحية، ويزيد على ناحية، وشرحبيل على ناحية، وعمرو على ناحية، وهِرقل يومئذ بحمص، ومدينة حمص بينه وبينهم.

فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلوهم قتالاً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث، وهرقل منهم قريب وقد استمدوه. وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص في جَبَل على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص، وجاءت خيول هِرقل مغيثة لأهل دمشق، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلتها عن الناس.

فأرزوا ونزلوا بإزائه، وأهل دمشق على حالهم. فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا يصل إليهم فشلوا ووهِنوا وأبلسُوا(١) وازداد المسلمون طمعاً فيهم، وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك إذا هجم البرد قفل الناس، فسقط النجم والقوم مقيمون. فعند ذلك انقطع رجاؤهم، وندموا على دخول دمشق. وولد للبِطريق الذي على أهل دمشق مولود فصنع عليه، فأكل القوم وشربوا، وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلّا ماكان من خالد، فإنّه كان لا ينام ولا يُنيم، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، عيونه ذاكية، وهو معني بما يليه، قد اتّخذ حبالاًكهيئة السلاليم وأوهاقاً(٢) فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم، وتقدّمهم وهو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله من أصحابه في أوّل يومه وقال: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا، وانهدوا إلى الباب.

فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدّمون رموا بالحبال الشُّرَف وعلى ظهورهم القِرَب الذي قطعوا بها خندقهم فلما ثبت لهم وَهقَان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور، ثم لم يَدَعا أحبُولة إلّا أثبتاها ـ والأوهاق بالشُّرف ـ وكان المكان الذي اقتحموا منه أحْصن مكان يحيط بدمشق أكثره ماءً وأشدّه مدخلاً، وتوافوا لذلك فلم يبق ممّن قدم معه أحد إلّا رقا أو دَنا من الباب. حتى إذا استووا على السور حَدر عامة أصحابه، وانحدر معهم وخلّف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي، وأمرهم بالتكبير، فكبّر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب، ومال إلى الجبال بشر كثير، فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أوّل من يليه فأتاهم وانحدر إلى الباب فقتل البوّابين وثار أهل المدينة وفزع سائر الناس فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن، وتشاغل أهل كل ناحية بما بينهم، فقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي ممّا يلي باب خالد مقاتل إلّا أُنيم. وما شدّ خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أرادَ عنوةً أرز من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره، وقد كان المسلمون دعوهم إلى المناظرة فأبوا وأبعدوا فلم يفجأهم إلّا وهم يتوقعون لهم بالصلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب وقال: ادخلوا وتمنعونا من أهل ذلك الباب. فدخل أهل كل باب بصلح ممّا يليهم، ودخل خالد ممّا يليه عنوة. فالتقى خالد والقواد في وسطها [هذا] استعراضاً وانتهاباً. وهؤلاء صلحاً وتسكيناً فأجروا ناحية [خالد] مجراهم. وقالوا: قد قروا إلينا ودخلوا معنا فأجاز لهم عمر ذلك رضي الله عنه، فأجرى النصف الذي أخذ عنوة مجرى الصلح، فصار صلحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، والدينار على كل رأس واقتسموا الأسلاب، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد، وجرى

---

(١) أُبلسوا: تحيروا.

(٢) الأوهاق: جمع وهق، محرّكة، الحبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ.

على الديار ومن بقي في الصلح جريب[١] من كلّ جريب أرض؛ ووقف ما كان للملوك ومن صوّب معهم فيئاً، وقسموا لذي الكلاع ومن معه، ولأبي الأعور ومن معه، ولبشير ومن معه، وبعثوا بالبشارة إلى عمر ﷺ، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن اصرف جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك، فأمّر على جند العراق هاشم بن عُتبة وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبتيه عمر بن مالك الزهري، ورِبعي بن عامر، وضربوا بعد دمشق نحو سعد، فخرج هاشم نحو العراق في جند أهل العراق، وخرج القواد نحو فحل وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلّا من أُصيب منهم. فاتموهم بأناس ممّن لم يكن منهم، منهم قيس والأشتر، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياء فنزلا على طريقها وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قوّاد أهل اليمن عدد، منهم: عمرو بن شِمْر بن غَزيّة وسهم بن المسافر بن هَزْمة ومشافع بن عبدالله بن شافع. وبعث يزيد بن أبي سفيان دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد فتح دمشق إلى تدمر، وأبا الزهراء القُشيري البَثَنيّة وحوران فصالحوهم على صلح دمشق ووليا القيام على فتح ما بعثا إليه.

وكان أخو أبي الزهراء قد أُصيبت رجله بدمشق، فلما هاجى بنو قشير بني جَعْدة فخروا بذلك، وعددوه وعيّروه، فأجابهم نابغة بني جعدة:

فإن يكن قدم بالشام نادرة ... فإن بالشام أقداماً وأوصالا
وإن يكن حاجب ممّن فخرت به ... فلم يكن حاجب عمّاً ولا خالا

ثم فخر عليهم وقال:

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ ... شيبا بماءٍ فصارا بعد أبوالا

وقال القعقاع بن عمرو في يوم دمشق:

أقمنا على داري سليمان أشهراً ... نجالد روماً قد حموا بالصوارم
قصصنا بها الباب العراقي عنوةً ... فدان لنا مستسلماً كل قائم
أقول وقد دارت رحانا بدارهم ... أقيموا لهم حر الدرى بالعلاصم
فلما زادنا في دمشق نحورهم ... وتدمر عضوا منهما بالأباهم

وقال أبو نُجَيد نافع بن الأسود:

لا تحسبني وابن أمّي صلصلاً ... كقامسة الباكين من كبة الحرب
تركنا دمشقاً منهلاً بطريقنا ... نحنّ إليها ما نحر من الكرب
كأنك لم تشهد دمشقاً وحائلاً ... ويوماً ببصرى حيث فلظ بنو لهب

---

(١) الجريب: مقدار من الأرض، ومكيال قدر أربعة أقفزة (قاموس) وقيل: مساحة من الأرض تبلغ ٣٦٠٠ ذراع وقيل عشرة آلاف ذراع.

فـإنّا وإيّاهم سحاب بقفرةٍ / تلقحها الأرواح بالصيب السكب
منعناكم منهم وقد زعزعوا القنا / وكنا قديماً نمنع الجار ذا الذنب
هنالك إذ لا يمنع الناس وسمة / وإذ أنت محروب بمدرجة الترب
وقد علمت أفنا تميم بأننا / لنا العزّ قدماً عند ذائدة النهب
وأن مواليـنا تعزّ بعزّنا / ومولاكم المأكول إن كان ذا سهب

وقال أيضاً:

من ذا على الأحداث عزّ كعزّنا / إذا الحرب قامت بالجموع على قفر
فسائل بنا بسطاس والروم حوله / غداة دمشق والحروب بها تجري
ينبوك أنا في الحروب مصالت / نسيل إذا جاش الأعاجم بالثغر
بقوم تراهم في الدهور أعزّة / لهم عرض ما بين الفرائض والوتر
أبى الله إلّا أن عمرا تناهمو / قوادم حرب لا تلين ولا تجري

أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان ثم أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن، قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات، أنبأ طراد بن محمد الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسين بن البادا، نا حامد بن محمد بن عبدالله الرقّي قالا: أنا علي بن عبد العزيز: أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: وكذلك مدينة دمشق افتتحها خالد بن الوليد صلحاً. وعلى هذا مدن الشام كانت كلّها صلحاً دون أرضها على يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة بن الجرّاح.

أخْبَرَنا أبو الحسين الخطيب، أنا جدي أبو عبدالله بن أبي الحديد، أنبأ أبو الحسن الربعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حيان، أنا أبو العباس بن الزفتي، أنا محمد بن محمد بن مصعب، أنا محمد بن المبارك، نا الوليد، أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق قالوا: بينما المسلمون على حصار دمشق إذ أقبلت خيل عظيمة مخمرة بالحرير، هابطة من ثنية السليمة. فرآهم المسلمون وهم منحدرون منها، فخرج إليهم جماعة من المسلمين فيما بين بيت لهيا[١] والثنية التي هبطوا منها، فهزمهم الله تعالى، وطلبهم المسلمون: يترحل هؤلاء وينزل هؤلاء، حتى وقفوا على باب حمص. فظن أهلها أنهم لما يأتوا حمص إلّا وقد صالحوا أهلها. فقالوا: نحن على ما صالحتم عليه أهل دمشق. ففعلوا.

قرأت على أبي محمّد عبد الكريم بن حمزة السلمي، عن أبي محمّد عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا محمّد بن أحمد بن هارون وعبد الرحمن بن الحسين بن الحسن بن أبي العقب، قالا:

---

(١) بيت لهيا: بكسر اللام، قرية مشهورة بغوطة دمشق (معجم البلدان).

أنا أبو القاسم بن أبي العقب، أنا أبو عبد الملك، أنا ابن عائذ، قال: قال الوليد: أخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفير: أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجرّاح وافداً إلى أبي بكر وبشيراً بالفتح، فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفي، رحمة الله عليه ورضوانه، واستخلف عمر بن الخطاب، فأعظم أن يأتمر أحد من أصحابه عليه، فولاه جماعة الناس. فقدم عليهم فقالوا: مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً.

قال الوليد وحدّثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول أن الذي أبرد بفتح دمشق رجل من الصحابة ليس بأبي عبيدة، وأنه أخبر عمر أنه لم يخلع خفية من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة، فقال [أصبت].

قال أبو عبدالله بن عائذ: الوافد عقبة بن عامر، هذا أصح، وعليه الناس.

في حديث عبد الرحمن بن جبير خطأ في مواضع ثلاثة: أحدها قوله: إن دمشق فتحت في خلافة أبي بكر، وإنّما حوصرت في خلافته ولم تفتح إلّا بعد وفاته. والثاني: قوله إن عمر ولّى أبا عبيدة بالمدينة، وإنّما ولّاه وهو مقيم بالشام، فبعث إليه بكتاب توليته وهم محاصرو دمشق، فكتمه أبو عبيدة خالداً حتّى تم الفتح.

والثالث: قوله إن أبا عبيدة كان البريد، [وإنّما كان البريد] عقبة بن عامر. ويدل عليه أيضاً إجماع أهل التواريخ على أن فتح دمشق كان سنة أربع عشرة، وبلا خلاف أن أبا بكر توفي سنة ثلاث عشرة في جُمادى الآخرة.

ويدل على أن البريد كان بفتح دمشق عُقبة بن عامر لا أبو عُبيدة: ما أخبَرَنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن صرما الطحّان، أنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن محمد بن الخَلّال، أنا أبو القاسم عُبيد الله بن أحمد بن علي بن الحسين الصَّيْدلاني المقريء، أنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن زياد النَّيسابوري، نا أبو الأزهر، نا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن علي بن رياح، عن عُقبة بن عامر قال: قدمت على عمر رضي الله عنه بفتح دمشق وعليّ خُفّان. فقال: كنت تمسح عليهما؟ قلت: نعم، قال: منذ كم؟ قلت: منذ جمعة. قال: أصبت السّنّة. هكذا رواه جرير بن حازم، عن يحيى عن يزيد وتابعه الوليد بن مسلم، عن ابن لَهِيعة، عن يزيد.

وهو ما قرأته على أبي محمد بن عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، عن عبد العزيز [بن أحمد] التميمي، أنا أبو نصر بن الجَندي وعبد الرّحمن بن أبي العَقَب قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، نا أبو عبد الملك، نا ابن عائذ قال: قال الوليد: وأمّا عبدالله بن لَهِيعة فحدّثنا عن يزيد بن أبي حبيب،

عن علي بن رباح، عن عُقبة بن عامر قال: أبردت بفتح دمشق وعَليّ خفان جرمقيّان[١]. فقال عمر: متى عهدك ؟ قال: يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة، وما زلت أمسح منذ خرجت. قال: أصبت.

ويزيد بن أبي حبيب لم يسمعه من علي بن رباح بينهما عبدالله بن الحكم البلوي.

كذلك رواه عن يزيد عمرو بن الحارث والليث بن سعد ومفضل بن فَضَالة وحَيْوة بن شريح وكذلك رواه عبدالله بن وهب ويحيى بن حسان، عن ابن لَهْيَعة ووافقا الجماعة، عن يزيد وخالفا الوليد بن مسلم، عن ابن لَهْيَعة.

وكذلك رواه يحيى بن إسحاق السَّيْلَحيني، عن يحيى بن أيوب وخالف جرير بن حازم.

فأمّا حديث عمرو: فأخْبَرَناه أبو الحسن عُبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البَيْهَقي، أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر الهَروي العمري، أنا أبو محمد عبدالرّحمن بن أحمد بن أبي شُرَيح، نا يحيى بن محمد بن خالد، نا بحر بن نصر الخَوْلاني ومحمد بن عبدالله بن عبد الحكم المصريان واللفظ لمحمد قالا: أنا عبدالله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث وابن لَهْيَعة والليث ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن الحكم البَلَوي أنه سمع علي بن رباح اللّخمي يخبر أن عُقبة بن عامر الجُهني صاحب رسول الله ﷺ قال: قدمت على عمر بن الخطاب بفتح من الشام وعَليّ خفان، فنظر إليهما عمر فقال: كم لك لم تنزعهما ؟ قال: لبستهما يوم الجمعة واليوم الجمعة قال: أصبت.

وأمّا حديث ليث: فأخْبَرَناه أبو السعود أحمد بن علي بن محمد بن الْـمجْليّ، قال: نا أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي، أنا عُبيد الله بن أحمد بن علي المقريء، نا أبو بكر بن زياد، حدّثني يوسف بن سعيد بن مسلم، نا حجاج - هو - ابن محمد، نا ليث، حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن الحكم البَلَوي، عن علي بن رباح اللّخْمي، عن عُقْبة بن عامر الجُهني، أنه قال: بَعثني بعض أمراء الشام إلى عمر بن الخطاب، فقدمت عليه في يوم الجمعة وعليّ خفّان فقال: متى أولجت خفيك ؟ قال: قلت له: يوم الجمعة الخالية، قال: ثم لم تنزعهما بعد ؟ قال: قلت: ثم لم أنزعهما بعد قال: أصبت.

قال ليث: وذلك رأينا.

أما حديث مُفَضّل: فأخبرناه أبو القاسم غانم بن خالد بن عبد الواحد بن أحمد بن خالد الأصبهاني - بها - أنا أبو الطّيّب عبد الرّزّاق بن عمر بن موسى بن شمّة، أنا أبو بكر المقريء، نا محمد بن زبان بن حبيب، نا زكريا بن يحيى صاحب العمري، حدّثني مُفَضّل قال: سألت يزيد بن

(١) في اللسان «جرمق»: الجرموق خف صغير، وقيل: خف صغير يلبس فوق الخف. والجرامقة: أنباط الشام واحدهم جرمقاني، قد تكون هذه النسبة إلى جرامقة الشام.

أبي حبيب عن المسح على الخفّين فقال: أخبرني عبدالله بن الحكم البَلَوي، عن علي بن رباح، عن عُقبة بن عامر الجُهني: أنه وفد إلى عمر عاماً، قال عُقبة: عليّ خفّان من تلك الخفاف الغلاظ، فقال عمر: متى عهدك بلبسك لهما؟ فقلت: لبستهما يوم الجمعة، فقال عمر: أصبت السّنّة.

وأمّا حديث حَيْوَة فأخْبَرَناه أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بـابن صـرما ـ ببغداد ـ أنبأ أبو القاسم بن الخَلّال، أنبأ أبو القاسم الصَّيدلاني، أنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن زياد، نا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وَهْب، أخبرني حَيْوَة سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: حدّثني عبدالله بن الحكم، عن علي بن رباح أن عُقْبة بن عامر حدّثه أنه قدم على عمر بفتح دمشق، قال: وعليّ خفّان قال لي عمر: كم لك يا عُقبة منذ كم لم تنزع خفّك؟ قال: فتذكّرت من الجمعة مـذ ثمانية أيّام. قال: أحسنتَ وأصبتَ السنّة.

رواه أبو عاصم، عن حَيْوة فوافق ابن وهب على إدخال الرجل بين يزيد وعلي إلّا أنه اختلف عليه في اسمه فقيل عبدالله، وقيل الحكم بن عبدالله.

فأمّا حديث من قال عبدالله:

فأخْبَرَناه أبو السعود بن الُمجْليّ، نا أبو الحسين بن المهتدي، أنبأ عُبيد الله بن أحمد الصَّيدلاني، نا عبدالله بن محمد بن زياد، نا ابن الجُنَيد يعني محمد بن أحمد، نا أبو عاصم، أنا حَيْوة بن شُرَيح، أخبَرَني يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن فلان البَلَوي، عن علي بن رباح أن عُقْبة بن عامر قدم على عمر بن الخطاب إمّا قال من مصر وإمّا قال من الشام، قال له: مذ كم لم تنزع خِفيك؟ قال: من جمعة، قال: أصبتَ.

وأمّا حديث من قال الحكم فأخْبَرَناه أبو السعود بن الُمجلي، أنا أبو الحسين بن المهتدي، أنا أبو القاسم الصَّيدلاني، نا أبو بكر بن زياد، نا أحمد بن منصور، نا أبو عاصم، عن حَيْوَة، عن يزيد بن أبي حبيب، حدّثه عن الحكم من أهل مصر، عن علي بن رباح اللّخْمي أن عُقبة بن عامر قدم على عمر من مصر فقال له: كم لك منذ لم تنزع خفيك؟ قال: من الجمعة إلى الجمعة. قال: أصبت.

قال: ونا أحمد بن منصور مرة أخرى فقال عن الحكم بن عبدالله قال: نا عباس الدوري، نا أبو عاصم عن حَيْوَة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الحكم بن عبدالله البَلَوي، عـن علـي بـن ربـاح اللّخْمي، عن عُقْبة بن عامر: أنه قدم على عمر من مصْر فقال له عمر: كم لك يا عُقْبة مذ لم تنزع خفيك؟ قال: من الجمعة إلى الجمعة قال: أصبت.

قال ابن زياد: هكذا قال ابن عباس: الحكم بن عبدالله البَلَوي، وأحسب هذا من أبي عاصم أراه كان يضطرب في اسْمه وأهل مصر أعلم به. قالوا: عبدالله بن الحكم.

وامّا رواية ابن وهب عن ابن لَهِيَعة بموافقة الجماعة فقد سُقناها مع حديث عمرو.

وأمّا حديث يحيى بن حسان عن ابن لَهِيَعة:

فأخْبَرَناه أبو الحسن عبدالله بن محمد بن أحمد البيهقي، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله العمري، أنا عبد الرّحمن بن أحمد بن محمد الشُّرَيْحي، نا يحيى بن محمد بن صاعد، نا سليمان بن شعيب الكَيْساني، نا يحيى بن حسّان، نا ابن لَهِيَعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن الحكم البَلَوي، عن علي بن رباح، عن عُقبة بن عامر قال: أبردت إلى عمر فدخلت عليه وعليّ خفّين فقال لي: يا عُقبة متى عهدك بنزع خفيك؟ قلت: يا أمير المؤمنين لبستهما يوم الجمعة وهذه الجمعة قال: أصبت السنّة ـ

وأمّا رواية يحيى بن إسحاق بن يحيى عن أيوب فأخبَرَنا بها أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن الفضل العُقَيلي، أنا أبو القاسم أحمد بن أبي منصور محمد بن محمد الخليلي ـ ببَلْخ ـ قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخُزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كُلَيب الشاشي، نا محمد بن عُبيد بن المنادي، نا أبو زكريا السَّنْجاني، أخبرني يحيى بن أيّوب والليث بن سعد وابن لَهْيَعة كلّهم عن يزيد بن أبي حبيب أن عبدالله بن الحكم أخبره عن علي بن رباح، عن عُقبة بن عامر الجُهَني، قال: قدمت على عمر في وفد من دمشق وعليّ خفّان غليظان جرمقانيان، فقال لي عمر: ما هذان الخفان أكنت تمسح عليهما؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: متى لبستهما؟ قال: قلت: يوم الجمعة، وهذا يوم الجمعة أمسح عليهما. قال: أصبتَ ـ وقال ابن لَهْيَعة في حديثه: أصبت السّنّة.

أخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن البصري، أنبأ محمد بن علي السيرَافي، أنا أحمد بن إسحاق النهاوندي، نا أحمد بن عمران، نا موسى بن زكريا، نا خليفة بن خيّاط العُصْفُري، حدّثني عبدالله بن المغيرة، عن أبيه، قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأزدي كلّها عنوة ما خلا طبرية فإنّ أهلها صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة.

وقال ابن الكلبي نحوه وقالا: وبعث أبو عُبيدة خالد بن الوليد فَغَلب على الأرض البقاع وصالحه أهل بَعْلَبَكّ[1] وكتب لهم كتاباً.

وقال ابن المغيرة عن أبيه: صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج.

وقال ابن إسحاق وغيره فيها يعنون سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صُلحاً على يَدي أبي عُبيدة في ذي القعدة.

قال شباب ويقال في سنة خمس عشرة.

---

(١) مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (ياقوت).

باب
ذكر تاريخ وقعة اليرموك ومن قُتل بها
من سُوقة الرُّوم والملوك

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو الميمون بن راشد، نا أبو زُرعة، حدّثني محمود بن خالد، عن محمد بن عايذ، عن الوليد بن مسلم، عن عثمان بن حصين بن علاق قال: قال يزيد بن عُبيدة: واليرموك سنة خمس عشرة.

قال أبو زُرعة: حدّثني عبد الرّحمن بن إبراهيم، نا الوليد بن مسلم، قال: واليرموك سنة خمس عشرة.

قال أبو زُرعة: وأخبرني الحارث بن مسكين، عن ابن وَهْب، عن ابن لَهْيعة قال عامر: اليرموك سنة خمس عشرة.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن الحسين بن أشْليهَا المصري وابنه أبو الحسن علي، قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم، نا ابن عايذ، نا الوليد، ونا ابن عايذ حدّثني محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، قال: كان اليرموك في رجب سنة خمس عشرة.

قال: ونا الوليد بن مسلم حدّثني عثمان بن حِصْن، عن يزيد بن عُبيدة: أن وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، نا أبو بكر الخطيب ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا ابن بكير بن الطبري، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب بن سفيان، نا ابن بكير، حدّثني الليث بن سعد قال: كانت اليرموك سنة خمس عشرة [قال وحدّثنا أبو بكرٌ نا ابن بكير، حدّثني الليث بن سعد قال: كانت اليرموك سنة خمس عشرة] فالخليفة يومئذ عمر بن الخطاب، وهي من أرض الأردن وهو نهرها.

قال يعقوب: كان اليرموك في رجب سنة خمس عشرة.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عمر بن عُبيدالله بن عمر، أنا أبو الحسين بن بشران، أنبأ عثمان بن أحمد بن عبدالله، نا حنبل بن إسحاق، نا عاصم بن علي، نا أبو مَعْشَر، قال: وكانت اليرموك في رجب سنة خمس عشرة.

أخْبَرَنا أبو غالب الماوَرْدي، أنا أبو الحسن محمد بن علي السيرافي، نا أحمد بن إسحاق بن خَرْبان النهاوندي، نا أحمد بن عمران بن موسى، نا موسى بن زكريا، نا خليفة بن خيّاط قال: قال ابن

الكلبي: كانت الوقعة يعني باليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة.

وهذه الأقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك.

وقد ذكر سيف بن عمر: أنها كانت قبل فتح دمشق في أوّل خلافة عمر، سنة ثلاث عشرة ولم يتابع على ذلك.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلِّص، نا أحمد بن عبدالله بن سعيد، نا السري بن يحيى، نا شعيب، عن إبراهيم، نا سيف بن عمر، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا: وكانت اليرموك في أيام من جُمادى الآخرة، والجسر في شعبان. فكان أوّل فتح أتاه، يعني عمر، اليرموك وعلى عشرين ليلة من متوفى أبي بكر.

قال سيف: وكانت اليرموك لأيام خلون من رجب سنة ثلاث عشرة في إمارة عمر رضي الله عنه بتعبية أبي بكر رضي الله عنه.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر، نا أحمد بن عبدالله، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، عن عُبادة وخالد قالا: شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم نحوٌ من مائةٍ من أهل بدر.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي المصري وابنه أبو الحسن قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم، نا ابن عايذ، قال: وحدّثني عبد الأعلى بن مُسْهِر، عن سعيد بن عبد العزيز: أن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً. وعليهم أبو عبيدة بن الجرّاح والروم عشرون ومائة ألف عليهم ماهان وسقلان يوم اليرموك.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، نا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو المَيْمُون بن راشد الدمشقي، حدّثني أبو نُعيم، نا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر يقول: ما أستطيع أن أصلّي.

قال: فلما حُصر أبو عبيدة وتألب عليه العدو، فكتب إليه عمر: أمّا بعد فإنه مهما ينزل بعبدٍ شدّةٌ إلّا جعل الله له بعدها فرجاً. ولن يغلب عسرٌ يسرين. فإن الله تعالى يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتّقوا الله لعلّكم تُفلِحون﴾**(١).

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن أشليها وابنه أبو الحسن علي، قالا: أنبأ أبو الفضل بن الفرات، أنبأ [أبو] محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك القرشي، نا محمد بن عائذ، نا الوليد بن مسلم، نا أبو عمرو، عن حسان بن عطية، عن كعب، قال: إن لله عزّ وجلّ في اليمن كنزين جاء بأحدهما يوم اليرموك. قال: وكانت الأردن يومئذ ثلث الناس، ويجيء

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

بالآخر يوم الملحمة الكبرى سبعين ألفاً، حمائل سيوفهم المسَد.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، نا أبو بكر الخطيب ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، حدّثني عمّار، عن سَلَمة عن محمد بن إسحاق، قال: مات المثنى بن حارثة فتزوج سعد امرأته سلمى ابنة حفص وذلك في سنة أربع عشرة، وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب. ودخل أبو عبيدة في تلك السنة دمشق فشتّى بها. فلما ضاقت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة: لَخْم وجُذَام وبَلْقين وبَليّ وعاملة وتلك القبائل من قُضاعة وغسّان، بشر كثير. معه من أهل أرمينية مثل ذلك بشر كثير. فلما نزلها أقام بها وبعث الصقلان، خصياً له. فسار في مائة ألف مقاتل، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً عليهم جرجة ومعهم من المستعربة من غسان وتلك القبائل اثنا عشر ألفاً عليهم جَبَلَة بن الأيهم الغسّاني وسائرهم [من الروم] وعلى جملة الناس الصقلان خصيّ هِرقل. وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجرّاح فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى دخل عسكر المسلمين، وقاتل نساءٌ من قريش بالسيوف حين دخل العسكر، منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سابقن[1] الرجال.

أخْبَرَنا أبو الحسين الخطيب، أنا جدي أبو عبدالله، أنا أبو الحسن الرَّبعي، أنا أبو الفرج العباس ابن محمد بن حيان، أنا أبو العباس بن الزفتي، أنا محمد بن محمد بن مُصعَب، نا محمد بن المبارك، نا الوليد، قال: وأخبرني صفوان بن عبد الرّحمن بن جُبير: أن المسلمين صالحوا أهل مدينة دمشق وأهل حمص، وقيصر يومئذ وجنوده بأنطاكية يريد أن يدخل بهم بلاده، وتأتي بطارقته من الروم وأهل قِنّسرين وأهل الجزيرة ذلك عليه. يسألونه أن يسير بهم فيقاتلوا المسلمين ويأبى عليهم فقالوا: فاعقد لرجلٍ وسيّرنا معه. ففعل فعقد لباهان الرومي الأرمني وسير معه من روم الروم مائتي ألف، وسار من روم قِنّسرين وأهل الجزيرة وغيرهم بشر كثير. فبلغ ذلك المسلمين الذين على حمص. فأجمع أمرهم على المسير إلى إخوانهم الذين بدمشق فيكون أمرهم واحداً. فقال لهم أهل مدينة حمص: نحن على صلحنا إن ظفرتم لا نكثر عليكم ولا نمد. قالوا: نعم، وساروا إلى دمشق وسارت الروم على حمص على بَعْلَبَكّ ثم على البقاع ثم على حَولة دمشق. فأشفق المسلمون أن يحولوا بينهم وبين إخوانهم الذين بسواد الأردن وما قبلها فساروا حتى نزلوا الجابية وانضمّ إليهم إخوانهم فكانوا جميعاً.

قال: ونا الوليد أخبرَني صفوان، عن عبد الرّحمن بن جُبير: أن أمراء الأجناد اجتمعوا في خباء

---

(١) في مختصر ابن منظور «سايفن» يعني المضاربة بالسيوف.

يزيد بن أبي سفيان وهم بالجابية يسمعون خبر عينٍ لهم من قُضاعة يخبرهم بكثرة القوم ومنزلهم على نهر الرقاد ومرج الجولان إذ طاف بهم أبو سفيان فقال: ماكنت أظن أني أبقى حتى أرى غِلمة من قريش يذكرون أمر حربهم ويكيدون عدوّهم بحضرتي لا يحضرونيه. فقالوا: هل لكم إلى رأي شيخكم. فقالوا: ادخل أبا سفيان فدخل. فقال: ما عندكم؟ أخبروه بخبر القُضاعي فقال: إن معسكركم هذا ليس بمعسكر. إنّي أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والأردن فيحولوا بينكم وبين مددكم من المدينة، فتكونوا بين عسكرهم. فارتحلوا حتى تجعلوا أذرعَات خلف أظهركم، يأتيكم المدد والخير، فقبلوا ذلك من رأيه. فقال: إذ قبلتم هذا من رأيي فأمّروا خالد بن الوليد على الخيول، ومُروه بالوقوف [بها ممّا يلي الرقاد، وأمّروا رجلاً على المرامية، وأخرجوا إليه كل نابض بوتر ومروه بالوقوف] فيما بين العسكرين وبين الخيول فإنّه سيكون لرحيل العسكر من السحر أصوات عالية تحدث لعدوّكم فيكم طمعاً. فإن أقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيول فكفّتها. وإن كانت للخيول جَولة وزعت عنها المرَامية. فقبلوا ذلك من رأيه ونادَوا من السحر بالرحيل فنادت الروم أن العرب قد هربت. فأقبلت، فلقيتها الخيول فكفتها حتى سار العسكر تبعتها المرامية وساقتها الخيول، حتى نزلوا خلف اليرموك، وجعلوا أذرعَات خلف ظهورهم. ونزلت الروم فيما بين دير أيوب(١) إلى ما يليها من نهر اليرموك بينهم النهر.

فعسكروا هنالك أياماً، فبعث ماهان(٢) [صاحبهم] إلى خالد بن الوليد إن رأيت أن تخرج إليّ في فوارس وأخرج إليك في مثلهم أذكرك أمراً لنا ولكم فيه صلاح وخير؟ ففعل خالد بن الوليد فوقفه مَلياً فكان فيما عرض عليه إذ قال، قد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم. وإنّي قد رأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملها من الطعام والكسوة والأدم فيَرجعُون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم سنتكم هذه، فإذا كان قابل بعثتم إلينا فبعثنا إليكم بمثله. فإنّا قد جئناكم من الجيوش والعدد بما لا قِبَل لكم به. فقال خالد: ما أخرجنا من بلادنا الجوعُ ولا ضيقُ الأمر، ولكنّا معشر العَرَب نشرب الدماء. فحدِّثنا أن لا دماء أحلى من دماء الروم فأقبلنا نهريق دماءكم ونشربها قال: فنظر أصحابه بعضهم إلى بعض، وقالوا: هذا ماكنا نُحَدّث به عن العرب من شربها الدماء.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن أبي محمد الكتاني، أنا أبو نصر بن الجَنَدي وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أبي العَقَب، قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك، نا ابن عايذ، قال: قال الوليد فذكر نحوه إلّا أنه قال: رُوم الرُّوم، وقال: ثمانين ألفاً. والصواب

---

(١) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق. (معجم البلدان).

(٢) في مختصر ابن منظور: «باهان».

مائة ألف.

أخْبَرَنا أبو الحسين بن الخطيب، أنا جدي أبو عبدالله، أنا أبو الحسن الرَّبعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حيان، أنا أبو العباس بن الزفتي، أنا محمد بن محمد بن مُصْعَب وحشي، نا محمد بن المبارك، نا الوليد بن مسلم، أخبرني شيخ من بني أبي الجَعْد عن أبيه أبي الجعد أنه: أشار على المسلمين ببنات الروم فقبلوا ذلك منه فبعثوا خيلاً عظيمة وأمروا أهل العسكر بإيقاد النيران. فانطلق بهم على مدقة الطريق وجسر الروم حتى واقع عسكر الروم فقاتلوهم ملياً، فلما نشب القتال انحاز بهم في ظلمة الليل على الطريق الذي أقبل عليها والجسر، وتنادت الروم أن العرب قد انهزمت، فخرجت تتراكض بأدم النيران، فتوقص منهم في وادي اليرموك أكثر من ثمانين ألفاً لا يعلم الآخر منهم ما لقي الأول.

قال: ونا الوليد، نا صفوان بن عمرو، عن عبد الرّحمن بن جُبير: أن المسلمين غادوهم بالقتال وغَدَت الروم قد ترجَّلت صفوفاً في سلاسل الحديد مقفلاً عليهم لا يفرّ بعضهم عن بعض. فقاتلوهم قتالاً شديداً فنصر الله المسلمين وهزم الروم، فأتبعتهم الخيول يقتلونهم. وأدرك ماهان بناحية الجولان فقتل.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو علي بن المَسْلَمة، أنا أبو الحسن الحمّامي، أنا أبو علي ابن الصَّوَّاف، نا الحسن بن علي القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: قال أبو حُذيفة إسحاق ابن بشر، عن سعيد بن عبد العزيز، عن قدماء أهل الشام وغيرهم قالوا: ثم زحف ـ يعني ـ ماهان إلى المسلمين فخرج بهم أبو عبيدة وقد جعل على ميمنته مُعاذ بن جَبَل وعلى ميسرته قثامة بن أسامة الكنانة[١] وعلى الرجّالة هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص، وعلى الخيل خالد بن الوليد. وكان الأمراء عمرو بن العاص على ربع، ويزيد بن أبي سفيان على رَبع، وشرحبيل بن حسنة على رَبع، وكان أبو عبيدة على رَبع.

وخرج الناس على راياتهم فيها أشراف رجال من العرب، فيها الأزد وهم ثلث الناس، وفيها حِمْير، وهمدان ومَذْحِج وخَوْلان وخَثْعَم وفيها كِنانة وقُضاعة و[لَخْم] وجُذَام وكِنْدة وحضرموت، وليس فيها أسد ولا تميم ولا ربيعة، ولم يكن دارهم إنّما كانت دارهم عِراقية، فقاتلوا أهل فارس بالعراق، فلما بدروا[٢] لهم وسار أبو عبيدة بالمسلمين وهو يقول: عباد الله انصروا الله ينصركم، ويثبّت أقدامكم. يا عباد[٣] الله اصبروا فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاة للربّ ومدحضة للعار. ولا تتركوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدؤوهم بالقتال. وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق،

---

(١) في مختصر ابن منظور: قباثة بن أسامة الكناني. (٢) في مختصر ابن منظور: برزوا.

(٣) في مختصر ابن منظور: يا معشر المسلمين.

والزموا الصمت، إلّا من ذكر الله عزّوجلّ في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله.

قالوا وخرج مُعاذ بن جَبَل على الناس فجعل يذكّرهم ويقول: يا أهل القرآن [و] مستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق والرحمة. إنّ رحمة الله لا تنال وجنّته لا تُدخل بالأمانيّ، ولا يؤتي الله تعالى المغفرة والرحمة الواسعة إلّا الصادق المصدق. ألم تسمعوا لقول الله عزّوجلّ: ﴿وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ إلى آخر الآية[١] واستحيوا رحمكم الله من ربّكم أن يراكم فُرّاراً عن عدوّكم، وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عزّ بغيره. يمشي في الصفوف ويذكرهم، حتى إذا بلغ من ذلك ما أحب ورأى من الناس الذي سرّه لهم، ثم حَرّضَهُم وانصرف إلى موقفه رحمه الله.

قالوا: وسار في الناس عمرو بن العاص وهو أحد الأمراء كمسير أخيه معاذ بن جبل فجعل يُحرّضهم ويقول: يا أيّها المسلمون غضّوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح. فإذا حملوا عليكم فأمْهلوهم، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجوههم وثبة الأسد. فوالذي يرضى للصدق ويثبت عليه، ويمقت الكذبَ، ويجزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً قصراً فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فإنّكم لو صدقتموهم الشدّ تطايروا تطاير أولاد الحجل.

قالوا: ثم يرجع فوقف في موقفه معهم أيضاً.

قالوا ثم رجع أبو سفيان بن حرب، وهو متطوع يومئذ، إنّما استأذن أمير المؤمنين عمر أن يخرج متطوعاً مَدَداً للمسلمين متطوّعين، فجعل الله في مخرجه بركة. فسار في صف المسلمين وهو يقول: يا معشر المسلمين أنتم العرب، وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد الله، وقد والله أصبحتم بإزاء عدوّ كثيرٍ عدده، شديدٍ عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ رضوان الله غداً إلّا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ألا إنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري، ليس لأحد فيها معقل ولا معقول إلّا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معقول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ولتكن هي الحصون.

قالوا: ثم رجع أبو سفيان إلى النساء اللاتي مع المسلمين، وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وأبنائهن، وأجلسهن خلف صفوف المسلمين وأمر بالحجارة فألقيت بين أيديهن ثم قال: لا يرجع إليكن أحد من المسلمين إلّا رميتموه بهذه الحجارة، وقلتن من يرجوكم بعد الفرار عن الإسلام وأهله وعن النساء بأرض العدو؟ فالله الله.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩.

قال ثم رجع أبو سفيان فنادى المسلمين فقال: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنّة أمامكم والشيطان والنار خلفكم. ثم وقف موقفه.

قالوا: وزحفت الروم مكانها إلى المسلمين يدفّون دفيفاً معهم الصلبان، وأقبلوا بالأساقفة والقسيسين والرهبان والبطارقة. لهم رجل كرَجل الرعد، وقد تبايع عظماؤهم على الموت، ودخل منهم ثلاثون ألفاً كل عشرة في سلسلة لأن لا يفرون.

قالوا: فلما نظر إليهم خالد مقبلين أقبل يركض حتى قطع صف المسلمين إلى نساء المسلمين وهُنّ على تلّ مرتفع من العسكر حيث وضعهنّ أبو سفيان فقال: يا نساء المسلمين أيّما رجل أقبل إليكم منهزماً فاقتلنه ثم انصرف فأتى أبا عبيدة فقال: إنّ هؤلاء قد أقبلوا بعدّة رحل وفرح وإن لهم حدة لا يردها شيء، وليست خيلي بالكثيرة، ولا والله لا قامت خيلي لشدّة خيلهم ورجالهم أبداً وخيله يومئذ أمام صفوف المسلمين ثلاثة. فقال خالد: قد رأيت أن أفرق خيلي فأكون في إحدى الخيلين، وقيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة فإذا حُمل على الناس ثبت الله أقدامهم، وإن كانت الأخرى حملت خيولنا عليهم وهي جامة، وهم قد انتهت شدّتهم وتفرّقت جماعتهم، فأرجُو عندها أن يظفر الله بهم ويجعل الدائرة عليهم. وقد رأيت أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا، ويقف من ورائه بحذائه مائتين أو ثلاثمائة يكون للناس ردءاً قالوا: فقبل أبو عبيدة مشورته وقال: افعل ما أراك الله وأنا فاعل ما أردت. وأجلس أبو عبيدة سعيد ابن زيد مكانه وفعل ما أمره به خالد. فركب فرسه وأقبل يسير في الناس ويحرّضهم. ويوصيهم بتقوى الله والصبر، ثم انصرف فوقف من خلف الناس ردءاً لهم.

قال إسحاق: نا سعيد بن عبد العزيز عن بعض قدمائهم أن رجلاً من المسلمين أقبل يومئذ عند وَصاة أبي عبيدة هذه فقال له: إنّي قد أردت أن أقضي شأني فهل لك إلى رسول الله ﷺ حاجة ؟ فقال أبو عبيدة: نعم تقرئه منّي السلام، وتخبره أنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً، ثم تقدّم الرجل فكان أوّل من استشهد، رحمة الله تعالى عليه.

قال: وأقبلت الروم إليهم كأنها سحابة منقضّة إلى المسلمين حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين. قال: فبرز مُعاذ بن جَبَل فنادى المسلمين: يا معشر أهل الإسلام إنّهم قد تهيأوا للشدّة، ولا والله لا يردّهم إلّا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع.

قالوا: ثم نزل عن فرسه وقال: من يريد فرساً يركبه ويقاتل عليه ؟ قال: فوثب ابنه عبد الرّحمن وهو غلام حين احتلم، فأخذه فقال: يا أبة إني لأرجوه أن لا يكون فارساً أعظم غناء في المسلمين مني فارس، وأنت يا أبه راجلٌ أعظم غناء منك فارس. الرجّالة هم عظم المسلمين، فإذا رأوك حافظاً مترجّلاً صبروا إن شاء الله تعالى وحافظوا. قال: فقال أبوه: وفّقني الله وإيّاك يا بني.

قال: ثم إن الروم تداعوا وتحاضّوا وذكّرتهم الأساقفة والرّهبان. قال: فجعل معاذ إذا سمِعَ ذلك

منهم يقول: اللّهم زلزل أقدامهم [وأرعب قلوبهم] وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى وحَبّب إلينا اللقاء، ورضنا بالقضاء.

وخرج باهان صاحب الروم فجال فيهم، حتى وقف وأمرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم وأموالهم وسلطانهم، ثم بعث إلى صاحب الميسرة أن احمل، وهو الذربيجان، وكان عدو الله متنسكاً. فقال للبطارقة والرؤوس الذين معه قد أمركم أميركم أن تحملوا. قالوا: فتهيّأت البطارقة فشدّت على الميمنة وفيها الأزْد ومَذْحِج وحضرموت وحِمْير وخَوْلان فثبتوا حتى صدقوا أعداء الله فقاتلوهم قتالاً شديداً طويلاً، ثم أنه ركبه من الروم أمثال الجبال. فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشفت طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صَدْر من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، وانكشفت زبيد يومئذ وهي في الميمنة وفيهم الحجاج بن عبد يغوث فتنادوا فترادّوا واجتمعوا جميعاً فاجتمعوا وهم خمسمائة رجل، فشدّوا شدّة نهنهوا مَنْ قِبَلهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الميمنة وترادّ أيضاً جماعة من الميمنة المتحيزة فشدَّت حِمْير وحضرموت وخولان بعدما زالوا حتى وقفوا مواقفهم في الصف. واستقبل النساء سرعان من انهزم من المسلمين معهن عُمد البيوت وأخذن تضربن وجوههن وترمين بالحجارة.

قالوا: قال العباس بن سهل بن سعد الساعدي وكانت تحته خولة بنت ثعلبة الأنصارية في هؤلاء النساء فمرّ بها عمرو، وهو ابن بحر، وهو يقول:

يا هارباً عن نسوة ثنيات … فعن قليل ما ترى سبيات

ولا خطيئات ولا رضيات

قال: فترادّ الناس وثبت النساء على مواقفهن.

قالوا: واسْتحرّ القتال في الأزد، فأصيب منهم ما لم يقتل من القبائل، وقُتل يومئذ عمرو بن الطفيل الدُّوسي وحقق الله رؤيا والده رحمة الله عليه الطفيل، فإنّه رأى يوم مُسَيْلمة أن امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخله، وطلبه ابنه هذا وحُبس عنه، فقال: أوّلت رؤياي أن أُقتل، وإن المرأة التي أدخلتني في فرجها الأرض، وأن ابني سيصيبه جراحة ويوشك أن يلحقني، فقُتل هذا يوم اليرموك، وهو يقول: يا معشر الأزد لا يؤتين المسلمين من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه قدماً وهو يقول:

قد علمت دوس ويشكر تعلم … أني أخو البيض ليوم مظلم

وأعزل الشكيم شدّ الأيهَم … كنت عزيزاً في الوغا ضيغم

فقاتل حتى قتل.

قال: وثبت جُنْدَب بن عمرو بن جهمة ورفع رايته وهو يقول: يا معشر الأزْد، إنه لا ينجو من القتل والعدو والإثم إلّا من قاتل. ألا وإنّ المقتول الشهيد والخائب من تولى. ثم أخذ يقول: يا معشر

الأزد:

إنّه لا يمنع الراية إلّا الأبطال

فقاتل حتى قتل.

قالوا: وبرز أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ إلى الأزد يُعاونها وهو أحد الرؤوس من الأزد فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربّكم عزّوجلّ في جنان النعيم، ما أنتم إلى ربّكم في موطن أحبّ إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإنّ للصابرين فضلهم.

قالوا فأطافت به الأزد ثم اضطربوا حتّى صارت الروم تجول في مجال واحد كما تدور الرحى، قالوا: ولقلّ ما رؤي يوماً أكثر قحفاً ساقطاً ومِعْصماً نادراً وكفاً طائرة من ذلك الموطن. والناس يضطربون تحت القسطل. قالوا: وجُلّ القبائل في الميمنة حتى القلب، قالوا: والقلب في نحو ما فيه الميمنة.

قالوا: وحمل عليهم خالد بن الوليد على الميسرة التي دخلت العسكر، واضطربت ميمنة المسلمين إلى القلب، فصارت الميمنة والقلب شيئاً واحداً. فقتل هو وخيله نحواً من ستّة آلاف. ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجرّحين. وخرج خالد بن الوليد في خيله يطرد من كان من الروم قريباً من العسكر، حتى إذا أرادوا أن يمكروا به نادى عند ذلك: يا أهل الإسلام لم يبق عند القوم من الجلد والقتال إلّا ما رأيتم الشدّة الشدّة، فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم. قالوا: فاعترض صفوف الروم وأن في جانبه الذي يَستقبل لمائة ألف من الروم فحمل عليهم، وما هو إلّا في نحوٍ من ألف فارس. قالوا: فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فضّ الله جمعهم، وشدّ المسلمون على من يليهم من رحالهم فانكشفوا وأتبعهم المسلمون ما يمتنعون من قبل ميمنتهم [ولا ميسرتهم] قالوا: ثم إن خالداً انتهى في تلك الحملة إلى الدربيجان وقد قال لأصحابه: لفوني في الثياب، فلُف في الثياب، وقال: وددت أن الله كان عافاني من حرب هؤلاء القوم، فلم أرهم ولم يروني، ولم أنصر عليهم ولم ينتصروا عَليّ، وهذا يوم شرّ ولم يقاتل حتى غشيه القوم فقتلوه.

قالوا: وقال أيضاً قناطر وهو في ميمنة الروم لجرجين صاحب أرمينية: احمل. فقال له: أنت تأمرني أن أحمل وأنا أمير مثلك، فقال له قناطر: أنت أمير وأنا أمير وأنا فوقك وقد أمرت بطاعتي. فاختلفا. ثم إن قناطر حمل حملة شديدة على كِنانة وقيس وخَثْعَم وجُذام وقُضاعة وعاملة وغسّان وهم فيما بين ميسرة المسلمين إلى القلب فكشفوا المسلمين، وزالت الميسرة عن مَصَافّها وثبت أهل الرايات وأهل الحفايظ، فقاتلوا، وركبت الروم أكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم العسكر. قال فاستقبلهم نساء المسلمين بعُمُد الفساطيط يضربون بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن: أين أين عزّ الإسلام والأمّهات والأزواج قال: فيعطف هؤلاء الذين انهزموا إلى المسلمين. وينادي الناس

بالحفايظ والصبر. قال: وشدّ قبابة بن أسامة فقاتل قتالاً شديداً وجعل يرتجز ويقول:

إن تفقدوني تـفقدوا خـير فـارس لذي الغمرات والرئيس المحاميا
وذا فـخرٍ لا يـملأ الهَـول قـلبه ضروباً بنصل السيف أروع ماضيا

قالوا: فكسر في القوم ثلاث رماح يومئذ وقطع سيفين، وأخذ يقول كلّما قطع [سيفاً] أو كسر رمحاً: من يعير سيفاً أو رمحاً في سبيل الله رجلاً حبس نفسه مع أولياء الله، قد عاهد الله أن لا يفرّ ولا يبرح حتى يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت. فكان من أحسن الناس بلاءً في ذلك اليوم.

قالوا: ونزل أيضاً أبو الأعور السلمي فقال: يا معشر قيس خذوا نصيبكم من الأجر والصبر فإنّ الصبر في الدنيا عزّ ومكرمة، وفي الآخرة رحمة وفضيلة. فاصْبُروا وصابروا.

ثم إن الناس حيزوا إلى القلب وفي القلب سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل حيث وضعه أبو عُبيدة بن الجرّاح. قال: فلما نظر سعيد إلى الروم وخافها اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه طعن برايته أول رجل من القوم ثم ثار في وجوههم كأنّه الليث، وأخذ يقاتل ويعطف الناس إليه.

قالوا: وكان يزيد بن أبي سفيان يومئذ من عظم الناس غَناء قد كان أبوه مرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رَجُل بهذا الوادي من المسلمين إلّا محفوفاً بالقتال فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالجهاد والنصيحة. فاتّق الله يا بني والزم في أمرك، ولا يكونن أحد من إخوانك بأرغَب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجْرَأ على عدوّ الإسلام منك. قال: أفعل، فقاتل يومئذ في الجانب الذي كان فيه واقفاً قتالاً شديداً وكان ممّا يلي القلب.

قالوا: وشد طرف من الروم على عمرو بن العاص فانكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أوّل العسكر، وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة ولوا فيها الظهر.

قال: فنزلن النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال ونادت الناس أم حبيبة ابنة العاص فقالت: قبّح الله رجلاً يفر عن حليلته، وقبّح الله رجلاً يفرّ من كريمته. قالوا: وسُمع نسوةٌ من النساء المسلمين يقلن: فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا. قال: فترادّ المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موقفهم.

قالوا: وقاتل أيضاً شُرحْبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه فكان وسطاً من الناس إلى جنب سعيد بن زيد وانكشف عنه أصحابه فثبت وهو يقول **﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهُم**

وأموالَهُم﴾(١) إلى آخر الآية. أين الشارون أنفسهم لله ابتغاء مرضاة الله، وأين المشتاقون إلى جوار الله في داره ؟ قالوا: فرجع إليه ناس كثير، وبقي القلب لم ينكشف أهله لمكان الذي كان فيه سعيد ابن زيد.

قالوا: وكان أبو عبيدة من وراء ظهره ردءاً له وللمسلمين.

قالوا فلمّا رأى قيس بن هُبَيرة خيل المسلمين وراء صفهم ممّا يلي ميسرة المسلمين، وأن المسلمين قد دخلت مَيْسرتهم العسكر، وأن الروم قد صمدت لهم، اعترض الروم بخيله تلك ينتظر خيل خالد بن الوليد فعطف بهم إلى بعض. ورجع المسلمون في آثارهم فقاتلوهم، وحمل على من يَليه من الروم وهو في ميمنة المسلمين حتى اضطروهم إلى صفوفهم.

قالوا: فلما رأى خالد بن الوليد أن قيس بن هُبيرة قد كشف من يَليه وأن المسلمين قد رجعت راجعتهم إلى المسلمين، حمل على من يَليه من الروم، يعطف بعضهم بعضاً إلى بعض وزحف المسلمون إليهم رويداً حتى إذا دنوا منهم إذا [هم] ينتفضون.

قال فبعث ذلك أبو عبيدة عند ذلك إلى سعيد بن زيد أن شدّ عليهم، وشدّ المسلمون بأجمعهم عدّة واحدة وأظهرُوا التكبير ثم صكوهم صكة واحدة فطعنوا بالرماح فضربوا بالسيوف وأنزل الله تعالى نصره وما وعد نبيه ﷺ، فضرب الله وجوه أعدائه ومنح أكتافهم وزلزل أقدامهم، وأنزل الله ملائكة يضربون وجوههم حتى ولّوا المسلمين أكتافهم.

قالوا: قال سعيد بن المُسَيّب عن أبيه أنه قال: لما جُلنا هذه الجولة سَمعنا صَوتاً قد كاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات، يا معشر المسلمين، فتعطفنا عليه، فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه.

قالوا: وشدّ خالد في سُرعان الناس، وشدّ المسلمون معه يقتلون كل قتلة، وركب بعضهم بعضاً حتى انتهوا إلى مكان مشرف على أهوية فأخذوا يتساقطون فيها وهم يبصرون، وهو يوم ذو ضباب. ومنهم من قال: كان ذلك في الليل، فأخذ آخرهم لا يعلم ما يلقى أولهم. يتساقطون فيها، وهم لا يبصرون وهم يوم ذو ضباب حتى سقط فيها نحو من ثمانين ألفاً فما أحصوا إلّا بالقصب.

قالوا: وبعث أبو عبيدة شدّاد بن أوْس بن أخي حسّان بن ثابت بعدهم، بعد ذلك اليوم بيوم، فوجد من سقط في تلك الأهوية بعدما عدّهم بالقصب ثمانين ألفاً يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً وسمّيت تلك الأهوية بالواقوصة من يومئذ حتى اليوم لأنهم وُقصوا فيها. فأخذوا وجهاً آخر. وقتل المسلمون في المعركة بعدما أدبروا أما ما لا يحصى. وغلبهم الليل فبات المسلمون، فلما أصبحوا نظروا فإذا هم لا يرون شيئاً، فقالوا: كمن أعداء الله لنا فلما بعثوا الخيول في الوادي تنظر هَل لهم من

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

كمين لو نزلوا بوطاء من المسلمين، فإذا الرعاة يخبرونهم أنهم قد سقطوا في الواقوصة، فسألوا عن عُظيم الروم، فقالوا: قد ترحل منهم البارحة بنحو من أربعين ألفاً.

ثم أتبعهم خالد بن الوليد على الخيل فقتلهم، حتى مرّ بدمشق فخرج إليه رجال من أهل دمشق فاستقبلوه. فقالوا: نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم. فقال لهم: نعم أنتم على عهدكم. ثم أتبعهم يقتلهم في القرى، وفي كل وجه حتى قدم دمشق فخرج إليه أهلها فسألوه التمام على ما كان بينهم ففعل. قال: ومضى خالد يطلب عظم الناس حتى أدركوه بثنية العُقاب وهو يهبط الهابط منها إلى غوطة، فدرك عظم الناس حتى أدركهم بغوطة دمشق.

فلما انتهوا إلى تلك الجماعة من الروم وأقبلوا يرمونهم بالحجارة من فوقهم، فتقدّم إليهم الأشتر وهو في رجال من المسلمين فإذا أمامهم رجل من الروم جسيم عظيم، فمضى إليه حتى وثب عليه، فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية فاضطربا بسيفيهما فأظن الأشتر كف الرومي، وضرب الرومي الأشتر بسيفه فلم يضره واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا على الصخرة، ثم انحدرا وأخذ الأشتر يقول وهو في ذلك ملازم العلج لا يتركه ﴿**قل إنّ صَلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريكَ له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين**﴾(١) قال: فلم يزل يقل ذلك حتى انتهوا إلى مستوى الجبل وقرار. فلما استقروا وثب على الرومي فقتله. وصاح في الناس أن جوزوا. قال: فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قُتل خلّوا الثنية وانهزمُوا. قال وكان الأشتر ذا بلاء حسن في اليرموك، قالوا: لقد قتل ثلاثة عشر.

قالوا: فركب خالد والمسلمون الثنية، ثم انحطوا مشرفين، وأنكوا في سائر البلاد يطلبون أعداء الله في القرى والجبال، حتى وصلوا إلى حِمْص. فخرج إليهم أهل حِمْص يسألونهم التمام على عهدهم وعقدهم وجزيتهم(٢). ففعل بهم خالد ما فعل بأهل دمشق، وأقام بها ينتظر رأي أبي عبيدة.

قالوا: ولما سار خالد بن الوليد من اليرموك في إثر من انهزم وقع أبو عُبيدة في دفن المسلمين حتى غيبهم وكفاه دفن الكفّار بالواقوصة التي وقعُوا فيها وقد كان ممّا يعملون أن يدفنوا الكفّار بعدما يدفنون المسلمين، فكفاه الله الكفار بالواقوصة التي وقعوا فيها. فكتب أبو عبيدة مكانه إلى عمر بن الخطاب يَصف له أمرهم.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النّقور، أنا أبو طاهر المُخلّص، نا أبو بكر بن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر التميمي، قال: وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمّى لكل أمير من أمراء الشام كورة فسمّى لأبي عبيدة بن عبدالله بن الجرّاح حِمْص وليزيد بن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) في مختصر ابن منظور: وحريتهم.

أبي سفيان دمشق، ولشرحبيل بن حسنة الأردن، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مُجَزّر فلسطين فإذا فرغا منها ترك علقمة وسار إلى مصر، فلما شارفوا الشام دهم كل أمير منهم قوم كثير. وأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد وأن يَلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين.

قال: ونا سيف عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، عن خالد وعبادة قالا: توافى إليها - مع الأمراء الأربعة، والجنود مع عمرو، وعلقمة ويزيد بن أبي سفيان وأبي عُبيدة وشُرحبيل - سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فلّال خالد بن سعيد، أمّر عليهم أبو بكر رضي الله عنه معاوية وشرحبيل وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد سوى ستّة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءاً بعد خالد بن سعيد. وكانوا جميعاً ستة وأربعين ألفاً، وكان عِكرمة من آخر بني مخروم إسلاماً، وقد جاء عن النبي ﷺ فيه حديث. وذلك أنه بارز رجلاً في بعض حروب النبي ﷺ فقتله. فاستضحك النبي ﷺ فقال له [نفر] من الأنصار: ما أضحكك وقد فجعنا بصاحبنا؟ فقال: **أضحكني أنّهما في درجة واحدة في الجنّة**[٤٥٠](١).

قال: وكان قتالهم على تساندٍ كل جند وأميره لا يجمعهم واحد، حتى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شُرحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان. وكان [أبو عبيدة] ربما صلّى مع عمرو بن العاص، وشرحبيل مع يزيد فأمّا عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يُصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل. وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم هذه. فعسكر على حدة فصلّى بأهل العراق، ووافق خالد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم، عليهم باهان، ووافق القوم وهم نشاط لمددهم. فالتقوا فهزمهم الله تبارك وتعالى حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق، والواقوصة أحد حدوده والواقوصة لهب(٢) لاج في الأرض.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا أبو طاهر الُمخَلّص، أنا أبو بكر ابن سيف، نا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف بن عمر قال(٣): وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم فالتقوا فهزمهم الله تبارك وتعالى حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق والواقوصة إلّا المحامية، عليهم عِكرمة والحارث بن هشام. وركب خالد ومعه جَرَجَة والروم خلال المسلمين. فتنادى الناس وباتوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم. فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيف، فضرب فيهم خالد وجَرَجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جَرَجَة ولم يُصلّ صلاة سجد فيها إلّا الركعتين اللتين أسلم عليهما، فصلّى الناس الأولى والعصر إيماءً. وتضعضع الروم، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٤.

(٢) واللهب مهواة ما بين كل جبلين (قاموس).

(٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٩ حوادث سنة ١٣.

خيلهم ورجلهم، وكان مقاتلتهم واسع المطرد، ضيّق المهرب. فلما وجدت خيلُهم مذهباً وذهبت وتركتهم رجلهم في مصافهم، وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء، وأخروا أناس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح، ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجّهت للهرب، أفرجوا لها، ولم يحرّجوها. فذهبت فتفرّقت في البلاد، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجْل ففضوهم فكأنما هدم بهم حائطاً، فاقتحموا في خنادقهم، واقتحمه عليهم فعمدوا إلى الواقوصة، حتى هَووا فيها، المقترنون وغيرهم، فمن صبر للقتال من المقترنين هو أنه من خشعت نفسه، فيهوي الواحد بالعشرة لا يطيقونه، وكلّما هوى اثنان كان البقية عنهم أضعف. وكان المقترنون أعشاراً، فتهافت في الواقوصة عشرون ألفاً ومائة ألف، ثلاثون ألفاً مقترن وأربعون ألفاً مطلق، سوى من قُتل في المعركة من الخيل والرجل؛ فكان منهم الفارس يومئذ ألف وخمسمائة، وتجلّل الفيقار وأشراف من أشراف الروم برانسهم، وجلسوا وقالوا: لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية؛ فأُصيبوا في تزملهم.

أَخْبَرَنا أبو القاسم، أنا أبو الحسين، أنا أبو طاهر، أنا أبو بكر بن سيف، أنا السري بن يحيى، نا شعيب بن إبراهيم، نا سيف، عن مبشّر وسهيل وأبي عثمان، عن خالد وعُبادة وأبي حارثة قالوا: وأوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة ردءٌ للناس، وبلغ الروم ذلك، فكتبوا إلى هرقل، وخرج هرقل حتى ينزل بحِمْص. فأعد لهم الجنود، وعبّى لهم [العساكر] وأراد تفريقهم وشغل بعضهم عن بعض لكثرة جنده، وفضول رجاله فأرسل إلى عمر وأخاه تذارق لأبيه وأمّه، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً، وبعث من يسوقهم، حتى نزل لصاحب الساقة بثنية جلّق بأعلا فلسطين. وبعث جرجة ابن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكروا بإزائه وبعث الدُّراقص، فاستقبل شرحبيل وبعث القيفان ونطورس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً، سوى عكرمة في ستّة آلاف، ففزعوا جميعاً بالكتب والرسل إلى عَمرو: أن ما الرأي ؟ فكاتبهم وراسلهم أن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يَغلب عن قلّة، فإذا تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممّن استقبلنا وواعدانا لكل طائفة منّا، فاتعدوا اليرموك ليجتمع به، وقد كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بمثل ذلك ما كاتبوا به عمر، فطلع عليهم كتابه بمثل ما رأى عمرو سواء، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنّكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يُؤتى مثلكم من قلّة، وإنّما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على عشرة آلاف، إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصلّ كل رجل منكم بأصحابه.

ثم بلغ ذلك هِرقل فكتب إلى بطارقته: أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس التدارق وعلى المقدمة جَرَجَة وعلى مجنبتيه ماهان

والدارقص وعلى الحرب القيفار، وأبشروا فإن باهان في الأثر مَدَد لكم. ففعلوا فنزلوا الواقوصة، على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم، وهو لِهب، لا يُدرك، وإنّما أراد باهان وأصحابه أن يستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين ويرجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها.

وانتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا به، فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم، وليس للروم طريق إلّا عليهم، فقال عمرو: أيّها الناس ألا أبشروا حُصرت والله الروم، وقلّ ما جاء محصور بخير، وأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم، ومخرجهم صفر سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع، لا يقدرون من الروم على شيءٍ ولا يخلصُون إليهم: اللِّهب وهو الواقوصة من ورائهم والخندق من ورائهم ولا يخرجون خرجة إلّا أديل[1] المسلمون منهم، حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأوّل، وقد استمدّوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر، فكتب إلى خالد ليلحق بهم، وأمره أن يخلّف على العراق المُثنّى، فوافاهم في ربيع.

قال: ونا سيف عن محمد وطلحة وعمرو والمُهلَّب قالوا[2]: ولما نزل المسلمون باليرموك، واستمدوا أبا بكر قال: خالد لها، فبعث إليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثّه بالسير، فنفذ خالد لذلك، فطلع عليهم خالد، وطلع باهان على الروم، وقد قدّم قدّامه الشمامسة والرهبان والقسيسين، يعيرونهم ويحضونهم على القتال. فاتفق خالد وباهان ووافق قدوم خالد قدوم باهان فخرج بهم باهان كالمقتدر، فولي خالد قتاله، وقاتل الأمراء من بإزائهم، فهزم باهان، وتتابع الروم على الهزيمة واقتحموا خندقهم وتيمنت الروم بباهان، وفرح المسلمون بخالد وقال راجز المسلمين في ذلك:

دعوا هرقلاً ودَعَونا الرحمن ... والله قد أخزى جنود باهان
بخالد اللج أبي سليمان ... ليس بوهواه ولا بوان
لا نزق فيه ولا أرنان

وجرّد المسلمون وجرد الكافرون وهم أربعون ومائتا ألف؛ منهم ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربّطون بالعمائم، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممّن كان مقيماً، إلى أن قدم عليهم خالد في التسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفاً.

قال ونا سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة عن عبد الرحمن بن غَنْم، وشهدها. قال: كان أبو سفيان وأشياخ محامية ولا يجولون ولا يقاتلون، يفيء [إليهم] الناس ولا يأرزون. وكانت إذا كانت على الروم قال: وقالوا هلال بن الأصفر، اللّهم اجعله وجههم، فإذا كانت على

(١) يقال: أديل لنا على عدوّنا أي نصرنا عليه، وكانت الدولة لنا (انظر اللسان).

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

المسلمين قال: وقالوا يا بني الأحوى أين أين. اللّهم ارْدُدْ لهم الكرة، فإذا كروا قالوا: بهن بنو الأحوى، فإذا عملوا قالوا: اللّهم أعنهم وأنصرهم حتى إذا فتح الله عزّوجلّ على المسلمين من آخر الليل وقتلوهم حتى الصباح ثم أصبحوا فاقتسموا الغنائم، ودَفنوا قتلى المسلمين، وبلغوا ثلاثة آلاف وصلّى كل أمير قوم على قتلاهم، ودفع خالد بن الوليد العهد إلى أبي عبيدة بعدما فرغ من القسم ودفن الشهداء وتراجع الطلب. فولّى أبا عبيدة النفل من الأخماس. فنفل، فأكثروا الكتاب بالفتح والإرسال بالأخماس. وبعث أبا جندل بشيراً، ووفّد قباث بن أشيم.

ح وأخْبَرَنا أبو القاسم، أنا أبو الحسين، أنا أبو طاهر، أنا أبو بكر بن سيف، أنا أبو عبيدة السري ابن يحيى، نا شعيب، نا سيف، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال[1]: لقي خالد مقدمه بالشام معيناً لأهل اليرموك رجلاً من روم العرب فقال: يا خالد إن الروم في جمع كثير مائتي ألف أو يزيدون. فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل. فقال خالد: بالروم تخوفني! والله لوددتُ أن الأشقر يرى من توجيه، وإنهم أضعفوا ضعفهم فهزمهم الله عزّوجلّ على يديه.

قال نا سيف عن المُطّرح عن القاسم عن أبي أمامة وأبي عثمان، عن يزيد بن سنان، عن رجال من أهل الشام من أشياخهم قالوا: لما كان اليوم الذي تأمّر فيه خالد، هزم الله عزّوجلّ الروم مع الليل، وصعد المسلمون العَقَبة، وأصابوا ما في العسكر، وقتل الله عزّوجلّ صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم، وقتل الله عزّوجلّ أخا هرقل، وأخذ التّذارق، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حِمْص، وارتحل فجعل حِمْص بينه وبينهم، وأمّر عليها أميراً، وخلّفه فيها، كما كان أمّر على دمشق وخلف فيها وارتحل، وأتبع المسلمون الروم حتى هزموهم خيولاً يثفنونهم. ولما صار الأمر إلى أبي عبيدة بعد الهزيمة نادى بالرحيل. وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عسكرهم بمرج الصُّفّرين.

قال أبو أمامة: فبعثت طليعة من مرج الصُّفّرين مع فارسين فسرت حتى دخلت. فجستها بين أبياتها وشجراتها، فقال أحد صاحبيّ: قد بلغتَ حيث أمرت فانصرف لا تهلكنا. فقلت: قفْ مكانك حتى تصلح أولئك، فسرت حتى دفعت إلى باب المدينة، وليس في الأرض أحد ظاهر، فزغت لجام فرسي وعلّقت عليه مخلاته، وركزت رمحي ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلّا بالمفتاح تحرّك عند الباب ليُفتح، فقمت فصلّيت الغداة، ثم ركبت فرسي، فحملت عليه، فطعنت البوّاب فقتلته وتصالحوا في المدينة ودخلت فلقيت رجلاً فقتلته ثم لقيت آخر فطعنته فقتلته ثم انكفأت راجعاً، وخرجوا يطلبونني فجعلوا يكفّون عنّي مخافة أن يكون لنا كمين، فدفعت إلى صاحبي الأدنى الذي أمرته أن يقف، فلما رأوه قالوا: هذا كمين انتهيا إلى كمينه، فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٠٢.

حتى دفعنا إلى صاحبي الثاني، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين؛ وقد عزم أبو عبيدة أن لا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وأمره. فأتاه فرحلوا حتى نزلوا دمشق وخلّف باليرموك بُشير بن كعب بن أبي الحِميري في خيلٍ.

قال: وقال القعقاع بن عمرو في يوم اليرموك:

ألم ترنا على اليرموك فزنا ... كما فزنا بأيام العرَاقِ
فتحنا قبلها بُصرى وكانت ... محرمة الجناب لدى النفاق
وعذراء[1] المدائن قد فتحنا ... ومرج الصُّفَّرين على العتاق
قتلنا من أقام لنا وفينا ... نهابهُم بأسيافٍ رقاقِ
قتلنا الروم حتى ما تساوى ... على اليرموك نفروق الورَاق
فضضنا جمعهم لما استحالوا ... على الواقوصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا ... إلى أمر يعضل بالذواق

وقال عمرو بن العاص واعير على لخم وجذام بالفرار عند الحملة في أوّل النهار على إثر جرجة وهم الذين تكشفوا بالناس والحرب:

القوم لخم وجذام في الحرب ... ونحن والروم بمرج نضطرب
فإن يعودوا بعدها لا نصطحب ... بل نعصب الفرّار بالضرب الكلب[2]

وقال الأسود أبو مفزّر التميمي:

وكم قد أغرنا غارة بعد غارة ... ويوماً ويوماً قد كشفنا أهاوله
ولولا رجال كان حشو غنيمة ... لدى مأقط رجت عليهم أوائله
لقيناهم اليرموك لما تضايقت ... بمن حلّ باليرموك منه حمائله
[فلا يعدمن منا هرقل كتائبا ... إذا رامها رام الذي لا يحاوله]

---

(١) عذراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة.

(٢) البداية والنهاية: ٧ / ١٩.

باب
ذكر تاريخ قدوم عمر رضي الله عنه الجابية[١]
وما سنّ بها من السنن الماضية

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو الميمون ابن راشد، نا أبو زرعة، حدّثني محمود بن خالد قال: عن محمد بن عائذ، عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن سلاق قال: قال يزيد بن عبيدة: فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة، وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية.

قال أبو زرعة: فأخبرني عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم قال: ثم عاد في العام المقبل يعني سنة ثمان عشرة، حتى أتى الجابية، يعني بعد عوده من سَرْغ سنة سبع عشرة فاجتمع إليه المسلمون. فدفع إليه أمراء الأجناد ما اجتمع عندهم من الأموال. فجنّد ومصّر الأمصار. ثم فرض الأعطية والأرزاق ثم قفل إلى المدينة.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، أنا أبو الحسين بن الفضل، أنبأ عبدالله ابن جعد نا يعقوب قال: ثم فتح الجابية وإيلياء سنة ست عشرة.

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن أشليها وابنه أبو الحسن علي قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العقب، أنا أحمد بن إبراهيم القرشي، نا ابن عائذ، نا الوليد بن مسلم، حدّثني عثمان بن حصن عن يزيد بن عبيدة قال: ثم فتحت إيلياء سنة ست عشرة وفيها قدم عمر الجابية.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عمر بن عبدالله بن عمر، أنا أبو الحسين بن بشران، أنبأ عثمان بن أحمد بن حنبل، نا عاصم بن علي، نا أبو معشر قال: ثم كانت عِمْواس[٢] والجابية في سنة ست عشرة.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني قال: نا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد، نا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو الميمون بن راشد، نا أبو زرعة قال: قال أحمد بن حنبل: وفي سنة ثماني عشرة كان طاعون عِمْواس.

قال أبو زرعة: فأخبرني سعيد بن كثير، قال ففيه يقول الشاعر:

---

(١) الجابية بكسر الباء وياء خفيفة: قرية من أعمال دمشق، من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران.

(٢) عمواس: ضيعة جليلة على ستّة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس (معجم البلدان).

رب خـرق مـثل الهـلال وبـيضا ء لعـوب بـالجزع مـن عِـمْواس
قـد لقـوا الله غـير بـاغ عـليهم فأُحـلّوا بـغير دار ائـتناس
وصَبرنا حـقاً كـما قـد وَعـد الله وكـنا فـي الصـبر قـوماً تآسـي

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي، نا أبو بكر الخطيب ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، قالا: أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب، نا ابن بُكَير، حدّثني الليث بن سعد قال: ثم كانت الرّمادة(١) وطاعون عِمْواس سنة ثمان عشرة.

قال يعقوب: وحدّثني سَلَمة عن أحمد بن حنبل، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعْشَر قال: ثم كانت سَرْغ سنة سبع عشرة، ثم كانت الرّمادة سنة ثمان عشرة، وكان في ذلك العام طاعون عِمْواس.

لعل عِمْواس التي ذكرها أبو مَعشر سنة ست عشرة وقعة كانت عندها. فأمّا الطاعون فقد وافق غيره في أنه كان سنة ثمان عشرة.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الخطيب ـ بمُشْكان ـ أنا أبو منصور محمد بن الحسن النهاوندي، نا أبو العباس أحمد بن الحسين بن زنبيل، نا عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن، نا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، نا عبدالله بن صالح، قال في حديثه: إن عمر قدم الجابية سنة ثمان عشرة.

وهذا يدل على أن عمر قدم الجابية مرّتين.

أخْبَرَنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحّامي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي واللفظ له ح.

وأخْبَرَنا [أبو القاسم] بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، قالا: أنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنا عبدالله بن جعفر بن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، حدّثني سعيد بن كثير بن عُفَير المصري، حدّثني ابن لَهِيعة أن يزيد بن أبي حبيب حدّثه أن أبا الخير حدّثه: أن عبد العزيز بن مروان [قال] لكريب بن أبرهة: أحضرت عمر بن الخطاب بالجابية؟ قال: لا، قال: [فمن] يحدّثنا عنها؟ قال كريب، إن بَعثت إلى سفيان بن وهب الخَولاني حدّثك عنها. فأرسل إليه فقال: حدّثني عن خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية. قال سفيان: إنّه لما اجتمع الفيء أرسل أمراء الأجناد إلى عمر بن الخطاب أن يقدم بنفسه. فقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنّ هذا المال نقسمه على من أفاء الله عليه بالعدل إلّا من أفاء الله عليه بالعدل إلّا هذين الحيّين من لَخْم وجُذَام فلا حق لهم لله.

فقام إليه أبو حديدة الأجذمي فقال: ننشدك الله يا عمر في العدل. فقال عمر: العدل أريد. أنا

(١) وهي رمادة فلسطين: وهي رمادة الرملة، انظر (معجم البلدان).

أجعل أقواماً أنفقوا في الظّهر وشدوا العَرض وساحوا في البلاد مثل قوم مقيمين في بلادهم ؟ ولو أن الهجرة كانت بصنعاء أو بعدن ما هاجر إليها من لَخْم ولا جُذَام أحد. فقام أبو حديدة فقال: إنّ الله وضعنا من بلاد حيث شاء وساق إليها الهجرة في بلادنا فقبلناها ونصرناها. أفذلك يقطع حقّنا يا عمر ؟ ثم قال: لكم حقّكم مع المسلمين.

ثم قسم فكان للرجل نصف دينار، فإذا كانت معه امرأته أعطاه ديناراً.

ثم دعا ابن فاطورا[1] صاحب الأرض فقال: أخبرني ما يكفي الرجل من القوم في الشهر واليوم ؟ فأُتي بالمدي والقسط، فقال يكفيه هذا المديان في الشهر وقسط زيت وقسط خل، فأمر عمر بمدين من قمح فطحنا ثم عجنا ثم أدّمهمَا بقسطين زيت، ثم أجلس عليهما ثلاثين رجلاً فكان كفاف شبعهم، ثم أخذ عمر المديين بيمينه والقسط بيساره ثم قال: اللهم لا أحلّ لأحد أن ينقصهما بعدي. اللهم فمن نقصهما فأنقص من عمره.

أَخْبَرَنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان، أنا أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن المبارك، أنا عبدالله بن الحسين بن عبيد الله بن عبدان، أنبأ عبد الوهّاب الكلابي، أنا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طَلّاب، نا هشام بن عمّار، نا الهيثم بن عمران سمعت جدّي يقول: لما وُلي عمر بن الخطاب زار أهل الشام فنزل بالجابية، وكانت دمشق تشتعل طاعوناً. فهمّ أن يدخلها فقال له أصحابه: أما [علمت أن] النبي ﷺ قال: «**إذا حَلّ بكم الطاعون فلا تهربوا منه [ولا] تأتوه حيث هو**»[٤٥١] وقد علمت أن أصحاب النبي ﷺ فرحَانين لم يُصبهم طاعون قط. فأرسل عند ذلك رجلاً من جديلة، ولم يدخلها هو، إلى بيت المقدس فافتتحها صُلحاً.

ثم أتاها عمر ومعه كعب فقال: يا أبا إسحاق الصخرة أتعرف موضعها ؟ قال: أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً، وهي مزبلة، ثم احفر فإنّك ستجدها. فحفروا فظهرت لهم. فقال عمر لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد ؟ قال: اجعله خلف الصخرة، فتجمع القبلتين قبلة موسى وقبلة محمّد ﷺ. فقال: ضاهيت اليهودية والله يا أبا إسحاق، خير المساجد مقدّمها. فبناه في مقدّم المسجد.

فبلغ أهل العراق أنه زار أهل الشام، فكتبوا إليه يسألونه أن يزورهم كما زار أهل الشام. فهمَّ أن يفعل فقال كعب: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تدخلها قال: ولمَ ؟ قال: فيها عصاة الجن وهاروت وماروت يعلّمان الناس السحر، وفيها تسعة أعشار الشرّ، وكل داء مُعضَل. فقال عمر رضي الله عنه: فهمتُ كل ما ذكرته غير الداء العضال فما هو ؟ قال: كثرة الأموال هو الذي ليس له شفاء. فلم يأتها عمر[٢].

أَخْبَرَنا أبو علي بن أشليها وابنه أبو الحسن علي قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٢٥ ابن قاطورا. (٢) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٢٥.

[أبي] نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم، نا محمد بن عايذ، نا مدرك بن أبي سعد عن يونس بن مَيْسَرة بن حَلْبَس قال: نزل المسلمون من البادية(١) وهم أربعة وعشرون ألفاً. فوقع فيهم الطاعون فذهب منهم عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف. فقالوا: هذا طوفان وهذا رجز. فبلغ ذلك مُعاذاً فبعث فوارس يجمعون الناس. وقال: اشهدوا المَدَارس اليوم عند مُعَاذ، فلما اجتمعوا قام فيهم وقال: أيها الناس والله لو أعلم أني أقوم فيكم بعد مقامي هذا ما تكلفت اليوم القيام فيكم. وقد بلغني أنكم تقولون هذا الذي وقع فيكم طوفان ورجز، والله ما هو طوفان ولا رجز، وإنّما الطوفان والرجز كان عذّب الله به الأمم. ولكنها شهادة أهداها الله لكم واستجاب فيكم دعوة نبيّكم ﷺ. ألا فمن أدرك خمساً فاستطاع أن يموت فليمت: أن يكفر الرجل بعد إيمانه، وأن يُسفك الدم بغير حقّه، وأن يُعطى بالكذب مال الله بأن يكذب أو يفجر، وأن يظهر التلاعن بينكم، أو يقول الرجل حين يصبح والله لئن حييت أو مت ما أدري ما أنا عليه.

وقوع الطاعون هذا والوباء مصداق ما ورد من النبأ فيما:

أخْبَرَنا أبو عبدالله الخَلّال، أنا إبراهيم بن منصور السّلمي، أنا أبو بكر بن المقريء، نا أبو علي الحسين بن عبدالله بن يزيد بن الأزرق القطان، نا هشام بن خالد الأزرق، نا الحسن بن يحيى، عن ابن ثوبان ـ يعني عن أبيه ـ عن مكحول عن كثير بن مرة عن مُعاذ بن جَبَل قال: قال رسول الله ﷺ: **«تنزلون منزلاً يقال له الجابية والحديبية(٢) يصيبكم فيه داء مثل غُدّة الحمل، يستشهد الله به أنفسكم وخياركم ويزكي أبدانكم»** [٤٥٢].

كذا وقع في هذه الرواية عن ابن ثوبان عن مكحول، وقد أسقط منه عن أبيه فقلنا ـ يعني عن أبيه

وقد أخبرناه على الصواب أبو علي الحداد في كتابه، وحدّثني أبو مسعود الأصبهاني عنه، أنا أبو نُعيم الحافظ، نا سليمان بن أحمد الطبراني، نا محمد بن أبي زُرعة الدمشقي وأبو عقيل أنس بن سالم قالا: نا هشام بن خالد، نا الحسن بن يحيى، نا عبد الرّحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«تنزلون منزلاً يقال له الجابية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل تستشهد فيه أنفسكم وذراريكم وتزكي به أعمالكم»** [٤٥٣] (٣).

وقد رُوي عن مُعاذ من وجه آخر.

أخبَرَتنا به أمّ الُمجْتَبى فاطمة بنت ناصر العلوية قالت: قُرىء على إبراهيم بن منصور السّلمي، أنا أبو بكر بن المقريء، أنا أبو يَعْلَى أحمد بن علي بن المُثنّى الموصلي، نا سُرَيج هو ابن يونس، نا

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٢٦ ونزل المسلمون الجابية.

(٢) في مختصر ابن منظور: «أو الجويبية».

(٣) مجمع الزوائد: ٢ / ٣١٤، وكنز العمال ح٢٨٤٤٧.

مروان هو ابن معاوية الفَزَاري، عن جعفر وهو ابن الرقي عن القاسم، عن أبي أمامة عن مُعاذ، عن النبي ﷺ قال: «**ينزل المسلمون أرضاً يقال لها الجابية ـ [أو] الجـويبية ـ فـتكثر بـه أمـوالهـم ودوابهم، فيُبعث عليهم جَربٌ كالدمّل، تزكو فيه أموالهم وتستشهد فيه أبدانهم**»[٤٥٤] والله تعالى أعلم.

باب
ذكر ما اشترط صَدر هذه الأمّة
عند افتتاح الشام على أهل الذمّة

أَخْبَرَنا أبو محمد سهل بن بشر الإسفرايني، أنبأ أبو الحسن عبد الدائم بن الحسن بن عبدالله القطان، أنبأ عبد الوهّاب بن الحسن الكلابي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن زَبْر، نا محمد بن إسحاق بن راهويه الحَنْظَلي، نا أبي، نا بشر بن الوليد، عن عبدالحميد بن بهرام، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن عبد الرّحمن بن غَنْم أن عمر بن الخطاب كتب على النصارى حين صولحوا:

بسم الله الرّحمن الرحيم. «هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نصارى أهل الشام. إنّا سألناك الأمان لأنفسنا وأهالينا وأموالنا وأهل ملّتنا على أن نؤدّي الجزية عن يدٍ ونحن صاغرون، وعلى أن لا نمنع أحداً من المسلمين أن ينزلوا كنائسنا في الليل والنهار، ونضيفهم فيها ثلاثاً، ونطعمهم فيها الطعام، ونوسع لهم أبوابها، ولا نضرب فيها بالنواقيس إلّا ضرباً خفياً، ولا ترفع فيها أصواتنا بالقراءة، ولا نؤوي فيها ولا في شيء من منازلنا جاسوساً كعدوكم، ولا نحدث كنيسة ولا ديراً ولا صومعة ولا قلاية[1]، ولا نجدد ما خرب منها، ولا يقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين وبين ظهرانيهم، ولا نُظهر شركاً ولا ندعو إليه ولا نظهر صليباً على كنائسنا ولا في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نتعلّم القرآن، ولا نعلّمه أولادنا، ولا نمنع أحداً من ذي قراباتنا الدخول في الإسلام إن أراد ذلك، وأن تجزّ مقادم رؤوسنا، ونشد الزنانير في أوساطنا، ونلزم ديننا، ولا نتشبه بالمسلمين في لباسهم ولا في هيئتهم، ولا في سروجهم، ولا نقش خواتيمهم فننقشها عربياً، ولا نكتني بكناهم، وأن نعظمهم ونوقّرهم ونقوم لهم من مجالسنا، ونرشدهم في سُبلهم وطرقاتهم، ولا نطلع في منازلهم، ولا نتخذ سلاحاً ولا سيفاً ولا نحمله في حضر ولا سفرٍ في أرض المسلمين، ولا نبيع خمراً ولا نظهرها، ولا نظهر ناراً مع موتانا في طرق المسلمين، ولا نرفع أصواتنا مع جنائزهم، ولا نجاور المسلمين بهم، ولا نضرب أحداً من المسلمين، ولا نتخذ من الرقيق بيتاً جرت عليه سهامهم.

شرطنا ذلك كله على أنفسنا وأهل ملّتنا فإن خالفناه فلا ذمّة لنا، ولا عَهد، وقد حَلّ لكم منا ما يحلّ لكم من أهل الشقاق والمعاندة».

أَخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنبأ أبو بكر البيهقي، أنبأ أبو محمد عبدالله بن يوسف الأصبهاني ح.

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٢٧ قلية.

وأَخْبَرَنا أبو طالب علي بن عبد الرّحمن بن محمد بن أبي عقيل، أنا أبو الحسن علي بن الحسن ابن الحسين الخِلَعي الشافعي، نا أبو محمد عبد الرّحمن بن عمر بن النحاس قالا: أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي، نا محمد بن إسحاق بن أبي إسحاق أبو العباس الصفّار، نا الربيع بن ثعلب أبو الفضل، نا يحيى بن عُقْبة بن أبي العيزار، عن سفيان الثوري، والوليد بن نوح، والسري بن مطرف يذكرون عن طلحة بن مصْرف، عن مسروق، عن عبد الرّحمن بن غَنْم قال: كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام:

بسم الله الرّحمن الرحيم،

هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا.

إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا، وذرارينا وأموالنا وأهل ملّتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قَلبّة ولا صومعة راهبٍ، ولا نجدد ما خرب منها، ولا نجني ما كان منها من خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم، ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين، ولا نعلّم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركاً ولا ندعو إليه أحداً، ولا نمنع من ذوي قراباتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من المسلمين من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا نتكلّم بكلامهم، ولا نتكنّا بكناهم، ولا نركب السرج، ولا نتقلّد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زيّنا حيث ما كنّا، وأن نشدّ زنانيرنا على أوساطنا، وأن لا نُظهر الصليب على كنائسنا، وأن لا نظهر كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلّا ضرباً خفياً، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيءٍ من حضرة المسلمين، ولا نخرج شعانينا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سِهَام المسلمين، ولا نطّلع عليهم في منازلهم.

فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه: ولا نضرب أحداً من المسلمين. شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل قبلتنا، وقبلنا عليه الأمان. فإن نحن خالفنا عن شيء ممّا شرطناه لكم وضمّنّاه على أنفسنا فلا ذمّة لنا وقد حَلّ لكم منّا ما يحل لأهْل المعاندة في الشقاق.

أَخْبَرَنا أبو محمد طاهر بن سهل، أنبأ عبد الدائم بن الحسن، أنبأ عبد الوهّاب الكِلابي، أنبأ أبو محمد بن زَبْر، نا محمد بن هشام بن البَخْتَري أبو جعفر المُسْتَملي، ثنا الربيع بن ثعلب الغَنَوي ح.

وأَخْبَرَنا أبو القاسم الشّحّامي، أنا أبو بكر الجُعفي، أنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو الحسن علي بن

محمد بن سحنويه، نا أبو بكر يعقوب بن يوسف المُطَّوِعي، نا الربيع بن ثعلب، نا يحيى بن عُقْبَة ابن أبي العيزار، عن سُفيان الثوري والوليد بن نوح، والسري بن مصرف يذكرون، عن طلحة بن مصرف، عن مسروق، عن عبد الرّحمن بن غَنْم قال: كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح أهل الشام وقال للمسلمين أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا. إنّكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملّتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلّاية ولا صَومعة راهبٍ، ولا نجدد ما خرب منها، ولا نحيي ماكان منها في خطط المسلمين، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ننزل من مرّ بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم، ولا نؤوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوساً، ولا نعلّم أولادنا القرآن وأن لا نظهر شركاء ولا ندعو إليه أحداً وأن لا نمنع أحداً من ذوي قراباتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلّم بكلامهم، ولا نكنّا بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلّد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زيّنا حيث ماكنّا وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وأن لا نظهر صُلبنا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، وأن لا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلّا ضرباً خفياً، وأن لا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين، وأن لا نخرج شعانين ولا باعوثاً، وأن لا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيءٍ من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين، وأن نرشد المسلمين ولا نطلع ـ زاد المُطَّوِعي: في منازلهم ـ

فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه: ولا نضرب أحداً من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملّتنا وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا عن شيءٍ ممّا شرطناه لكم وضمناه فلا ذمّة لنا وقد حَلّ لكم منّا ما يحلّ لكم من أهل المعاندة والشقاق.

رواه محمد بن حمير، عن عبد الملك بن حُميد.

أخْبَرَنا أبو الحسين الخطيب، أنا جدي أبو عبدالله، أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الرّبعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حسان بن موسى، نا أبو العباس بن الزفتي ـ وهو عبدالله ابن عتّاب ـ نا محمد بن محمد بن مُصعب المعروف بوحشي، نا عبد الوهّاب بن نَجْدَة الحَوْطي، نا محمد بن حِمير، عن عبد الملك بن حُميد بن أبي غَنيّة، عن ا لسري بن مصرف، وسفيان الثوري، والوليد بن رَوْح، عن طلحة بن مصرف، عن مسروق بن الأجدع، عن عبد الرَّحمن بن غَنْم

الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب حين صالحوا نصارى الشام:

بسم الله الرّحمن الرحيم.

هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى بلد كذا وكذا.

إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وموالينا وأهل ملّتنا وشرطنا على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قَلّاية ولا صَومعة راهبٍ ولا نجدد ما خرب منها، ولا نجيء ما كان من خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا من أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل أو نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ننزل من مرّ بنا ثلاثة أيّام من المسلمين نطعمهم، وأن نرشدهم، ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوساً، ولا نعلّم أولادنا القرآن، وأن لا نظهر شركاً، ولا ندعو إليه أحداً وأن لا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام، ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلّم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، ولا نركب السُّرُوج، ولا نتقلّد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زيّنا حيث ما كنّا، وأن نشدّ الزنانير على أوساطنا، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، وأن لا نظهر صُلبنا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، وأن لا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلّا ضرباً خفياً، وأن لا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين، وأن لا نخرج شعانين ولا باعوثاً وأن لا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم.

قال عبد الرحمن فلما أتيت عمر بن الخطاب بهذا الكتاب زاد فيه: ولا نضرب أحداً من المسلمين شرطنا ذلك لكم على أنفسنا وأهل ملّتنا وقبلنا الأمان فإن نحن خالفنا عن شيء ممّا شرطنا لكم وضمنا على أنفسنا فلا ذمّة لنا وقد حلّ لكم ما حَلّ لأهل المعاندة والشقاق.

أَخْبَرَنا أبو محمد طاهر بن سهل، أنبأ عبد الدائم القطان، أنا عبد الوهاب الكِلابي، قال: قال أبو محمد بن زَبْر: ورأيت هذا الحديث في كتاب رجلٍ من أصحابنا بدمشق وذكر أنه سمعه من محمد ابن ميمون بن معاوية الصوفي بطبرية بإسناد ليس بمشهور ينتهي إلى اسماعيل بن مجالد بن سعيد، حدّثني سفيان الثوري، عن طلحة بن مصرف، عن مسروق. عن عبد الرحمن بن غَنْم فذكره بطوله وقال فيه عند ذكر الكنائس: ولا نأتي منها ماكان في خطط المسلمين. وزاد فيه: ولا نتشبه بهم في شيء في لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا سراويل ذات خَدَمة[١] ولا نعلين ذات عَذَبة[٢]، ولا

(١) الخدمة بالتحريك سير غليظ محكم مثل الحلقة. (٢) العَذَبَة: هي طرف شراك النعل المرسلة (اللسان).

نمشي إلّا بزنار من جلد، ولا يوجد في بيت أحدنا سلاح إلّا انتهب، وما رأيت هذه الزيادة فيما وقع إلينا من عهود عمر بن الخطاب ووَجدتها مروية عن عمر عبد العزيز.

أخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن البصري، أنبأ أبو الحسن محمد بن علي السيرافي، أنا أبو عبدالله أحمد بن إسحاق النهاوندي، نا أحمد بن عمران، نا موسى بن زكريا، نا أبو عمرو خليفة بن خياط المعروف بشباب قال: حدّثني عبدالله بن المغيرة، عن أبيه قال: صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤوسهم وأن لا يمنعوا من أعيادهم، ولا يهدمون شيئاً من كنائسهم. صَالح على ذلك أهل المدينة وأخذ سائر الأرض عنوةً(١).

أخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن أشليها وابنه أبو الحسن علي، قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنبأ أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أبو عبدالملك أحمد بن إبراهيم، نا ابن عايذ، نا الوليد بن مسلم، عن أبي عمرو، عن عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي أنه كان في كتاب صلحهم: هذا كتاب من خالد بن الوليد: إنّي أمّنتكم على دمائكم وذراريكم وأموالكم وكنائسكم أن تهدم أو تسكن. شهد على ذلك أبو عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي، عن أبي محمد بن عبد العزيز الكتاني، أنبأ أبو نصر بن الجَنَدي وعبد الرّحمن بن الحسن بن أبي العَقَب، قالا: أنا أبو القاسم علي بن يعقوب ابن أبي العَقَب، أنا أبو عبد الملك، نا ابن عايذ قال: قال الوليد: وأخبرني ابن جابر وغيرهم أنهم صالحوهم على مَنْ فيها من جماعة أهلها على جزية دنانير مسماة، لا نزيد عليهم إن كثروا ولا ينقص منهم إن قلّوا وأن للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم وأسواقها. هذا ونحوه.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة السُّلَمي قالا: نا عبد العزيز ابن أحمد، أنبأ أبو القاسم تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني قالا: أنا أبو الحارث أحمد بن محمد ابن عمّارة الليثي، نا أحمد بن المُعلى [ابن يزيد الأسدي ح. قال تمام: وأخبرني أبو إسحاق بن سنان نا أحمد بن المعلى] قال تمام: وأخبرني أبو بكر يحيى بن عبدالله بن الحارث، نا عبد الرّحمن بن عمر المازني، نا أحمد بن المعلى، ثنا عبد الرّحمٰن بن إبراهيم، نا الوليد، عن الأوزاعي، عن ابن سُراقة: أنه كان في كتاب صلح دمشق: هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق: إنّي أمّنتكم على دمائكم وأموالكم ومساكنكم وكنائسكم أن تهدم أو تسكن ما لم تحدثوا حدثاً، أو تؤووا محدثاً غيلة.

قال: أنا أحمد بن المعلى، أخبرنا محمد بن مُصعب الصوري، نا محمد بن المبارك، نا الوليد

---

(١) تاريخ خليفة: ١٣٠ حوادث سنة خمس عشرة باختلاف.

قال: وأخبرني ابن جابر أو غيره أنهم صالحوهم على مَنْ فيها من جماعة أهلها على عدّة دنانير مُسماة لا يزيد عليهم إن كثروا ولا ينقص منهم إن قلّوا. وأن للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم وأسواقها. هذا ونحوه.

قال: ونا أحمد بن المعلى، نا أبو أمية محمد بن إبراهيم، نا الوليد بن عبد الملك بن مسُوح الحَرّاني وإسماعيل بن رجاء، قالا: نا سليمان بن عطاء، عن مَسْلَمة بن عبدالله الجُهني، عن عمّه قال: لما قدم عمر بن الخطاب الشام كان في شرطه على النصارى أن يشاطرهم منازلهم فيسكن فيها المسلمون، وأن يأخذ الحيز القبلي من كنائسهم لمساجد المسلمين.

أخْبَرَنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري المعروف بابن الطبر، أنا أبو الحسَن محمد ابن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوح الحرة في ذي القعدة سنة أربعين وأربعمائة، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ـ قراءة عليه في شوال سنة أربع وستين وثلاثمائة ـ نا أبو علي الحسين بن [خير بن جويرة بن يعيش بن] الموفق بن أبي النعمان الطائي بحمص، نا أبو القاسم عبد الرّحمن بن يحيى بن أبي النعاس، نا عبدالله بن عبد الجبار الخَبَائري، نا الحكم بن عبد الله بن خُطاف، نا الزُّهري عن سالم، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب أمر أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن يُحدَث كنيسة، وأمر أن لا يظهر صليب خارجاً من كنيسة إلّا كُسر على رأس صاحبه.

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنبأ أبو نصر بن قَتادة، أنا أبو الفضل محمد بن عبدالله بن خميرويه، نا أحمد بن نَجْدَة، نا محمد بن عبدالله بن نُمَيْر، نا أبي، ثنا عُبيد الله، نا نافع، عن أسْلم مولى عمر: أنه أخبره أن عمر بن الخطاب كتب إلى أُمراء أهل الجزية أن لا يضعوا الجزية إلّا على من جرت أو مرت عليه المواسي، وجزيتهم أربعون درهماً على أهل الورق منهم، وأربعة دنانير على أهل الذهب، وعليهم أرزاق المسلمين من الحنطة مدين، وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان، كل شهر [من كان من أهل الإسلام وأهل الجزيرة ومن كان من أهل مصر إردب لكل إنسان، وكل شهراً][1] ومن الودك[2] والعسل شيء لم يحفظه، وعليهم من البز التي كان يكسوها أمير المؤمنين الناس شيء لم نحفظه. ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاثة أيام، وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً لكل إنسان. وكان عمر رضي الله عنه لا يضرب الجزية على النساء. وكان يختم في أعناق رجال أهل الجزْية.

نافع هو الذي لم يحفظ الودَك والعسَل والبز بيّن ذلك عبد الرحيم بن سليمان، عن عبيد الله بن

(١) زيادة عن مختصر ابن منظور: ١ / ٢٢٩ والإردب مكيال ضخم بمصر أربعة وعشرون صاعاً (قاموس).

(٢) الودك: اسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه (اللسان: ودك).

عمر.

أَخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر النشابي المقريء، أنا أبو الفرج سهل بن بشر، أنا علي بن منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الخَلّال، أنا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد ابن عبدالله بن نصر بن بجير الذُّهْلي، نا عبدالله بن محمد بن شبيب، نا علي بن عبدالله المديني، نا مُعْتِمر بن سليمان: سمعت أبي يحدث عن حنش، عن عكرمة: أن ابن عباس سُئل هل للعجم أن يُحدثوا في أمصار العرب بُنياناً أو شيئاً؟ فقال: أيّما مصْر مَصّرته العرب فليس للعجم أن يَبنوا فيه كنيسة ـ أو قال: بِيعة ـ ولا يضربوا فيه ناقوساً، ولا يشربوا فيه خمراً، ولا يُدخلوه خنزيراً. وأيما مصر مصّر العجم ففتحه الله على العرب، فللعجم ما في عَهْدهم، وعلى العرب أن يفوا لهم بعَهْدهم.

أَخْبَرَنا أبو علي الحسين بن علي بن أشليها وابنه أبو علي الحسن قالا: أنا أبو الفضل بن الفرات، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم القُرشي، نا محمد بن عايذ، نا عمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي، [حدّثني يحيى بن أبي كثير، قال: حدّثني مولى لآل الزبير قال] حدّثني عبدالله بن عمر: أن عمر بن الخطاب قضى على أهل الذمة ضيافة ثلاثة أيام: ما يصلحهم من طعام وعلف دوابهم.

قال ابن عايذ: وثنا عمر بن عبد الواحد قال: سمعت الأوزاعي يحدث قال: كتب عمر بن الخطاب في أهل الذمّة أن من لم يطق منهم، فخففوا عنه ومن عجز فأعينوه فإنّا لا نريدهم لعام ولا لعامين.

أنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء بن أبي منصور الأصبهاني ـ شفاهاً ـ أنا منصور بن الحسين بن علي بن القاسم بن داود الكاتب، وأبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي قالا: أنا أبو بكر بن المقريء، نا أبو محمد عبدالله بن عبد السلام، نا بحر بن نصر، نا بشر بن بُكَير، حدّثني أبو بكر بن أبي مريم، حدّثني حبيب بن عُبَيد، عن ضَمْرَة بن حبيب[1] قال: قال عمر بن الخطاب في أهل الذمة: سمّوهم ولا تكنّوهم وأذلّوهم ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإيّاهم طريق فألجئوهم إلى أضيقها.

أَخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم السلمي الفقيه، ثنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي ـ لفظاً ـ وأبو القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء ـ قراءة عليه ـ قالا: أنا أبو الحسن بن عوف، ثنا محمد بن موسى بن الحسين، أنبأ أبو بكر محمد بن خُرَيم، نا حميد بن زَنْجُويه، حدّثني سليمان بن حرب، عن حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن نافع، عن أسلم قال: كتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يضعوا الجزية ولا تضعوا على النساء ولا على الصبيان، ولا تضعوا إلّا على من جرت عليهم المواسي على أهل الورق أربعين درهماً، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير، وأمرَ أن يقيم في

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٣٠ جندب.

رقابهم، وعلى أهل الشام وعلى أهل الجزيرة مدين أو مُدْيين[١] من برّ وأربعة أقساط[٢] من زيت وشيء من الوَدَك لا أحفظه وعلى أهل مصر إردَبٌ من برّ. قال: وشيء من العسل لا أحفظه. وعليهم كسوة أمير المؤمنين ضريبة مضروبة، وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً. عليهم ضيافة المسلمين ثلاثة يطعمونهم ممّا يأكلون ممّا يحل للمسلمين من طعامهم. فلما قدم عمر الشام شكوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّهم يكلّفونا ما لا نطيق، يكلّفونا الدجاج والشاء. فقال: لا تطعموهم إلّا ممّا تأكلون ممّا يحل لهم من طعامكم.

كتب [إليّ] أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان.

ثم أخْبَرَنا أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطي، أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد، قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنبأ عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي [ح].

وأخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، أنبأ طراد بن محمد الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسين بن البادا، نا حامد بن محمد بن عبدالله الهَرَوي، قالا: أنا علي بن عبدالعزيز، نا أبو عبد، نا هشام بن عمّار، عن الوليد بن مسلم، حدّثني يزيد بن سعيد بن ذي عضوان، عن عبد الملك بن عُمير: أن عمر بن الخطاب اشترط على أنباط الشام للمسلمين أن يصيبوا من ثمارهم وتبنهم ولا يحملوا.

أخْبَرَنا أبو منصور عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الواحد بن زريق، أنا أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن المهتدي، نا أبو بكر محمد بن يوسف بن محمد بن دوست العلّاف ـ إملاء ـ نا عبدالله بن محمد بن إسحاق، نا محمد بن عمرو بن أبي مَدعُور، نا إسماعيل بن عُلَيّة، أنا هشام الدستوائي، عن قَتادة عن الحسن، عن الأحنف بن قيس: أن عمر بن الخطاب اشترط على أهل الذمّة إصلاح القناطر والضيافة يوم وليلة، وإذا قُتل رجل من المسلمين في أرضكم فعليكم ديته.

كتب إليّ أبو علي بن نبهان.

ثم أخْبَرَنا أبو البركات عبد الوهّاب الأنماطي قال: أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق البغوي ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات، أنبأ طراد بن محمد، نا أحمد بن علي بن الحسين بن البَادَا، أنبأ حامد بن محمد الهَرَوي، قالا: أنبأ علي بن عبد العزيز، نا أبو عبد قال: وَبَلغني عن سفيان بن عُيينة، عن ابن أبي نَجيح قال: سألت مجاهداً لِمَ وضع عمر على أهل الشام الجزية أكثر ممّا وضع على أهل اليمن ؟ قال: لليسار.

أخْبَرَنا أبو محمد طاهر بن سهل، أنبأ عبد الدائم بن الحسن بن عُبيد الله القطان، أنبأ عبد

---

(١) المد: مكيال لأهل الشام ومصر يسع خمسة عشر مكوكاً. والمكوك: صاع ونصف (النهاية).

(٢) القسط: نصف صاع.

الوهّاب الكِلابي، أنبأ عبدالله بن أحمد بن زَبْر، أنبأ محمد بن عبد الرّحمن بن يونس، نا أبو أيّوب سليمان بن عبد الرّحمن الدمشقي، نا يَسَرة بن صفوان، عن الحكم بن عمر الرُّعَيني، قال: كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أمصار الشام: لا يمشين نصراني إلّا مفروق الناصية، ولا يلبس قباء، ولا يمشين إلّا بزنار من جلد، ولا يلبس طيلساناً، ولا يلبس سراويلاً ذات خَدمة، ولا يلبسن نعلاً ذات عَذَبة، ولا يركبن على سرج، ولا يُوجَدُ في بيته سلاحاً إلّا انتهب، والله تعالى أعلم.

باب
ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه عن السَّلف الماضية

لا خلاف بين الأئمّة من سَلف هذه الأمّة أن كل بلد صُولح أهله على الخراج المعلوم أنـه لا يجوز تغيير ما استقر عليهم من الرسوم.

وقد صح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح، كما تقدّم في هذا الكتاب، لأنه رضي الله عنه لما أشكل عليه الحال في الفتح، وهل سبق مَن دخلها عنوة أو مَن دخلها بالصلح، أمضاها كلّها صلحاً لأهلها، وقبل منهم شروطاً رضوا ببذلها. فأمّا ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أهلها، فقد اختلف العلماء الماضون في حكمه، ولم تتفق آراؤهم في انفاقه أو قسمه.

فذهب عمر وعلي ومُعاذ بن جَبَل إلى أنها وقف بين المسلمين لا تقسم بين مَن غلب عليها من الغانمين، وتجري غلّتها عليهم وعلى من بَعدهم من الخائفين إلى أن يرث الله الأرض من عليها وهو خير الوارثين.

وذهب الزبير بن العوّام وبلال بن رباح إلى أنها ملك الغانمين فيقسم بينهم على ما يراه إمام المسلمين.

وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري وهما من العلماء الكبار إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها، وإن شاء قسمها ووزعها على [ما] يراه بين من غنمها.

وذهب مالك إلى أنها تصير وقفاً بنفس الاغتنام ولا يكون فيها اختيار للإمام.

وذهب الشافعي إلى أنه ليس للإمام أن يقفها بل يلزمه أن يقسمها، إلّا أن يتفق على وقفها المسلمون ويرضى بذلك من غنمها.

وأنا ذاكر ما ورد في ذلك عن من بلغني قوله فيه، وأستخير الله في ذكر ذلك وأستهديه.

فأما ما روي عن عمر:

فأخْبَرَناه أبو سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنا إبراهيم بن منصور السّلمي، أنبأ أبو بكر بن المقريء، أنبأ أبو يَعْلَى المَوْصلي، نا أبو خَيْثَمة، نا عبد الرّحمن بن مهدي، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: لولا آخر المسلمين ما فُتحت عليهم قرية إلّا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر.

قال: وأنا أبو يَعْلَى، نا عُبيد الله هو القواريري، نا ابن مهدي، نا مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال ح.

وأخْبَرَنا أبو الحسن علي بن أحمد الغسّاني، أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السّلمي، أنا

جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان، أنا محمد بن جعفر الخرائطي، نا عمر بن شبّة، نا عبد الرّحمن بن مهدي، نا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر: لولا أن آخر المسلمين ما فُتحت قرية إلّا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ [خيبر].

رواه البخاري عن صَدَقة بن الفضل ومحمّد بن المُثنّى عن ابن مهدي.

أخْبَرَناه عالياً أبو علي الحسن بن المُظفّر بن الحسن بن السبط، وأبو الحسين محمد بن محمد ابن الحسين بن الفرّاء، قالا: أنا أبو يَعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء، أنا أبو الحسن علي بن معروف ابن محمد البزار، نا أبو القاسم البغوي، نا مُصعب، حدّثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: لولا أخَر المسلمين ما فُتحت قرية إلّا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر.

ورواه أبو عامر العقدي، عن هشام بن سعد المدني، عن زيد بن أسلم فتساهل في لفظه.

أخْبَرَناه أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين، أنا أبو علي الحسن بن علي المُذْهِب ح.

وأخْبَرَناه أبو علي الحسن بن المظفّر بن السبط، أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قالا: أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، نا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، نا هشام، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: لئن عشتُ إلى هذا العام المقبل لا يُفتتح للناس قرية إلّا خمستها بينهم كما قَسّم رسول الله ﷺ خيبر.

ورواه عبدالله بن المبارك وعبدالله بن وهب، عن هشام.

فأمّا حديث ابن المبارك:

فأخْبَرَناه أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشري، أنا أبو سعد الجنزرودي، أنا أبو عمرو ابن حمدان ح.

وأخْبَرَنا أبو سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنا إبراهيم بن منصور السّلمي، أنا أبو بكر بن المقريء، قالا: أنا أبو يَعْلَى الموصلي، نا أبو همّام الوليد بن شجاع، نا عبدالله بن المبارك، عن هشام ابن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ وقال ابن حمدان عن عمر بن الخطاب أنه قال: ـ والله لولا أن ينزل آخر الناس بُبّاناً[1] ليس لهم شيء، ما فتح الله على أهل الإسلام من قرية إلّا قسمتها كما قسّم رسول الله ﷺ خيبر.

واللفظ لابن المقريء.

وأمّا حديث ابن وَهْب:

فأخْبَرَناه أبو القاسم علي بن إبراهيم الخطيب وأبو الحسن علي بن أحمد بن قبيس الفقيه، قالا: حدثناه أبو منصور عبد الرّحمن بن محمد بن زريق قال: أنبأ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت

---

(١) زيد في المختصر: ومعنى ببّانا: أي باجاً واحداً وشيئاً واحداً، وانظر اللسان.

الخطيب ح.

وأخْبَرَناه أبو الفتح محمد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الكشمهيني، وأبو أحمد محمد بن محمد بن أبي أحمد السَوْسقاني، وأبو القاسم يحيى بن محمد بن محمد الأرشابندي المَراوزة قالوا: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي الحسن العارف المِيهني ح.

وأخْبَرَناه أبو طاهر محمد بن محمد السِّنجي، أنا أبو علي نصر الله بن أحمد الخشنامي، قالوا: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحِيْري ـ بنيسابور ـ نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، نا ابن وهب، أنبأ هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لولا أني أترك الناس ببّاناً، لا شيء لهم ما فُتحت قرية إلّا قسمناها كما قسّم رسول الله ﷺ خيبر.

أخْبَرَنا أبو القاسم الشَّحَّامي أنا أبو بكر البيهقي، أنا محمد بن عبدالله الحافظ، أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، نا عثمان بن سعيد الدارمي، نا سعيد بن أبي مريم أن محمد ابن جعفر المديني أخبرهم: أخبرَني زيد بن أسلم عن أبيه: أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: أمّا والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّاناً ليس لهم شيء ما افتتحت عليّ قرية إلّا قسمتها كما قسّم رسول الله ﷺ خيبر، ولكن أتركها لهم خراثة[١].

رواه البخاري، عن [ابن] أبي مريم.

أنبَأنا أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان، ثم أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن الحسن الأنماطي، أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي [ح].

وأخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، أنا طراد بن محمد الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسين بن البَاذا، أنا حامد بن محمد بن عبدالله الرَفّاء، قالا: أنا علي بن عبدالعزيز ح.

وأخْبَرَنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وعلي بن المسلم السّلمي الفقيهان، قالا: أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد، أنا جدّي أبو بكر، أنبأ أبو بكر محمد بن جعفر الخرايطي، أنا نصر بن داود قالا: ثنا أبو عبيد، نا أبو الأسود، عن ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب: أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص يوم افتتح العراق: أمّا بعد فقد بلغني كتابك أنّ الناس سألوا أن نقسم بينهم غنائمهم وما أفاء الله عليهم. فانظر ما أجلبوا[٢] به عليك في العسكر من كُراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين ـ وقال نصر في حديثه: الأرض ـ والأنهار لعمّالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنّا إن قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٣١: حراثة.
(٢) في مختصر ابن منظور: ما أجلب الناس به عليك.

شيء[(١)].

أخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحُسيني، وأبو الحسن علي بن أحمد بن منصور الغسّاني، وأبو منصور عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، قالوا: أخبرنا أبو بكر الخطيب، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران المُعَدّل، نا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفّار، نا الحسن بن علي بن عفان، نا يحيى بن آدم، نا ابن المبارك، عن ابن لَهِيَعة، عن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عزّوجلّ عليهم. فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس به عليك إلى العسكر من كُراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء.

أنبأنا أبو علي بن نبهان، ثم أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات، أنا طراد الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسين، أنا حامد بن محمد بن عبدالله قالا: أنا علي بن عبد العزيز، نا أبو عُبيد القاسم بن سلّام، نا هُشيم بن بشير، أخبرنا العوّام بن حَوْشَب، عن إبراهيم التيمي[(٢)]، قال: لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر: تقسمهُ[(٣)] بيننا، فإنّا فتحناه عنوة فأبى وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه. قال: فأقرّ أهل السواد في أرضهم، وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضيهم الطَّسْق.

قال أبو عُبيدة: يعني بالطسق: الخراج.

أخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد بن منصور قالا: وأبو منصور عبد الرّحمن بن زريق، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، أنا الحسين بن شجاع الصوفي، أنا محمد بن أحمد ابن الحسن الصّوّاف، نا محمد بن عبدوس بن كامل ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، قالا: نا أبو بكر ابن أبي شيبة، نا حُميد بن عبد الرّحمن، عن حنش، عن مُطّرف، عن بعض أصحابه قالا: اشترى طلحة بن عُبيد الله أرضاً من النشاشك نشاشك بني طلحة هذا الذي عند السَّبْلجين فأتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له فقال: إني اشتريت أرضاً معجبة. فقال له عمر: ممّن اشتريتها؟ من أهل الكوفة؟ من أهل القادسية؟ فقال طلحة: وكيف أشتريها من أهل القادسية كلّهم؟ قال: إنك لم تصنع شيئاً، إنّما هي فيء.

---

(١) تاريخ بغداد: ١ / ٩ وفتوح البلدان: ٢٦٥.

(٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٣٢ السلمي.

(٣) في مختصر ابن منظور: «اقسمه».

قال: وأنا الحسن بن رزق وأبو الحسين بن بشران، قالا: أنا إسماعيل بن محمد، نا الحسن، نا يحيى، نا قيس، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن عُتبة بن فَرْقَد، قال: اشتريت عشرة أجربة من أرض السواد على شاطىء الفرات لقضب لدوابي، فذكرت ذلك لعمر فقال لي: اشتريتها من أصحابها؟ قلت: نعم. قال: رُح إليّ، فرحت إليه. فقال: يا هؤلاء أبعتموه شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ابتغ مالك حيث وضعته.

وأما ما روي عن علي: فأنبأنا أبو علي بن نبهان، ثم أَخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، أنبأ أحمد بن الحسن بن أحمد قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم ح.

وأَخْبَرَنا أبو البركات، أنبأ طراد بن محمد، أنا أحمد بن علي بن الحسين، أنا حامد بن محمد بن عبدالله، قالا: أنا علي بن عبد العزيز ح.

وأَخْبَرَنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وعلي بن المسلم السلمي الفقيهان قالا: أنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنبأنا جدي أبو بكر، أنا محمّد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرايطي، نا نصر بن داود قالا: نا أبو عبيد، نا إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مُضَرّب، عن عمر أنه أراد أن يقسم السواد بين المسلمين فأمر أن يحصوا. فوجد الرجل نصيبه ثلاثة من الفلاحين فشاور في ذلك، فقال له علي بن أبي طالب: دعهم يكونوا مادة للمسلمين. فتركهم، وبعث عليهم عثمان بن حُنيف، فوضع عليهم ثمانية وأربعين، وأربعة وعشرين، واثني عشر.

زاد علي بن عبد العزيز قال: وبهذا كان يأخذ سفيان بن سعيد الثوري وهو معروف من قوله، إلّا أنه كان يقول: الخيار في أرض العنوة إلى الإمام إن شاء جعلها غنيمة فخمّس وقسّم، وإن شاء جعلها فيئاً عاماً للمسلمين ولم يخمّس ولم يقسّم.

قال أبو عبيد: وليس الأمر عندي إلّا على ما قال سفيان، إن الإمام مخيّر في العنوة بالنظر للمسلمين والحيطة عليهم بين أن يجعلها غنيمة أو فيئاً.

وأمّا ما روي عن مُعاذ: فأنبأنا أبو علي بن نبهان، ثم أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الخطيب، أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ح.

وأَخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي أنا أحمد بن الحسن بن أحمد، قالوا: أخبرنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي ح.

وأَخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، ومحمد بن سعدون العندري، نا طراد بن محمد، أنا أحمد بن علي بن الحسين، أنا حامد بن محمد بن عبدالله، قالا: أنا علي بن عبد العزيز ح.

وأَخْبَرَنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وعلي بن المسلم الفقيهان، قالا: أنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنا جدّي أبو بكر، أنبأ أبو بكر محمد بن جعفر الخرايطي، نا نصر بن داود، قالا: نا أبو عبيد، نا هشام بن عمّار الدمشقي، عن يحيى بن حمزة، حدّثني تميم بن عطية العَنْسي، أخبرَني

عبدالله بن أبي قيس أو عبدالله بن قيس ـ زاد علي بن عبد ا لعزيز: الهمذاني ـ وقالا: شك أبو عُبيد ـ قال: قدم عمر الجابية فأراد قسم الأرضين ـ وقال الخطيب: وتصيّر الأرضين ـ بين المسلمين فقال له مُعاذ: والله إذاً ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها اليوم صار ـ وفي حديث نصركان ـ الرّيع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون إلى الإسلام مَسْداً، وهم لا يجدون ـ وقال نصر: ما يجدون ـ شيئاً فانظر أمراً يسع أوّلهم وآخرهم. انتهى حديث الخطيب.

وقال الباقون: قال هشام: فحدّثني الوليد بن مسلم، عن تميم بن عطية، عن عبدالله بن قيس أو ابن أبي قيس أنه سمع عمر يكلّم الناس في قسم الأرض، ثم ذكر كلام مُعاذ إيّاه، فصار عمر إلى قول معاذ.

وأمّا ما روي عن الزبير: فأخبرنا أبو القاسم الشَّحَّامي، أنبأ أبو بكر البيهقي، أنبأ أبو زكريا بن أبي إسحاق وأبو بكر بن الحسن ح.

وأخْبَرَنا أبو الفتح محمد بن عبد الرّحمن بن أبي [بكر] الكشميهني، وأبو أحمد محمود بن محمد بن أبي أحمد السَّوْسَقاني، وأبو القاسم يحيى بن محمد بن محمد الأرسابندي المراوزة قالوا: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي الحسن العارف ح.

وأخْبَرَنا أبو طاهر محمد بن محمد بن عبدالله السِّنْجي، أنبأ أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخُشْنامي، قالا: أنبأ أبو بكر الحِيري، قالا: نا أبو العبّاس الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، أنا ابن وَهْب، أخبرني ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن من سمع عبدالله بن المغيرة ابن أبي بُرْدة يقول: سمعت سفيان بن وَهْب الخَوْلاني يقول: إنا لما فتحنا مصر بغير عَهدٍ قام الزبير ابن العوّام فقال: اقسمها يا عمرو بن العاص. فقال عمرو: لا أقسمها ـ زاد البيهقي والخشنامي فقال الزبير: والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر، فقال عمرو: والله لا أقسمها ـ ثم اتفقوا فقالوا: حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه عمر بن الخطّاب: أقرّها حتى يغزو منها حبل الحَبَلة.

وأخْبَرَنا أبو القاسم الشَّحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو بكر بن الحسن، وأبو زكريا بن أبي إسحاق.

وأنبأنا أبو الفتح وأبو أحمد وأبو القاسم المراوزة، أنا أبو الفضل العارف ح.

وأخْبَرَنا أبو طاهر السِّنْجي، أنا أبو علي الخُشنامي، قالا: أنا أبو بكر الحِيري، قالا: نا أبو العباس الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، أنبأ ابن وهب، أخبرني ابن لَهِيعة، حدّثني خالد بن ميمون، عن عبدالله بن المغيرة، عن سُفيان بن وهب بهذا، إلّا أنه قال: فقال عمرو: لم أكن لأحدث فيها شيئاً حتى أكتب إلى عمر بن الخطاب. فكتب إليه بهذا.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصين، أنبأ أبو علي بن المُذْهِب ح.

وأخْبَرَنا أبو علي الحسن بن المُظفّر بن السبط، أنا أبو محمد الجوهري، قالا: أنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، نا عتّاب ـ يعني ـ ابن زياد، نا عبدالله ـ يعني ـ ابن المبارك، أخبرني عبدالله بن عُقبة وهو عبدالله بن لَهْيَعة بن عُقبة، حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن من سمع عبدالله بن المغيرة بن أبي بُردة يقول: سمعت سفيان بن وهب الخولاني يقول: لما افتتحنا مصر بغير عهد قام الزُّبير بن العوّام فقال: يا عمرو بن العاص اقسمها. فقال عمرو: لا أقسمها، فقال الزُّبير: والله لتقسمنّها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر. فقال عمرو: والله [لا أقسمها] حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. فكتب إلى عمر. فكتب إليه عمر: أن أقرّها حتى يغزو منها حَبَل الحَبَلة.

وأمّا ما رُوي عن بلال: فأخبرناه أبو القاسم الشحّامي، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأ أبو نصر بن قَتادة، أنبأ أبو الفضل بن خميرويه، أنا أحمد بن محمد، نا الحسن بن الربيع، نا عبدالله بن المبارك، عن جرير بن حازم، سمعت نافعاً مولى ابن عمر يقول: أصاب الناس فتح بالشام فيهم بلال، وأظنّه ذكر مُعاذ بن جَبل، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب أن هذا الفيء الذي أصبنا لك خمسه، ولنا ما بقي ليس لأحد منه شيء، كما صنع النبي ﷺ بخيبر. فكتب عمر: ليس عليّ ما قلتم، ولكنّي أقفها للمسلمين، فراجعوه الكتاب وراجعهم، يأبون ويأبى، فلما أبوا قام عمر فدعا عليهم، فقال: اللّهم اكفني بلالاً وأصحاب بلال. قال: فما حال الحول عليهم حتّى ماتوا جميعاً.

قال البيهقي: قوله إنّه ليس عَليَّ ما قلتم ليس يريد إنكار ما احتجوا به من قسمة خيبر، فقد رَوْيناه عن عمر، عن النبي ﷺ. ويشبه أن يريد به: ليست المصلحة فيما قلتم، وإنّما المصلحة في أن أقفها للمسلمين، وجعل يأبى قسمتها لما كان يرجو من تطييبهم ذلك له، وجعلوا يأبون لما كان لهم من الحق. فلما أبوا لم يبرم الحكم عليهم بإخراجها من أيديهم ووقفها، ولكن دَعَا عليهم حيث خالفوه فيما رأى من المصلحة، وهم لو وافقوه وافقه [أفناء] الناس وأتباعهم. والحديث مُرسَل والله أعلم.

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي.

أنبأنا أبو بكر زكريا بن [أبي] إسحاق وأبو بكر بن الحسن ح.

وأخْبَرَنا أبو الفتح محمد بن عبد الرّحمن الكشميهني، وأبو أحمد محمود بن محمد بن أبي أحمد السَّوْسَقاني، وأبو القاسم يحيى بن محمد بن محمد الأرسابندي المراوزة قالوا: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد العارف [ح].

وأخْبَرَنا أبو طاهر محمد بن محمد بن عبدالله السِّنْجي، أنا أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخُشنامي، قالا: أنا أبو بكر الحِيري قالا: ثنا أبو العبّاس الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، أنا ابن وَهْب، أنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، أن عمر بن الخطاب لما افتتح الشام قام إليه بلال فقال: لتقسمنها أو لنضاربنّ عليها بالسيف. فقال عمر: لولا أني أترك ـ يعني الناس ـ بَبّاناً لا شيء لهم وما فُتحت من قرية إلّا قسمتها سهماناً كما قسّم رسول الله ﷺ خيبر ـ زاد البيهقي والخُشنامي إلى

آخر الحديث. ولكن اتركها لمن بعدهم جِزية يقتسمونها.

أنبأنا أبو علي بن نبهان، ثم أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنا أحمد بن الحسن أبو طاهر، قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات، أنبأ طراد بن محمد النقيب، أنبأ أحمد بن علي بن الحسين، أنبأ حامد بن محمد بن عبدالله، قالا: أنا علي بن عبد العزيز، نا أبو عُبيد، ثنا سعيد بن سليمان، عن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة، ثنا الماجشون، قال: قال بلال لعمر بن الخطاب في القرى التي افتتحوها عَنوة: اقسمها بيننا، وخذ خُمسها. فقال عمر: لا، هذا عين المال، ولكني أحبسه فيئاً تجري عليهم وعلى المسلمين. فقال بلال وأصحابه: اقسمها بيننا. فقال عمر: اللهم اكفني بلالاً وذويه. قال: فما حال الحول ومنهم عين تطرف.

قال: قال عبد العزيز: وأخبرني زيد بن أسلم قال: قال [عمر]: تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء. قال أبو عُبيد: يعني بالشام.

قال أبو عُبيد: وبهذا كان يأخذ مالك بن أنس، كذلك يُروى عنه.

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنبأ أبو بكر البيهقي قال: وفي كل ذلك: يعني أحاديث عمر التي لم ير بها القسمة دلالة على أن عمر كان يرى من المصلحة إقرار الأراضي، وكان يطلب استطابة قلوب الغانمين، وإذا لم يرضوا بتركها فالحجّة في قسمه قائمة بما ثبت عن رسول الله ﷺ في قسمة خيبر. وقد خالف الزبير بن العوّام وبلال وأصحابه ومعاذ، على شك من الراوي، عمر فيما رأى والله أعلم.

وقد روينا عن عمر في فتح السواد وقسمه بين الغانمين حين استطاب قلوبهم بالرد ما يوافق قول غيره.

قرأت بخط أبي الحسين محمد بن عبدالله، أخبرني أبو محمد عبيدالله بن أحمد ابن بنت أبي زرعة.

أنبأ جدّي أبو زُرعة عبد الرحمن [ابن عمرو] قال: حضرت عند أبي الحسن أحمد بن محمد بن مدبّر، أحضر ذلك المجلس هشام بن عمّار، ودُحيماً ومحمود بن خالد، وعبدالله بن ذكوان، وأحضرني فيمن أحضر، فقال: إنكم لا تتهمون على الفيء وإنّما يتهم عليه أهل البدع، لأنكم تعلمون أنه ينفق في بيضة الإسلام وفي حج البيت ومجاهدة العدو، وأمن السبل. فتكلّم يومئذٍ أحمد بن محمد بن مدبّر في ذلك فأبلغ. وقال: أخبرني عن مدائن الساحل، هل ترون في مستغلها حقّاً للفيء؟ فقالوا: لا حق في مستغلها. وأعلموه أن دمشق فتحت صلحاً، وأن صلح حصونها بصلحها من أجل أنها الأم، وأن ساحلها تبع لها.

قال أبو زُرعة: وأعلمته يومئذ أن بعلبك صلح، وأن الوليد بن مسلم قد أثبت صلحها مع إسماعيل بن عياش. فقال ابن مدبّر للمشيخة: هكذا تقولون؟ قالوا: نعم. فقبل ذلك منهم.

قال أبو زُرعة: وسألني ابن مدبر عن بيع الكلأ، فأعلمته أن الأوزاعي يقول: الناس فيه أسوة، فتظلّم إلى ابن مدبّر رجل من الرعية على رجل رعى كلأ له فلم يعده، وقال: فقيه أهل الشام لا يرى لك حقّاً.

قال أبو زُرعة: ورأيت أحمد بن محمّد بن مدبر شديداً في الأرض، مذهبه بها مذهب السلف في إيقافها.

[قال:] فحدّثته بحديث أخبرني به محمّد بن عبدالله بن مُعاذ عن أبيه عن الهيثم بن عمران قال: كتب هشام بن عبد الملك إلى كلثوم بن عياض وبلغه أن خالداً القسري اشترى أرضاً من أرض الغوطة بغير إذنه فقال: أيشتري أرضاً بغير إذني ؟ فأمر سالماً الكاتب أن يكتب إلى كلثوم بن عياض: عزمت عليك أن[1] تضع كتابي من يدك حتى تغرم الوليد بن عبد الرحمن عاملي على الغوطة أربعمئة دينار وتبعث بها إليّ، إذا اشتُريت أرضٌ بغير إذنه. وكتب إلى كلثوم أن اضربْ وكيلَيْ القسري مائة مائة، وأطفْ بهما، ومرْ من ينادي عليهما: هذا جزاء من اشترى أرضاً بغير إذن أمير المؤمنين. وذلك أنه وُجد فيما وضع عمر بن عبد العزيز حين استُخلف، [قال:] هل نهت الولاة قبلي عن شري الأرض من أهل الذمة ؟ قالوا: لم ينهوا. قال: فإني قد سلّمت لمن اشترى، ولكن من اليوم أنهى عن بيعها، إنّها من أرض المسلمين، دفعت إلى أهل الذمّة على أن يأكلوا منها ويؤدّوا خراجها، وليس لهم بيعها. ومن اشترى بعد اليوم فيعاقب البائع والمشتري وترد الأرض إلى النبطي ويؤخذ الثمن من المسلم فيجعل في بيت المال، لما انتهكوا من المعصية. ويدخل المال الذي أخذ النبطيّ بيت مال المسلمين لما وضع عمر في ذلك الديوان. فهي المدّة، ما كان قبل المدّة، يعني قبل عمر بن عبد العزيز، وما كان بعد المدّة، يعني بعد عمر.

قال أبو زُرعة: فاستحسن أحمد بن محمد بن مدبر هذا الحديث وأنكر العقوبة. فقلت له: لا تنبذ له رأيه، وأخبرته بحديثٍ حدّثنيه هشام بن عمّار، نا يحيى بن حمزة، حدّثني بعض مشيختنا عن إسحاق بن مسلم وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على خراج الأردن، فكتب إلى عمر:

أمّا بعد فإنّي وجدت أرضاً من أرض أهل الذمّة بأيدي ناس من المسلمين، فما يرى أمير المؤمنين فيها ؟ فكتب إليه: إنّ تلك أرض أوقفها أوّل المسلمين على آخرهم. فامنع ذلك البيع إن شاء الله والسلام.

وحدثته أن هشاماً حدّثني قال: حدّثني يحيى بن حمزة، عن القاسم بن زياد، وكان عاملاً لعُمر ابن عبد العزيز على الغوطة، فكتب إلى عمر: أمّا بعد، فإنّ قِبَلنا أرضاً من أرض أهل الذمة بالغوطة بأيدي ناسٍ من المسلمين قد ابتاعوها منهم، وهم يؤدون العشر ممّا يخرج منها، أفضل ممّا كان

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٣٥ «ألّا تضع».

عليها. فما يرى أمير المؤمنين ؟ قال: وأنا أريد بدّاً وذوات بدّاً، أرضاً من أرض الجَبَل اتخذها عمر. فكتب إليه عمر: إنّ تلك أرضاً حبسها أوّل المسلمين على آخرهم، فليس لأحد أن يتمولها دونهم، فامنع ذلك البيع إن شاء الله.

قال أبو زُرعة: فحدّثت بهذا الحديث عبد الملك بن الأصبغ من أصحاب الوليد بن مُسلم، فأخبرني أن عمر بن عبد العزيز لم يمت عن ضيعة بقيت في يده غير مدا وجرين[1] بأرض بعلبك وإنه أورثها عُشراً. وعدّلها على ذلك أبو جعفر المنصور فصارت بأيدي ورثة عمر.

قال أبو زُرعة فقال لي أحمد بن محمد بن مدبّر: قد جاء فيها: من أخذ أرضاً بجزيتها فقد أتي بما يأتي به أهل الكتاب من الذل والصغار.

فأمّا قول الثوري: فأخبَرَناه أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد بن منصور وأبو منصور عبد الرّحمن بن محمد بن زريق، قال: حدّثنا أبو بكر الخطيب، أنبأ عبدالله بن يحيى بن عبد الجبّار السكري، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفّار، نا الحسن بن علي، نا يحيى بن آدم، نا [ابن] المبارك، عن سفيان بن سعيد قال: إذا ظهر على بلاد العدو، فالإمام بالخيار، إن شاء قسم البلاد والأموال والسبي بعدما يخرج الخُمس من ذلك، وإنْ شاء مَنّ عليهم فترك الأرض والأموال، وكانوا ذمة للمسلمين، كما صنع عمر بن الخطاب بأهل السواد، فإنْ تركهم صاروا عهداً توارثوا وباعوا أرضهم.

قال يحيى: وسمعت حفص بن غياث يقول: تباع ويقضى بها الدين وتقسم في المواريث.

وأمّا قول مالك: فأخبرناه أبو محمد هبة الله بن سهل بن عمر الفقيه، أنبأ أبو عثمان سعد بن محمد بن أحمد البَحيري، أنا أبو علي زاهر بن أحمد السَّرْخَسي، نا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي، نا أبو مُصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهري قال: قال مالك بن أنس الأصبحي: أما أهل الصلح، فمن أسلم منهم فهو أحقّ بماله وأرضه، وأما أهل العنوة الذين أُخذوا عنوة فمن أسلم منهم فإن أرضه وماله للمسلمين لأن [أهل] العنوة قد غُلبُوا على [بلادهم] وصارت فيئاً [للمسلمين] وأما أهل الصلح فإنّما[2] هم قد منعوا أموالهم وأنفسهم حتى صالحوا عليها، فليسَ عليهم إلّا ما صالحوا عليه.

أخْبَرَنا أبو القاسم الحسني وأبو الحسن بن قبيس وأبو منصور بن زريق، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، أنبأ الحسن بن أبي بكر، نا عبدالله بن إسحاق، نا علي بن عبدالعزيز، نا أبو عُبيد قال: حدّثني يحيى بن عبدالله بن بُكير قال: قال مالك كل أرض فُتحت صُلحاً فهي لأهلها، لأنّهم منعوا بلادهم حتى صالحوا عليها، وكل بلاد أُخذت عنوة فهي فيءٌ للمسلمين.

---

(١) في مختصر ابن منظور: «بدا وحزين».

(٢) في مختصر ابن منظور ١ / ٢٣٦: فإنّهم قوم منعوا....

قال الخطيب: أنبأ علي بن محمد بن عبدالله المُعَدّل، نا إسماعيل بن محمد الصفّار، نا الحسن ابن علي بن عفّان، نا يحيى بن آدم قال: كل أرض كانت لعبدة الأوثان من العجم، أو لأهل الكتاب من العجم أو العرب ممّن تُقبل منهم الجزية فإنَّ أرضهم أرض خراج، إن صالحوا على الجزية على رؤوسهم والخراج على أرضهم، فإنّ ذلك يُقبل منهم، وإن ظهر عليهم المسلمون، فإن الإُمام يقسم جميع ما أجلبوا به في العسكر من كُراع أو سلاحٍ أو مالٍ بعدما يخمّسه، وهي الغنيمة التي لا يوقف شيء منها وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿**ما غَنِمْتُم منْ شيءٍ فأنّ لله خُـمسَه**﴾(١) وأما القرى والمدائن والأرض فهي فيء كما قال الله عزّوجلّ: ﴿**ما أفاء اللهُ على رسُولِهِ من أهْلِ القرى**﴾(٢) فالإمام بالخيار في ذلك إن شاء وقفه وتركه للمسلمين، وإن شاء قسمه بين من حضره.

أخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد، وأبو منصور بن زريق، قالوا: قال لنا الشيخ أبو بكر الخطيب(٣): اختلف الفقهاء في الأرض التي يغنمها المسلمون ويقهرون العدو عليها، فذهب بعضهم إلى أن الإمام بالخيار بين أن يقسمَها على خمسة أسهم، فيعزل منها السهم الذي ذكره الله تعالى في آية الغنيمة فقال: ﴿**واعلموا أنّ ما غَنِمْتُم من شيءٍ فأن لله خُمْسَه**﴾ الآية. ويقسم السّهَام الأربعة الباقية بين الذين افتتحوها، فإن لم يختر ذلك وقف جميعها، كما فعل عمر رضي الله عنه في أرض السواد.

وممّن ذهب إلى هذا القول سفيان بن سعيد الثوري، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت.

وقال مالك: تصير الأرض وقفاً بنفس الاغتنام ولا خيار فيها للإمام.

وقال محمد بن إدريس الشافعي: ليس للإمام إنفاقها(٤) وإنما يَلزمه قسمتها، فإن اتفق المسلمون على إيقافها ورضوا أن لا تقسم جاز ذلك.

واحتج من ذهب إلى هذا القول بما رُوي أن عمر بن الخطاب قسم أرض السواد بين غانميها وحائزها ثم استنزلهم بعد ذلك عنها، واسترضاهم منها فوقفها.

فأمّا الأحاديث التي تقدّمت في أن عمر لم يقسمها فإنها محمولة على أنه امتنع من إمضاء القسم فاستدامته بأن انتزع الأرض من أيديهم أو أنه لم يقسم بعض السواد، وقسم بعضه ثم رجع فيه.

فأمّا حكم الدور التي هي داخل السور

فأخْبَرَنا جدي أبو المفضل يحيى بن علي بن عبد العزيز القرشي قاضي دمشق، وابنه أبو المعالي محمد بن يحيى بن علي، خالي الأكبر قاضي دمشق، وأبو العشائر محمد بن خليل بن

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٦.

(٣) تاريخ بغداد: ١ / ٩.

(٤) في تاريخ بغداد ومختصر ابن منظور: إيقافها.

فارس القيسي، قالوا: أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء، أنبأ أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو الحسن أحمد بن سُليمان، نا خالد بن روح، نا عبد الرّحمن، نا الوليد، نا عبد الرّحمن بن عامر أخو عبدالله قال: حدّثتني ابنة واثلة قالت: سمعت رجلاً يقول لواثلة: أرأيت هذه المساكن التي أُقطعها [الناس] يوم فتحوا مدينة دمشق أمَاضية هي لأهلها ؟ قال: نعم. قال: فإن ناساً يقولون هي لهم سكنى وليس لهم بيعها ولا إتلافها بوجه من الوجوه من صَدَقةٍ ولا مهرٍ ولا غير ذلك. فقال واثلة: ومن يقول ذلك ؟ بل هي لهم ملكٌ ثابتٌ يسكنون ويمهرون ويتصدّقون.

أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب، ثم أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي أنا أحمد بن الحسن بن أحمد، قالا: أنا أبو علي بن شاذان، أنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي ح.

وأخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، أنبأ طراد بن محمد أبو الفوارس النقيب الزينبي، أنا أحمد بن علي بن الحسن بن البَادَا، أنبأ حامد بن محمد بن عبدالله، قالا: أنبأ علي بن عبد العزيز، نا أبو عُبيد[1] قال: وحدّثنا الإمام عن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الأرضين بثلاثة أحكام: أرض أسْلم عليها أهلها فهي لهم ملك أيمانهم، وهي أرض عُشر لا شيء [عليهم] فيها غيره. وأرض افتتحت صُلحاً على خراج معلوم وهي على ما صُولحوا عليه، لا يلزمهم أكثر منه. وأرض أُخذت عنوة وهي التي اختلف فيها المسلمون. فقال بعضهم: سبيلها سبيل الغنيمة تخمّس ويقسّم فيكون أربعة أخماسها خططاً بين الذين افتتحوها خاصّة، ويكون الخمس الباقي لمن سَمّى الله تعالى. وقال بعضهم: بل حكمها والنظر فيها إلى الإمام إن رأى أن يجعلها غنيمة فيخمّسها ويقسّمها كما فعل رسول الله ﷺ بخيبر فذلك له، وإن رأى أن يجعلها فيئاً فلا يخمّسها ولا يقسّمها ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما صنع عمر بالسواد فعل ذلك.

وأمّا القطائع

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، عن أبي محمد عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنبأ أبو نصر محمد بن هارون بن الجندي وأبو القاسم عبد الرّحمن بن الحسين بن أبي العَقَب، قالا: أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنا أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد ابن عايذ، قال: قال الوليد: وأخبرني أبو عمرو وغيره: أن عمر وأصحاب رسول الله ﷺ أجمع رأيهم على إقرار ما كان بأيديهم من أرضهم يعمرونها ويؤدّون منها خراجها إلى المسلمين. فمن أسلم منهم رفع عن رأسه الخراج، وصار ما كان في يده من الأرض وداره بين أصحابه من أهل قريته، يؤدّون عنها ما كان يُؤدّى من خراجها، ويسلمون له [ماله] ورقيقه وحيوانه، وفرضوا له في ديوان

(١) كتاب الأموال لأبي عبيد: ٣١.

المسلمين، وصار من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، ولا يرون أنه وإن أسلم أولى بما كان [في يديه] من أرضه بين أصحابه من أهل بيته وقرابته، ولا يجعلونها ضيافة للمسلمين. وسمّوا من ثبت منهم على دينه وقربته ذمّة للمسلمين، ويرون أنه لا يصلح لأحد من المسلمين شَري ما في أيديهم من الأرضين كرهاً، لما احتجوا به على المسلمين من أضيافهم كان عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم من الروم عليهم. فهاب ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وولاة الأمر قسمهم، وأخذ ما كان في أيديهم من تلك الأرضين. وكرهوا للمسلمين أيضاً شراءها صوناً لما كان من ظهور المسلمين على البلاد، وعلى من كان يقاتلهم عنها، ولتركهم، وكان البعثة إلى المسلمين وولاة الأمر في طلب الأمان قبل ظهورهم عليهم.

قالوا: وكرهوا شراءها منهم طوعاً بما كان من إيقاف عمر وأصحابه الأرضين محبوسةً على آخر هذه الأمّة من المسلمين المجاهدين، لا تُباع ولا تُورّث، قوّةً على جهاد من لم يظهروا عليه [بعد] من المشركين، ولما ألزموه أنفسهم من إقامة [فريضة] الجهاد قوله عزّوجلّ: ﴿**وقَاتِلُوهُم حتّى لا تكونَ فِتنةٌ**﴾[1] إلى تمام الآية.

فقلت لغير واحد من مشيختنا ممّن كان يقول هذه المقالة: فمن أين جاءت هذه القطائع التي بين ظهراني القرى الراخية والمزارع التي بيد غير واحد من الناس فقال: إن بَدء هذه القطائع [أن ناساً من بطارقة الروم إذ كانت ظاهرة على الشام كانت هذه القرى التي منها هذه القطائع] كانت من الأرضين التي كانت بأيدي أنباط القرى. فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عمّا كان في أيديها من تلك المزارع، فلحقت بأرض الروم، ومن قُتل منها في تلك المعارك التي كانت بين المسلمين والروم. فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يقبّلها والي المسلمين كما يقبّل[2] الرجل مزرعته.

قالوا فمنها: أندركيسان يعني بدمشق، وقبيس بالبلقاء، وما على باب حمص من جبعانا[3] وغيرها.

قالوا: فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبّلة تدخل قبالتها بيت المال فيخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج حتى كتب معاوية في إمرته على الشام إلى عثمان: أن الذي أجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بموؤن من يقدم عليه من وفود الأجناد ورُسل أمرَائها، ومن يقدم عليه من رُسل الروم ووفودها. ووَصَف في كتابه هذه المزارع الصافية وسمّاها له يسأله أن يقطعه إيّاها ليقوى بها على

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٣.

(٢) قبل العامل تقبيلاً، وتقبّله العامل تقبّلاً: تكفّل (اللسان: قبل).

(٣) في المختصر: «جبعاثا».

ما وصف له، وإنها ليست من قرى أهل الذمّة ولا الخراج. فكتب إليه عثمان بذلك كتاباً.

قالوا: فلم تزل بيد معاوية حتى قُتل عثمان وأفضى إلى معاوية الأمر، فأقرّها على حالها، ثم جعلها من بعده حبساً على فقراء أهل بيته والمسلمين.

قالوا: ثم أن ناساً من قريش وأشراف العرب سألوا معاوية أن يقطعهم من بقايا تلك المزارع التي لم يكن عثمان أقطعه إيّاها. ففعل. فمضت لهم أموالاً يبيعون ويمهرون ويورثون.

فلما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية أقطع منها أحد شيئاً سأله أشراف الناس القطائع منها، ففعل.

قالوا: ثم أن عبد الملك سُئل ا لقطائع وقد مضت تلك المزارع لأهلها فلم يبق منها شيء. فنظر عبد الملك إلى أرضٍ من أرض الخراج قد باد أهلها ولم يتركوا عقباً أقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الخراج، ولم يحمّله أحداً من أهل القرى، وجَعَلها عُشراً ورآه جائزاً له مثل إخراجه من بيت المال الجوائز للخاصة.

قالوا: فلم يزل يفعل ذلك حتى لم يجد من تلك الأرض شيئاً، فسأل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من أرض القرى التي بأيدي أهل الذمّة، فأبوا ذلك عليهم، ثم سألوهم أن يأذنوا لهم في شري الأرض من أهل الذمّة، فأذنوا لهم على إدخال أثمانها بيت المال، وتقوية أهل الخراج به على خراج سُنتهم، مع ما ضعفوا عن أدائه، وأوقفوا ذلك في الدواوين، ووضعوا خراج تلك الأرض عن من باعها منهم، وعن أهل قراهم، وصَيَّروها لمن اشتراها تؤدّي العُشر، يبيعون ويمهرون ويورثون.

قالوا: فلما ولي عمر بن عبد العزيز أعرض من تلك القطائع أقطعها عثمان معاوية رضي الله عنهما، ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان فلم يردّها عمر على ما كانت عليه صافية ولم يجعلها خراجاً، وأمضاها لأهلها تؤدّي العشر.

قال: وأعرض عمر عن تلك الأشرية بالإذن لأهلها فيها، لاختلاط الأمور فيها لما وقع فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون، فلم يقدر على تخليصه ولا معرفة ذلك. قال: وأعرض عن الأشرية التي اشتراها المسلمون بغير [إذن ولاة الأمر، لما وقع في ذلك من المواريث واختلاط الأمر. وجعل الأشرية وغير] الأشرية سواء، وأمضاه لأهله ولمن كان في يده، كالقطائع للأرض، عُشراً ليس عليها ولا على من صارت إليه بميراث أو شراء جزية.

قالوا: وكتب بذلك كتاباً قُريء على الناس في سنة مائة، وأعلمهم أنه لا جزية عليها، وأنها أرض عُشر. وكتب أنّ من اشترى شيئاً بعد سنة مائة فإن بيعه مردود، وسمّى سنة مائة المدة. فسمّاها المسلمون بعده المدّة. فأمضى ذلك في بقية ولايته ثم أمضاه يزيد وهشام ابنا عبد الملك.

قالوا: فتناهى الناس عن شرائها بعد سنة مائة [بسنيات] ثم اشتروها أشرية كثيرة كانت بأيدي

أهلها يؤدّون العُشر ولا جزية عليها.

[فلما] أفضى الأمر إلى أبي جعفر عبدالله بن محمد أمير المؤمنين رفعت إليه تلك الأشرية، وإنّها تؤدّي العُشر ولا جزية عليها. وإن ذلك أضرّ بالخراج وكسره. فأراد ردّها إلى أهلها. قيل له: قد وقعت في المواريث والمهور واختلط أمرها. بعث المعَدلين إلى كور الشام سنة أربعين أو إحدى وأربعين. منهم: عبدالله بن يزيد إلى حمص، وإسماعيل بن عياش إلى بعلبك في أشياء لهم. فعدّلوا تلك الأشرية على من هي بيده شري أو ميراث أو مهر، فعدلوا ما بقي بيد الأنباط من بقية الأرض على تعديل مسمّى. ولم تعدل الغوطة في تلك السنة. وكان من كان بيده شيء [من تلك الأشرية] من أهل الغوطة يؤدي العُشر حتى بعث أمير المؤمنين عبدالله بن محمد هضاب بن طوق ومحرّز بن رزيق فعدّلوا الأشرية وأمرهم أن لا يضعوا على شيء من القطائع القديمة ولا الأشرية خراجاً، وأن يمضوها لأهلها عشرية ويضعوا الخراج على ما بقي منها بأيدي الأنباط.

قال: ونا ابن عايذ، نا الوليد بن مسلم، حدّثني سُليمان بن عُتبة: أن أمير المؤمنين عبدالله بن محمد سأله في مقدمه الشام سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة عن سبب الأرضين التي بأيدي أبناء الصحابة ويذكرون أنها قطائع لآبائهم قديمة. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تبارك [وتعالى] لما أظهر المسلمين على بلاد الشام وصالحوا أهل دمشق وأهل حمص كرهوا أن يدخلوها دون أن يتم ظهورهم وإثخانهم في عدو الله. عسكروا في مرج بردا ما بين المِزّة وبين مرج شعبان جنبتي بردى، وكانت مروجاً مباحة فيما بين أهل دمشق وقراها ليست لأحد منهم. فأقاموا بها حتى أوطأ الله المشركين ذلّاً وقهراً، وأحيا كل قوم محلّتهم [وهيأوا] فيها بناءً فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب فأمضاه لهم. فبنوا الدور ونصبوا الشجر. ثم أمضاه عثمان ومن بعده إلى ولاية أمير المؤمنين. فقال: قد أمضيناه لأهله.

وأمّا الصوافي التي استصفيت عن بني أمية

فأخبَرَنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن مسعت الشجري، أنا أبو صاعد يَعْلَى بن هبة الله الفُضيلي، نا أبو محمد عبد الرّحمن بن أحمد بن محمد بن [أبي] شُريح الأنصاري، أنا أبو عبدالله محمد بن عقيل بن الأزهر بن عقيل البَلخي الفقيه ببَلْخ قال: سمعت سليمان بن الربيع بن هشام الرّبعي النهدي، قال: سمعت همّام بن مسلم قال: سُئل مالك بن أنس عن دارٍ من دور الصوافي أسكنُها؟ قال: ما أدري. وسألت ابن أبي ذيب فقال: ما أدري. وسُئل عبّاد بن كثير فقال: في هذا ما فيه. وسُئل سفيان الثوري فقال: لا تنزلها. فقال الرجل له: فإنّ أبي في صافية ويأبى أن يخرج منها. فقال سفيان: فارق أباك. قيل فإن كان فيها مسجد؟ قال: فلا تصلّ فيه قال: فإن [كان] فيها مريض؟ قال: فلا تُعده. قلت: فإن كنت أعرف أهلها أشتريها منهم؟ قال: نعم.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الرّحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الدّاراني، أنا أبو الفرج الإسفرايني، أنا

أبو بكر الخليل بن هبة الله بن الخليل، أنبأ عبد الوهاب الكِلابي، نا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طلّاب المَشْغراني[١]، نا أحمد بن أبي الحواري، نا بعض أصحابنا قال: قال سفيان الثوري: إن كانت، يعني الصوافي، لبني أمية حلالاً فهي على بني هاشم حرام. وإن كانت على بني أمية حراماً فهي على بني هاشم أحْرمُ وَأحْرمُ.

(١) نسبة إلى بلدة في جنوب لبنان اسمها مشغرى.

باب
ذكر بعض ما ورد من الملاحم والفتن
ممّا له تعلق بدمشق في غابر الزمن

أخْبَرَنا أبو المُظفّر بن القُشَيري، أنبأ سعيد بن محمد بن أحمد البَحيري، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنبأ أبو القاسم عبدالله بن محمد ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، قالا: قُرِيء على سعيد بن محمد بن أحمد البحيري، أنبأ أبو أحمد الحافظ، أنبأ أبو القاسم البغوي ـ زاد ابن القُشيري: إملاءً ـ ثنا علي بن الجَعد قال: ثنا ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، وأبو عبدالله محمد بن طلحة بن علي الرازي ثم البغدادي الصوفي قالا: أنبأ أبو محمد الصريفيني، أنا أبو القاسم بن حبّابة، نا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجَعْدَ، أنبأ زاهر ـ وهو ـ ابن معاوية، عن سهيل، وفي حديث القُشيري: عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدّهَا ودينارها، ومنعت مصر إردبّها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم**»[٤٥٥] قالها ثلاثاً شهد [على] ذلك لحمُ أبي هريرة ودمه.

الصواب: مُدْيها قال القُشيري: لفظهما سواء.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُراوي، أنا أبو بكر البيهقي قال: وقال أبو عُبيد الهروي[(١)] في هذا الحديث: قد أخبر النبي ﷺ بما لم يكن. وهو في علم الله كائن فخرّج لفظه على لفظ الماضي، لأنه ماضٍ في علم الله عزّوجلّ. وفي إعلامه بهذا قبل وقوعه ما دلّ على إثبات نبوّته ودلّ على رضاه من عمر ما وظّفه على الكَفَرة من الجزى في الأمصار وفي تفسير المنع وجهان: أحدهما أن النبي ﷺ علم أنهم سيُسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم بإسلامهم، فصاروا مانعين بإسلامهم ما وظف عليهم، والدليل على ذلك قوله في الحديث: «**وعُدتم من حيث بدأتم**» لأن بدأهم في علم الله تعالى وفيما قُدّر، وفيما قضى أنهم سيسلمون فعادوا من حيث بدؤوا. وقيل في قوله: «**منعت العراقُ درهمها**»[٤٥٦] أنهم يرجعون عن الطاعة. وهذا وجه، والأوّل أحسن.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الملك الخلّال، أنبأنا أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي، أنا أبو بكر ابن المقريء، ثنا ابن قُتيبة، نا حرملة، نا ابن وهب، أنا ابن لَهْيَعة، عن عبدالله الفهري عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة حتى يغلب أهل**

---

(١) دلائل النبوّة للبيهقي: ٦ / ٣٢٩ والأموال لأبي عبيد: ١٠١.

القفيز[١] على قفيزهم وأهل المدّ على مُدّهم وأهل الإردب على إردبهم وأهل الدينار على دينارهم، وأهل الدراهم على دراهمهم[٢] ويرجع الناس إلى بلادهم» [٤٥٧][٣].

خالفه أبو الأسود النصر بن عبد الجبّار المصري، عن ابن لَهِيعة فقال: عن عباس بن عباس بدل عبدالله الفِهري.

أَخْبَرَناه أبو الحسن علي بن المسلم السّلمي الفقيه، ثنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي - لفظاً - وأبو القاسم بن أبي العلاء - قراءة - قالا: أنا أبو الحسن محمد بن عوف، أنا أبو العباس محمد ابن موسى بن الحسين بن السمسار، أنبأ أبو بكر محمد بن خُرَيم، ثنا حميد بن زُنْجُويه، نا أبو الأسود، نا ابن لَهِيَعة، عن عياش بن عبّاس، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تقوم الساعة حتى يغلب أهل المُدْي على مُدْيهم، وأهل القفيز على قفيزهم، وأهل الإردب على إردبّهم، وأهل الدينار على دينارهم، وأهل الدرهم على درهمهم، ويرجع الناس على بلادهم»** [٤٥٨][٤].

قال أبو عُبيد: فمعناه - والله أعلم - أن هذا كائن، وأنه سيمنع بعد في آخر الزمان، فاسمع قول رسول الله ﷺ في الدرهم والقفيز، كما فعل عمر بأهل السواد فهو عندي الثبت.

وفي تأويل قول عمر أيضاً حين وضع الخراج ووظّفه على أهله من العلم أنه جعله عاملاً عاماً على كل من لزمته المساحة وصارت الأرض في يده من رجل أو امرأة أو صبي أو مكاتب أو عَبْد فصاروا متساويين فيها لم يُستثن أحد دون أحد، وممّا يبيّن ذلك قول عمر في دهقانة نهر الملك حين أسلمت، فقال: دعوها في أرضها يؤدى عنها الخراج، فأوجب عليها ما أوجب على الرجال.

وفي تأويل حديث عمر من العلم أيضاً أنه إنّما جعل الخراج على الأرضين التي تَغل من ذوات الحب والثمار، والتي تصلح للغلة من العام والعامر[٥]، وعطل منها المساكن والدور التي هي منازلهم فلم يجعل عليهم فيها شيئاً.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، حدّثني أبي، نا إسماعيل هو ابن عُلَيّة عن الجُريري ح.

وأخبرتنا فاطمة بنت ناصر العلوية المكنّاة قالت: قُرِيء على إبراهيم بن منصور السلمي - وأنا حاضرة - أنبأ أبو بكر بن المقريء، أنبأ أبو يَعلى، ثنا زهير هو ابن حرب أبو خَيثمة، نا إسماعيل، نا

---

(١) القفيز: مكيال معروف لأهل العراق، مقدار ثمانية مكاكيك، واحدها مكوك ويساوي صاعاً ونصف.

(٢) في مختصر ابن منظور: وأهل الدرهم على درهمهم.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق: ١ / ١٨٧ وكنز العمال ح ٣٨٦٠٥.

(٤) الأصول: ١٠١ والدلائل: ٦ / ٣٢٩.

(٥) في مختصر ابن منظور: العامر والغامر.

الجُريري عن أبي نَضرة، قال: كنّا عند جابر بن عبدالله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم [درهم ولا قفيز، قالوا: ممّا ذاك يا أبا عبدالله ؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم] دينار ولا مُدْي. قلنا: من أين ذاك ؟ قال: من قبل الروم ـ زاد ابن الحُصين [يمنعون] ذلك. وقالا: عمر اسكت هنته ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان خليفة يحثي**(١) **المال حثياً لا يعدّه عدّاً**» [٤٥٩](٢).

قال الجُريري: فقلت لأبي نَضرة وأبي العلاء أتريانه انه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا: لا.

أخرجه مسلم عن زهير(٣).

أخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني، أنبأ رشأ بن نظيف المقرىء، أنا الحسن بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن مروان المالكي، نا يحيى بن أبي طالب، نا عبد الوهاب، نا الجُريري، عن أبي نَضرة، عن جابر بن عبدالله أنه قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، ماخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلّا أبدلها الله خيراً منه، أو مثله**» [٤٦٠](٤).

وقال جابر: يوشك أن لا يُجبى من العراق دينار ولا درهم قالوا: وممّا ذاك يا أبا عبدالله ؟ قال: تمنعهم العجم. قال: ثم سكت ساعة ثم قال: يوشك أن لا يُجبى من الشام دينار ولا درهم ولا مُدي قالوا: ومن أين ذاك يا أبا عبدالله ؟ قال: تمنعهم الرّوم وقال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر هذه الأمّة خليفة يحثي المال حثياً**» [٤٦١].

قرأت على أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، عن أبي محمد الجوهري ح.

وأخْبَرَنا أبو محمد عبدالله بن علي بن الأبنوسي ـ إجازة ـ وحدّثني عنه أبو المَعمر الأنصاري قال: أنا أبو محمد الجوهري، نا أبو عمر محمد بن العباس، أنا أحمد بن جعفر بن محمد بن المنادي، حدّثني العباس بن الفضل بن رشيد الطبرستاني، نا هَوْذَة بن خليفة، نا عوف الأعرابي، عن خالد أنه قال: لا يذهب الليل والنهار حتى يطرد الروم أهل الشام فيموت منهم ناس كثير من العيال بالغلاة جوعاً وعطشاً.

قال أحمد: أظنّه خالد بن أبي الصلت الذي يروي عن عبد الملك بن عُمير ويروي عنه المبارك ابن فضالة.

قرأت بخط أبي الحسين محمد بن عبدالله بن جعفر الرازي، أنا أحمد بن عُمير بن يوسف، نا أحمد بن عتود، نا أبو اليمان الحكم بن نافع، نا صفوان بن عمرو، عن شُريح بن عبيد، عن أبي الدرداء أنه قال: ليخرجنّكم الروم من الشام كَفْراً كَفْراً حتى يوردونكم البلقاء. كذلك الدنيا تميد

---

(١) الحثو: الحضن باليدين لكثرة المال.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: ٦ / ٣٣٠.

(٣) صحيح مسلم كتاب الفتن ٤: ٢٢٣٤.

(٤) الدلائل: ٦ / ٣٣١.

وتفنى والآخرة تدوم وتبقى.

قال: وأنا أحمد بن عُمير بن يوسف، نا أحمد بن عبود [نا] أبو اليمان، نا صفوان بن عمرو، عن حاتم بن حُريث يردّه إلى عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: ليخرجنّكم الروم من الشام كَفْراً كفْراً حتى يوردونكم حِسْمَى (١) جذام حتى يجعلوكم في ظنبوب (٢) من الأرض.

قال: وأخبرنا علان المصري، نا عمرو بن سواد، أخبرني ابن وهب، أخبرني جرير بن حازم، عن علي بن الحكم، عن أبي الحسن -رجل من أهل الرقة- عن أبي أسماء الرّحبي، عن أبي هريرة قال: يا أهل الشام ليخرجنكم الروم منها كَفْراً كَفْراً حتى تلحقوا بسنبك من الأرض قيل: وما ذاك السنبك ؟ قال: حسما جُذام ولتسيرنّ الروم على كوادنها متعلقي جعابها بين بارقٍ ولعلع (٣).

أخْبَرَنا أبو البركات بن خميس -إذناً- فيما أرى قال: أنبأ أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن الحسن ابن طوق الموصلي -إجازة، أنا أبو الحسين عبدالله بن القاسم بن سهل بن جوهر الصوّاف، نا بعض أصحابنا، نا محمد بن مخلد العطار، نا أحمد بن محمد علام جليل، نا أحمد بن محمد عبد الرّحمن وعبد العزيز بن عبدالله، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، قال: هلاك دمشق نزول السفياني بين أظهركم ثم الروم في حديث طويل ذكره في الفتن.

وأخْبَرَنا أبو القاسم حاتم بن خالد بن عبد الواحد التاجر بأصبهان، أنا أبو الطيّب عبد الرزّاق بن عمر بن شمّة وأنا حاضر، أنبأ أبو بكر بن المقريء، نا محمد بن رمان، نا محمد بن رُمح، أنا الليث، عن يزيد، عن أبي الخيرات الصُّنابحي، حدثه أنه سمع كعباً يقول: ستعرك العراق عرك الأديم، وتفتّ مصر فتّ البعر.

قال الليث: وحدّثني رجل عن وهب المعافري أنه قال: وتشقّ الشام شق الشعرة.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم السُّلمي، أنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبو محمد عبدالله بن عبد الرزّاق بن فُضيل [ح].

وأخْبَرَنا أبو الحسن علي بن زيد بن علي السّلمي، أنبأ أبو الفتح نصر الله بن إبراهيم، قالا: أنا أبو الحسن محمد بن عوف، أنا أبو علي الحسن بن منير، أنا أبو بكر محمد بن خُزَيم، حدّثنا هشام بن عمّار، نا القاسم بن عمران، قال: سمعت عمر بن يزيد النصري يقول: يُقتل أُصَيهب قريش في دمشق ومعه سبعون صدّيقاً.

---

(١) جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل (ياقوت).

(٢) أصل الظنبوب حرف العظم اليابس من الساق (النهاية).

(٣) بارق: مواضع كثيرة، (انظر معجم البلدان).

ولعلع: منزل بين البصرة والكوفة بينه وبين بارق عشرون ميلاً (معجم البلدان).

قرأت على أبي عبدالله يحيى بن الحسن بن البنا، عن [أبي] تمام علي بن محمد بن الحسن، عن أبي عمر محمد بن العباس بن حيّويه، أنا أبو الطيّب محمد بن القاسم بن جعفر الكوكبي، نا ابن أبي خَيْثَمة، نا عبد الوهاب بن نجدة، نا جُنادة بن مروان، عن أبيه: سمعت الأشياخ يقولون: أسعد الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل حمص، وأشقى الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل دمشق وأشقى الناس بالرايات من أهل الشام أهل حمص.

أخْبَرَنا أبو الحسين الخطيب، أنبأ جدّي أبو عبدالله، أنبأ أبو علي الأهوازي، أنبأ عبد الوهّاب بن الحسن، نا أحمد بن عبدالله بن نصر، نا محمد بن عبدالرّحمن بن الأشعث، نا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم، نا معاوية بن يحيى، حدّثني أرطأة بن المنذر، عن سِنان بن قيس، سمعت خالد بن معدان يقول: يهزم السفياني الجماعة مرّتين ثم يهلك.

وسمعته يقول: لا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية [بالغوطة] تسمّى حَرَسْتا[(١)].

قرأت على أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، عن أبي محمد الجوهري، وكتب إليّ أبو محمد ابن الآبنوسي، وحدّثني أبو المَعْمَر الأنصاري، أنا الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيّويه، أنا أحمد بن جعفر بن المنادي، قال: كان ممّا بقي في كتابي، عن محمد بن داود القنطري مكتوباً، ثنا عبدالله بن صالح، قال: وحدثني معاوية بن صالح، عن سيار بن قيس، عن خالد بن معدان، قال: يهزم السفياني الجماعة مرّتين ثم يهلك، ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حَرَسْتا.

(١) قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ.

باب
ذكر بعض أخبار الدجّال
وما يكون عند خروجه من الأهوال

قرأت بخط أبي الحسين محمد بن عبدالله الرازي، أخبرني أبو دنافة أسلم بن محمد بن سلامة، نا محمد بن هارون بن بكار، نا هشام بن عمّار، نا صدقة بن خالد، نا هاشم بن عفيف، حدّثني راشد اليماني مولى عبد الملك وكان من المصلّين العابدين: أن كعب الأحبار خرج من دمشق يريد بيت المقدس ومعه نفر من أهل دمشق يشيّعونه. فخرج من باب الجابية فلما بلغ موضع دار(1) الحجّاج نظر عن يمينه وشماله فتبسّم، فذكر حديثاً وقال فيه: فسُئل فقال: أما نظري حين خرجت من باب الجابية عن يميني وشمالي فإنّه يبنى هناك دار تكون للدجّال منزلاً.

أخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الفُراوي وأبو المُظفّر عبد المنعم بن عبد الكريم القُشيري وأبو القاسم زاهر بن طاهر الشحّامي، قالوا: أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد البَحيري، أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه، أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسحاق العنزي، نا علي بن جعفر، نا الوليد وعبدالله بن عبد الرّحمن، عن عبدالله بن يزيد بن جابر، حدّثني ـ وقال أبو المُظفّر، حدّثنا ـ يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرّحمن بن جُبير بن نُفير الحضرمي، عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكِلابي يقول: ذكر رسول الله ﷺ الدجّال ذات غداةٍ، فخفّض فيه ورفّع، حتّى ظنناه في طائفة النخل. فلمّا رحنا إلى رسول الله ﷺ عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم ؟**» قال: قلنا: يا رسول الله ذكرت الدّجّال الغداة فخفّضت فيه ورفّعت حتّى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «**غيرُ الدّجّال أخوفني عليكم: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كلّ مسلم. إنّه شابٌّ قطط عينه طافية، كأن يشبّه بعبد العُزّى بن نظير(2) فمن رآه فليقرأ فواتح سورة أصحاب [الكهف]** ثم قال: «**إنّه يخرج من خَلّة بين الشام والعراق. فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله اثبتوا**» قال: قلنا: يا رسول الله ما لبثه في الأرض ؟ قال: «**أربعون يوماً، يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة، وسائر أيّامه كأيّامكم**» قال: قلنا: يا رسول الله ما سرعته في الأرض ؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح. قال: فيأتي على القوم فيدعو عليهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فروح عليهم**

---

(١) في ياقوت: قصر الحجاج، وهو محلّة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق منسوب إلى الحجاج بن عبد الملك بن مروان. نقله ياقوت عن ابن عساكر.

(٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٤٨: فطن.

سارحتهم أطول ما كانت ذُرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر. قال: ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء. ثم يمرّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كأنّها يعاسيب النحل، ثم يدعو شاباً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ومنه(١) العرض ثم يدعوه فيقبل فيتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم ينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق بين مهروذتين(٢) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ. ولا يحلّ لكافرٍ يجد ربحَ نفسه [إلّا مات] ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتّى يدركه عند باب لُدّ(٣) فيقتله. ثم يأتي نبي الله عيسى قوماً قد عصمهم الله منه فتمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم. قال: فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني أخرجت ـ وقال القاسم ومحمد: قد أخرجت ـ عباداً لي لا يد لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطّور. فيبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوّلهم على بحيرة طبريّة فيشربون ما فيها، ثم يمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماء، ويحاصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور فيهم خيراً لأحدهم من مائة دينار لأحدهم اليوم.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله النغف(٤) في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفسٍ واحدة. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل إليهم طيراً كأعناق البُخْت فيحملهم فيطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل عليهم مطراً لا يكنّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة وقال أبو المُظفّر: كالزلفة، ثم يقال للأرض: انبتي ثمرتك، ورُدي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة الرمانة، ويستظلّون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل ليكفي الفئام من الناس، واللِّقحة من البقر لتكفي القبيلة، واللّقحة من الغنم لتكفي الفخذ. فبينما هم كذلك إذ بعث الله عزوجل ريحاً طيبة تأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم، وتبقي شرار الناس يتهارجون كما تتهارج ـ وقال أبو القاسم: تهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة» [٤٦٢].

أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن علي بن حجر ورواه أيوب بن سويد عن ابن جابر.

أخْبَرَناه أبو سهل محمد بن إبراهيم بن محمد بن سعدويه، أنبأ عبد الرّحمن بن أحمد الرازي،

(١) في مختصر ابن منظور: رمية الغرض.

(٢) الثوب المهرود (بالدال المهملة) مصبوغ بالورس ثم بالزعفران (اللسان: هرد).

(٣) بلد في فلسطين.

(٤) النغف، جمع نغفة، وهي دود تكون في أنوف الإبل والغنم (النهاية).

نا أبو القاسم جعفر بن عبدالله بن فناكي الرازي، نا أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني، نا الربيع بن سُليمان، نا أيوب بن سويد الرّملي، نا عبد الرّحمٰن بن جابر، حدّثني يحيى بن جابر، حدّثني عبد الرّحمن بن جُبَير الحَضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكِلابي يقول: ذكر رسول الله ﷺ الدّجّال فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «**غير الدّجّال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. إنّه شاب قطط عينه قائمة، يشبه عبد العُزّى بن قَطَن. فمن رآه منكم فليقرأ فاتحة الكتاب وفواتح سورة أصحاب الكهف**» ثم قال: «**إنّه يخرج من خَلّة ما بين الشام والعراق، فعاث يميناً وشمالاً، يا عباد الله اثبتوا**» قلنا: يارسول الله ما لبثه إلى الأرض ؟ قال: «**أربعين يوماً، يوم كسنةٍ، ويوم كشهرٍ، يوم كجمعةٍ وسائر أيامه كأيّامكم**» قلنا: يا رسول الله ما إسراعه في الأرض ؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضرعاً، وأمده خواصر. ثم يأتي على القوم فيدعوهم، ويردون عليه قوله، فيتصرف عنهم بتبعه أموالهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء يمر بالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك. فينطلق، فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف ويقطعه حتى جزلتين رمية الغَرَض، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينا هو كذلك إذ بعث المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرَوذتين أو مبرودتين، واضع كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه كجمان لؤلؤ. لا يحلّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلّا مات، ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه. فيطلبه حتى تدركه عند باب لُدّ فيقتله الله. ثم يأتي عيسى ابن مريم [قوماً] قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينا هو كذلك إذ أوحى الله: يا عيسى قد أخرجت عباداً بدان لأحدٍ بقتالهم، فجوز عبادي إلى الطور، فيبعث الله يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها، فيمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان في هذه ماء مرّة، فيحذر نبي الله عليه السلام حتى يكون رأس الثور خيراً لأحدهم من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى كموت نفس واحدة، فيهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلّا وقد ملأه زهمهم وهنهم(١) ودماؤهم. فيرغب نبي الله ﷺ عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البُخْت، تحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكنّ فيه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ، يغسل الأرض**

---

(١) في مختصر ابن منظور: ونتنهم.

حتى تتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض انبتي ثمرك وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويُبارك في الرسل حتى اللقحة من الإبل ليكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيل، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذ، فبينا هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة تأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم وتبقي شرار الناس يتهارجون كما يتهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة»[٤٦٣](١).

أخْبَرَنا أبو المُظفَّر بن القُشيري، أنا أبو سعد الجَنْزَرودي، أنا أبو عمرو بن حمدان ح.

وأخبرتنا أم الُمجتبى فاطمة بنت ناصر العلوية قالت: قُريء علي إبراهيم بن منصور السّلمي، أنا أبو بكر بن المقريء، قالا: أنا أبو يَعلى الموصلي، نا عبدالله بن معاوية الجُمحي، نا حمّاد بن سلمة، عن الحجاج، عن عطية ـ زاد ابن حمدان: العوفي، عن أبي سعيد ـ زاد ابن المقريء: الخُدري: أن رسول الله ﷺ قال: «إنّه لم يكن نبيٌّ إلّا قد أنذر الدّجّال قومه، وإني أنذركموه، إنّه أعور، ذو حَدقة جاحظة ولا تخفى كأنّها نخاعة في خبب(٢) جدار، وعينه اليسرى كأنها كوكب دُرّي ومعه مثل الجنة والنار» ـ وقال ابن المقريء «ومثل النار ـ فجنته غبراء ذات دخان، وناره روضة خضراء، وبين يديه رجلان يُنْذران أهل القرى، كلّما خرجا من قرية دخل أوائلهم فيسلّط على رجل لا يتسلّط على غيرهم، فيذبحه ثم يضربه بعصا ـ وقال ابن حمدان: بعصاه ـ ثم يقول: قم، [فيقوم] فيقول لأصحابه: كيف ترون ألستُ بربّكم؟ فيشهدون له بالشرك. فيقول الرجل المذبوح: يا أيّها الناس ـ زاد ابن حمدان: ها وقالا: ـ إنّ هذا المسيح الدجّال الذي أنذرنا رسول الله ﷺ فيعود أيضاً فيذبحه، ثم يضربه بعصاه فيقول له: قم فيقول ـ وفي حديث ابن المقريء: فيقوم فيقول لأصحابه ـ كيف ترون ألست بربّكم؟ فيشهدون له بالشرك فيقول المذبوح: يا أيّها الناس ها إنّ هذا المسيح الدجّال الذي أنذرنا رسول الله ﷺ ما زادني ـ زاد ابن حمدان: هذا وقالا ـ إلّا بصيرة. فيعود فيذبحه الثالثة ويضربه بعصاه فيقول: قم ـ زاد ابن المقريء فيقوم وقالا: ـ فيقول لأصحابه: كيف ترون ألست بربّكم؟ فيشهدون [له] بالشرك فيقول: يا أيّها الناس إنّ هذا المسيح الدجّال الذي أنذرنا رسول الله ﷺ. ما زادني هذا فيك إلّا بصيرة. ثم يعود فيذبحه الرابعة، فيضرب الله تعالى على خلقه بصفيحة من نحاس فلا يستطيع ذبحه»[٤٦٤].

قال أبو سعيد: فوالله ما دريت ما النحاس ـ وقال ابن حمدان: ما رأيت النحاس ـ إلّا يومئذ. قال: فيغرس الناس بعد ذلك ويزرعون.

قال أبو سعيد: كنّا نرى ذلك الرجل عمر بن الخطاب لما نعلم من قوّته وجلده.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، ثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد، أنا أبو

---

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٤٧.

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٤٩: جنب.

القاسم تمام بن محمد بن عبدالله ا لرازي، أنبأ أبو الحسن خَيْثَمة بن سليمان الأطرابُلسي -إملاءً- في ربيع الآخر من سنة أربعين وثلاث مائة، نا أبو عُتبة أحمد بن الفرج الحجازي بحمص، نا ضمرة ابن ربيعة، نا الشيباني، عن عمرو بن عبدالله الحضرمي، عن أبي أُمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجّال ويحذرناه، فكان من قوله: يا أيُّها الناس **إنّها لم تكن فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنة الدجال. إن الله لم يبعث نبيّاً إلّا حذّر أمّته الدّجّال، وأنا آخر الأنبياء. وأنتم خير الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيج عن كل مسلم، وإن يخرج بعدي فكل مؤمن حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. إنه يخرج بين خلتين[(١)] الشام والعراق، فيبعث يميناً ويبعث شمالاً. يا عباد الله اثبتوا فإنّه يأتي يبتدىء فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يبتدي فيقول: أنا ربّكم ولن تروا ربّكم حتّى تموتوا، وأنه أعور، وأن ربّكم ليس بأعور، وأنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مؤمن. فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه. وإن من فتنته أن معه جنّةً وناراً فناره جنّة وجنته نار. فمن ابتلي بناره فليقرأ فواتح سورة الكهف، وليستغث بالله يكن عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وإن من فتنته أن معه شياطين تتمثّل على صور الناس، فيأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمّك أتشهد أني ربك ؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانه على صورة أبيه وأمّه فيقولان له: يا بني اتبعه، فإنّه ربّك. وإنّ من فتنته أن يسلّط على نفسٍ فيقتلها ثم يحييها، وأن تعود بعد ذلك، وأن يصنع ذلك بنفس غيرها. يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن. يزعم أن له ربّاً غيري فيبعثه فيقول له: من ربّك ؟**

فيقول: ربّي الله عزّوجلّ، وأنت عدوّ الله الدجّال. وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أمّك أتشهد أنّي ربّك ؟ فيقول: نعم، فيمثل له شيطانه على صورة أبيه، وأن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وأن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبوه فلا يبقي لهم سائمة إلّا هلكت، ويمرّ بالحي فيُصدّقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح عليهم مواشيهم من يومهم هذا أعظم ما كانت وأسمنه خواصر وأدرّه ضروعاً. وإن أيامه أربعون يوماً: فيوم كالسنة، ويوم دون ذلك، يوم كالشهر، ويوم دون ذلك، ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك، ويوم كالأيام ويوم دون ذلك. وآخر أيّامه كالشرارة في الجريدة. يضحي الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغرب الشمس. قالوا: يا رسول الله فكيف نصلّي في تلك الأيام القصار؟ قال: «**تقدروا في الأيام القصار كما تقدروا في الأيام الطوال ثم تصلون وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلّا وطئه وغلب عليه إلّا مكّة والمدينة، فإنه لا يأتيها من**

---

(١) في مختصر ابن منظور: «خلة بين الشام...» والخلة: الطريق.

نقب من أنقابها إلّا لقيه ملك مصلت بالسيف، فينزل عند الضرب الأحمر عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلّا صرخ(١). فينفي المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، يُدعا ذلك اليوم يوم الإخلاص.

فقالت أم شريك: يا رسول الله فأين المُسلمون ؟ قال: **ببيت المقدس يخرج حتى يحاصرهم وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له: صلّ الصبح، فإذا كبّر ودخل في الصلاة نزل عيسى إبن مريم عليه السلام قال: فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقري ليتقدّم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه ثم يقول، صلّ، فإنّما أقيمت الصلاة لك فيصلّي عيسى عليه السلام] وراءه. فيقول: افتحوا الباب فيفتحوه، ومع الدّجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلّهم ذو سلاح وسيف [محلّى. فإذا] نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص في النار، وكما يذوب الملح في الماء ثم يخرج هارباً. فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب الشراب(٢) فيقتله فلا يبقى شيء ممّا خلق الله عزوجل يتوارى به يهودي إلّا أنطق الله عز وجل ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلّا قال: يا عبدالله ابن المسلم، هذا يهودي فاقتله، إلّا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق ـ قال الشيخ: شوك يكون بناحية بيت المقدس ـ قال: ويكون عيسى في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً. فيقتل الخنزير ويدق الصليب ويضع الجزية ولا يسعى على شاة ولا بعير، فترفع الشحناء والبغضاء والتباغض. وتنزع حمة كل ذي دابة حتى يلقى الوليدة الأسد فلا يضرّها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها. ويملأ الأرض من الإسلام، ويسلب الكفّار ملكهم. فلا يكون ملك إلّا الإسلام. وتكون الأرض كقانور(٣) الفضة تنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه الصّلاة والسلام يجتمع النفر على القطف فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات [٤٦٥](٤).**

أخبرتنا أم الُمجتبى فاطمة بنت ناصر العلوية، قالت: قُريء على إبراهيم بن منصور السُّلمي وأنا حاضرة، أنا أبو بكر بن المقريء، أنبأ أبو يَعْلى الموصلي، ثنا عبدالله بن معاوية الأموي، نا حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة قال: أتينا عثمان بن أبي العاص يوم جمعة لنعرض على مصحفه مصحفاً. فلما حضرت الجمعة أمر لنا بماء فاغتسلنا وطيبنا، ثم رحنا إلى الجمعة. فجلسنا إلى رجل يحدث. ثم جاء عثمان بن أبي العاص فتحولنا إليه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) في مختصر ابن منظور: خرج.

(٢) في مختصر ابن منظور: «باب الشرقي».

(٣) الفاثور: الطست أو الخوان من رخام أو فضة أو ذهب.

(٤) سنن ابن ماجة، الفتن، ح ٤٠٧٧.

«يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى [البحرين] ومصر بالحيرة ومصر بالشام. فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجّال في أعراض جيش فينهزمون من قبل المشرق. فأوّل مصر يرده المصْر الذي بملتقى البحرين. فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تنزل الشامة وتنظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصْر الذي يليهم. ومعهم سبعون ألفاً عليهم التيجان، وأكثر تبعه اليهود والنساء، حتى يأتي المصر الذي يليهم. ثم يأتي الشام فينحاز المسلمون إلى عُقْبَة أفيق[(١)]، فيبعث المسلمون بسرح لهم فيصاب سرحهم [فيشتد عليهم][(٢)] ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله. فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من الشجر[(٣)]: يا أيها الناس، أتاكم الغوث فيقول بعضهم لبعض، إن هذا لصوت رجل شبعان، فينزل عيسى عليه السلام الفجر. فيقول له أمير المؤمنين الناس: تقدم يا روح الله فصلّ بنا. فيقول: إنّكم معشر هذه الأمّة أمراء بعضكم على بعض، فتقدّم أنت فصلّ بنا. فيتقدّمه أمير الناس فيُصلّي بهم. فإذا انصرف أخذ [عيسىٰ] عليه السلام حربته ثم ذهب نحو الدّجّال، فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص، ويضع حربته بين ثندوته فيقتله. فيهزم أصحابه فليس شيء يومئذ يجن منهم، حتى الشجرة تقول: يا مؤمن هذا كافر، ويقول الحجر: يا مؤمن هذا كافر»[٤٦٦].

كذا قال الأُموي، وإنّما هو الجُمحي كما تقدّم، وهذا الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن يزيد بن هارون، عن حمّاد بن سلمة[(٤)].

حدّثني أبو بكر وجيه بن طاهر الشحّامي ـ لفظاً ـ أنا أبو حامد أحمد بن الحسن بن محمد الأزهري، أنبأ أبو سعيد محمد بن عبدالله بن حمدون التاجر، أنبأ أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي، نا أبو عبدالله محمد بن يحيى الذُّهلي، نا عبد الرزّاق، أنبأ مَعْمَر، عن الزّهري، أخبرني عمرو بن أبي سفيان الثقفي أنه أخبره رجل من الأنصار عن بعض أصحاب محمّد ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجّال فقال: **«يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخل نقابها فينتقض المدينة بأهلها نقضة أو نقضتين وهي الزلزلة، فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة. ثم تولى الدجّال قبل الشام، حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل من جبال الشام. فيحاصرهم الدجّال نازلاً بأصله، حتى إذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين: حتى أنتم متى هكذا؟ وعدوّ الله نازل بأصل جَبَلكم هذا، هل أنتم إلّا بين إحدى الحُسنيين؟ بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم؟ فيتبابعون على الموت بيعة فعلم الله أنها الصدق من أنفسهم. ثم تأخذهم ظلمةٌ لا يبصر امروٌّ فيهاكفه فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين**

---

(١) بلدة بين حوران والغور.

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٢ وفيه: فيشهد.

(٣) في مختصر ابن منظور: من السحر.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٤ / ٢١٦.

أرجلهم علة لأمّته، يقولون: من أنت يا عبد الله ؟ فيقول: أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى ابن مريم. اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجّال وعلى جنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلّط عليهم سلاحكم ويكفّ سلاحهم عنكم. فيقولون: هذه يارسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا، فيومئذ يرى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقلّ يده سيفه من الرعدة. فينزلون إليهم فيُسلّطون عليهم، ويذوب الدجّال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص، حتى يأتيه أو يدركه عيسى فيقتله [٤٦٧](١).

أَخْبَرَنا أبو عبدالله الفراوي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي، نا أبو العبّاس محمد بن يعقوب، أنا العبّاس بن الوليد، أنا أبي، نا الأوزاعي، حدّثني قتادة ابن دعامة السَّدوسي، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثني شهر بن حوشب، حدّثتني أسماء بنت يزيد بن السكن وهي ابنة عم مُعاذ بن جَبَل قالت: أتاني رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه فذكر الدجّال فقال رسول الله ﷺ: «**إن قبل خروجه ثلاث سنين تُمسك السماء يعني السنة الأولى ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرَها، والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها، والأرض ما فيها، حتى يهلك كل ذي ضرس وظلف. وإن من أشد فتنته أن يقول [للأعرابي:] أرأيتَ إن أحييت لك إبلك عظيمة ضروعها طويلة أسنمتها، تجتر، تعلم أني ربك ؟ قال: فيقول: نعم، قال فيمثل له الشياطين، قال ويقول للرجل: أرأيت إن أحييتُ لك أباك وأخاك وأمّك أتعلم أني ربك ؟ قال: فيقول: نعم، قال فيمثل له الشياطين**»، قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته فوضعت له وضوءاً فانتحب القوم حتى ارتفعت أصواتهم فأخذ رسول الله ﷺ بلحي الباب فقال مهيم، فقلت: يا رسول الله خلعت قلوبهم بالدجّال، فقال رسول الله ﷺ: «**إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن متّ فالله خليفتي على كل مؤمن**» فقلت: يا رسول الله وما يجزي المؤمنين يومئذ ؟ قال: «**يجزيهم ما يجزي أهل السماء التسبيح والتقديس**» [٤٦٨](٢).

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النَّقُّور، أنا عيسى بن علي الوزير، أنبأ عبدالله محمد البغوي، نا محمد بن عبد الواهب، نا حَشْرَج، عن سعيد بن جُمهان، عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلّا وقد حذّر أمّته الدجّال إنه أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى طَفَرة غليظة عليها، مكتوب بين عينيه: كافر، معه واديان أحدهما جنّة والآخر نار. معه مَلَكان يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سمّيتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما. أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول الدجّال ألست بربّكم أحيي وأميت ؟ فيقول أحد المَلَكين كذبت لا**

(١) البداية والنهاية: ١ / ٣٣٤ بتفاوت.
(٢) جامع المسانيد: ٢ / ٧١٩.

يسمعه أحد من الناس إلّا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنّون أنه صدق، فذلك، ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل. ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق [٤٦٩].

أخْبَرَنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد بن محمد بن ماهان، أنبأ شجاع بن علي بن شجاع، أنبأ محمد بن إسحاق بن مَنْدَه، أنا محمد بن قريش المَرْوُرودي، نا إسماعيل بن أبي كثير الفارسي، نا يحيى بن موسى البَلْخي، نا سعيد بن محمد الوراق، نا حلام بن صالح، نـا سليمان بـن شـهاب العبسي قال: نزل عليّ عبدالله بن مغنم رجل من أصحاب النبي ﷺ فزعم أنه ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدجّال ليس به خفاء يجيء من قبل المشرق، فيدعو إلى نفسه فيُتبع، ويقاتل ناساً فيظهر عليهم، لا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر عليهم**» [٤٧٠](١).

قال ابن مَنْدَه رواه علي بن المديني عن سعيد بن محمد الورّاق [هذا مختصر].

وأخبرناه بتمامه أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن أحمد، أنا أبو بكر الخطيب، أنبأ أبو بكر البُرقاني، نا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، قال: ذكر يحيى بن موسى الخُتّلي، نا معبد بن محمد الورّاق الكوفي، نا حلام أبو صالح، أخبرني سُليمان بن شهاب العبسي قال: نزل عليّ عبدالله بن مغنم من أصحاب رسول الله ﷺ فزعم أنه ذكر عن رسول الله ﷺ أنه قـال: «إن الدجّال ليس بذي خفاء، إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو إلى حق فـيتبع، ويـنتصب له نـاس يقاتلونه يظهروا عليه فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة، فيظهر دين الله ويعمل به ويحث عليه ويقول بعد: إني نبي فيفزع لذلك كل ذي لبّ فيفارقه، ويمكث بعد ذلك. ثم يقول: أنا الله، فتطمس عينه اليمنى، ويصمغ أذنه، ويكتب بين عينيه: كافر، فلا يخفى على مسلم، ويفارقه كل أحد في قلبه مثقال ذرّة من خردل من إيمان فيفارقه. ويكون أصحابه وجنوده هـذه اليـهود والمـجوس والنصارى وأعاجم المشركين. ثم يدعو برجل فيما يرون فيأمر به فيُقتل، ثم يقطع عظامه كل عظمة على حدة. ويفرق بينها، حتى إذا رأى الناس ذلك ثم يجمعون، ثم يضربه بعصا فإذا هـو قـائم، ويقول: أنا أُحيي وأُميت. وذلك سحر يسحر الناس وليس يصنع من ذلك شيئاً». قال الخطيب: مَغْنَم بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وبنون.

كذا قال في الأصل الخُتّلي وإنما هو الخَتّي البَلْخي وهو يحيى بن موسى خَتّ.

أخْبَرَنا أبو القاسم الحُصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد، حدّثني أبي، نا روح يعني ابن عبادة، نا سعيد بن أبي عروبة وعبد الوهاب، أنا سعيد، عن قَتادة، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُندب أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**إن الدجّال خارج وهو أعور عين**

---

(١) الإصابة: ٢ / ٣٧٢.

الشمال عليها ظَفَرة غليظة، وإنه يُبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويقول للناس: أنا ربّكم. فمن قال: أنت ربّي فقد فُتن، ومن قال: ربي الله، حتى يموت فقد عصم من فتنته، ولا فتنة عليه [بعد] ولا عذاب، فيلبث في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى ابن مريم من قِبَل المغرب مصدّقاً لمحمّد ﷺ وعلى ملّته، فيقتل الدجّال ثم إنّما هي قيام السّاعة» [٤٧١](١).

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسن عاصم بن الحسن بن محمد الصاصمي، أنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن مهدي، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عقدة، نا أحمد بن يحيى الصوفي، نا عبد الرّحمن بن شريك، نا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن عبدالرّحمن ابن زيد بن حارثة، عن مُجمِّع بن حارثة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يقتل الدجّال بين باب اللدّ بسبع عشرة ذراعاً، واللدّ بالرملة بأرض الشام»** [٤٧٢](٢).

صوابه عبد الرّحمن بن يزيد بزيادة ياء.

وهذا بابٌ كثير ويأتي فيه حديث كثير اقتصرت منه على اليسير طلباً للتخفيف والتيسر.

---

(١) مسند أحمد: ٥ / ١٣.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٤٢٠ ط. الميمنية وكنز العمال: ٣٨٨٥٠.

باب
مختصر في ذكر يأجوج ومأجوج

أَخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الفُراوي الفقيه، أنبأنا أبو بكر البيهقي الحافظ، أنبأنا أبو نصر ابن قتادة، أنبأنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج، أنبأنا مطيّن، أنبأنا أبو صالح عبد الحميد بن صالح البُرْجُمي، أنبأنا أبو شهاب، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبدالله بن عمرو قال: أراه رفعه قال: يأجوج ومأجوج من ولد آدم ؟ قال: نعم، ومن ورائهم ثلاث أمم تاويل وتاريس والمنسك يلد الرجل من صلبه ألفاً.

أَخْبَرَنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أنبأنا أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان وأحمد بن محمد بن إبراهيم القصاري.

وأَخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم القصّاري، أنا أبي، [نا] ابن طاهر أحمد بن محمد قالا:

أنبأنا إسماعيل بن الحسن بن عبدالله الصرصري.

وأَخْبَرَنا أبو منصور سعد بن محمد بن عمر [نا] أبو الطّيّب سعيد بن يحلف بن ميمون الكِناني، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، وعلي بن أحمد بن محمد بن عبد الوهّاب، وأبو غالب المبارك بن عبد الوهاب بن محمد بن منصور المسَدي، وأبو البيضاء سعد بن عبدالله الحبشي الجُمَحي قالوا:

أَخْبَرَنا نصر بن أحمد بن نصر بن عبدالله البطن حينئذ.

وأَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن طاووس.

أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان، قالا: أنبأنا أبو عبدالله عبيدالله بن [يحيى قالا: [أنا] أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملي، أنبأنا محمد بن عمرو بن حنان، أنبأنا] يحيى بن سعيد، أنبأنا محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق، عن حُذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: «**يأجوج ومأجوج، فيأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربع مائة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلّهم قد حمل السلاح**» قلت: يارسول الله صفهم لنا: قال: «**هم ثلاثة أصناف صنف منهم مثل الأرْز**» قلت: وما الأرْز ؟ قال: «**شجر بالشام طول كل شجرة عشرون ومائة ذراع في السماء**» فقال رسول الله ﷺ: «**هؤلاء الذين لا يقوم لهم جَبَل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل إلّا أكلوه ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون**

أنهار المشرق وبحيرة طبرية» [٤٧٣](١).

وأخْبَرَنا أبو عبدالله الخلّال، أنبأنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور الجبار، أنبأنا أبو بكر بن المقريء، قالا: أنبأنا أبو يعلى الموصلي، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، أنّ أبا رافع حدث ـ وقال ابن المقريء حدثه ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يحفرون كل يوم حتى يكادوا يرون شعاع الشمس، فيقولون نرجع إليه غداً، فيرجعون وهو أشد ما كان، فإذا بلغت مدتهم وأراد الله تبارك وتعالى أن يبعثهم على الناس قالوا: نرجع إليه غداً إن شاء الله، فيرجعون إليه كهيئة ما تركوه فيحفرونه**»(٢) أو كما قال. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فيفر الناس منهم في حصونهم**» أو كما قال.

قال المُعتمر: وقال أبي عن قتادة: أنهم يرمون في السماء سهماً ـ وقال ابن حمدان: بسهام ـ فترجع إليهم كأن فيها دماً. فيقولون: ظهرنا على الأرض وقهرنا أهل السماء أو كما قال.

وزاد ابن المقريء قال: وقالا: فيبعث الله عليهم النغف(٣) في أقفائهم فيقتلهم. فقال رسول الله: **حتى إن دوابهم تسمن**. ـ وقال ابن المقريء: لتسمن ـ **فتنظر**(٤) **ممّا يأكل لحومهم**. أو كما قال [٤٧٤].

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُراوي، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا محمد بن عبدالله الحافظ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه ـ ببغداد ـ أنبأنا الحسن بن مكرم البزاز، أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا العوّام بن حوشب، عن جبلة بن سُحيم بن عفازة، عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري ليلة أسري بالنبي ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة. فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم. ثم موسى فلم يكن عنده منها علم. فتراجعوا الحديث إلى عيسى. قال عيسى: عهد الله إليّ فيما دون وحينها يعني أما وحتها(٥) فلا نعلمها. قال فذكر من خروج الدجّال: فأهبط فأقتله، وترجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم(٦) يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون. فلا يمرون بماءٍ إلّا شربوه، ولا يمرّون بشيء إلّا أفسدوه [فيحارون إلى الله تبارك وتعالى، فيدعو الله تعالى فيميتهم فتحار الأرض إلى الله من ريحهم]، فيجأرون(٧) إليّ فأدعو، فترسل السماء بالماء، فتحمل أجسامهم فيقذفونها في البحر، ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مدّ الأديم. فعهدُ الله تبارك وتعالى

---

(١) المستدرك: ٤ / ٥٢٧ و ٤٨٨.

(٢) الدر المنثور: ٤ / ٢٥٢ مورد الآية.

(٣) النغف: دود في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نغفة، محركة.

(٤) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٣ «وتبطر».

(٥) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٣: فيما دون وجبتها، يعني: أما وجبتها فلا نعلمها.

(٦) في مختصر ابن منظور: ٢ / ٣: «فيستقبلهم».

(٧) في مختصر ابن منظور: فيحارون.

إليّ إذا كان ذلك. قال: الساعة من الناس كالحمائل[١] المُتم[٢] لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادها ليلاً أو نهاراً. قال عبدالله: فوجدت تصديق ذلك في القرآن **﴿حتى إذا فتحت يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كل حَدبٍ يَنْسِلونَ واقتربَ الوعدُ الحقّ﴾**[٣] الآية.

قال وجمع الناس من كل مكان جاؤوا منه يوم القيامة فهو حدب.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الملك الأديب، أنبأنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور السُّلمي، أنبأنا أبو بكر بن المقريء، أنبأنا أبو يعلى الموصلي، أنبأنا عبدالله بن معاوية، أنبأنا حمّاد بن سلمة، أخبرنا عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم أبواب.

---

(١) في مختصر ابن منظور: «كالحامل».

(٢) المتم: هي الحامل التي شارفت الوضع (النهاية).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦ ـ ٩٧.

باب
ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله
وقول من قال إنه لا يوجد في الأقطار مثله

أَخْبَرَنا أبو الفضائل ناصر بن محمود بن علي، أنبأنا أحمد بن زهير، نا علي بن محمد بن شجاع، أنبأنا تمام بن محمد، أنبأنا أحمد بن سُليمان بن حَذْلَم، نا أبي، نا سليمان بن عبد الرّحمن، نا ابن عياش، نا سُليمان بن سليمان، عن يحيى بن جابر، عن يزيد بن ميسرة قال: أربعة أجبلٍ مقدّسةٍ بين يدي الله تبارك وتعالى: طور زيتا، وطور سينا، وطور تينا، [وطور] تيمنانا.

قال فطور زيتا بيت المقدس، وطور سينا طور موسى، وطور تينا مسجد دمشق وطور تيمنانا مكة.

ورواه سليمان أيضاً عن ابن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن الحارث بن محماية كان يقول: أربعة أجبل مقدّسة فذكر نحوه.

أَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة السُّلمي، قالا: أنبأنا عبد العزيز، أنبأنا تمام بن محمد، وعبد الوهاب الميداني، قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عُمارة بن أبي طالب ابن أبي الخطاب يحيى بن عمرو بن عُمارة الليثي، أنبأنا أحمد بن المُعلّى بن يزيد الأسدي.

قال تمام: وأخبرنا أبو إسحاق بن سِنان إجازة، أنبأنا أحمد، أنبأنا محمد، أنبأنا أحمد بن المعلّى.

قال تمام: وأخبرني أبو بكر يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحيم بن عمر المازني، أنبأنا أحمد بن المُعلّى قال: وأخبرني سليمان بن عبد الرّحمٰن، أنا عيسى بن موسى بن عيسى القرشي، حدّثنا خليد بن دَعْلَج وسعيد بن بشير جميعاً عن قَتادة قال: أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة قال: ﴿**والتين**﴾ هو مسجد دمشق ﴿**والزيتون**﴾ وهو مسجد بيت المقدس ﴿**وطور سينين**﴾ وهو حيث كلّم الله تعالى موسىٰ ﴿**والبلد الأمين**﴾ وهو مكّة.

قالوا: وأنبأنا أحمد بن المُعلّى، أخبرني هشام بن خالد، أنبأنا محمد بن شعيب قال: سمعت عثمان بن أبي العاتكة، عن أهل العلم أنهم كانوا يقولون ﴿**والتين**﴾ مسجد دمشق.

قال: وأخبرني أبو مروان، أنبأنا محمد بن شعيب: سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق، وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد.

أبو مروان هو أحمد بن عبد الباقي.

كذلك [رواه] أبو شيبة محمد بن أحمد بن المُعلّى عن أبيه.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن أبي محمد عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام

الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج بن البِرامي، حدّثنا أبي عبدالله بن الفرج، أنبأنا القاسم بن عثمان الجوعي، سمعت مروان بن محمد يقول في قول الله تبارك وتعالى قال: ﴿**التين والزيتون**﴾ مسجد دمشق قال: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس.

قال: وأنبأنا ابن البراني، نبأنا إبراهيم بن مروان قال: سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول: سمعت عبد الرّحمٰن بن إسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المهاجر قال: [كان] خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان، فما تقرب[1] منه جاءت نار فأخذته، وما لم يُتَقَبّل بقي على حاله.

صوابه يحيى بن إسماعيل.

أخْبَرَنا أبو الفضائل ناصر بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد، أنبأنا علي بن محمد، أنبأنا أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر، أنبأنا ابن فضالة، أنبأنا أبو بكر بن مُعاذ وهو محمد بن عبدالله، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الحسن بن يحيى الخُشَني: أن النبي ﷺ ليلة أُسري به صلّى في موضع مسجد دمشق.

هذا منقطع.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم السُّلمي، قالا: أنبأنا عبد العزيز التميمي، أنا تمام بن محمد وعبد الوهاب بن جعفر المدائني قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد.

قال تمام: وأخبرني أبو إسحاق بن سِنان ـ إجازة ـ أنبأنا ابن المُعلّى، أخبرني صفوان بن صالح، أنبأنا عبد الخالق بن زيد ـ يعني ـ ابن واقد عن أبيه، عن عطية بن قيس الكِلابي، قال: قال كعب الأحبار: ليبنين في دمشق مسجدٌ يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج بن البِرامي، أنبأنا أبو شبيب محمد بن أحمد بن المُعلّى، أنبأنا محمد بن هارون يعني ابن محمد بن بكار بن بلال، أنبأنا عباس بن الوليد يعني الخَلّال، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن يحيى بن إسماعيل، أنبأنا الوليد بن مسلم، أنبأنا عثمان بن أبي عاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرّحمٰن قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى جَبَل قاسيون أن هَبْ ظلّك وبركتك لجَبَل بيت المقدس. قال: ففعل. فأوحى الله تعالى إليه أما إذ فعلت فإني سأبني لي في حضنك بيتاً ـ قال عبد الرّحمن، قال الوليد: في حضنك أي في وسطه، وهو هذا المسجد، يعني مسجد دمشق ـ اعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أردّ عليك [ظلّك] وبركتك. قال فهو عند الله تعالى بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرّع.

قال: وأنبأنا أبو بكر بن البرامي، أنبأنا محمد بن أحمد ـ يعني، أبا شبيب، حدّثني عمرو بن عبد

---

(١) في مختصر ابن منظور: تُقبل.

الرّحمن بن إبراهيم قال: سمعت أبي يقول: خيطان مسجد دمشق الأربع من بناء هودعليه السلام وما كان الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك.

أَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز، أنبأنا تمام ابن محمد وعبد الوهاب بن جعفر قال: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عبادة بن أبي الخطاب الليثي، أنا أحمد بن المُعلّى.

قال تمام: وأخبرني أبو بكر يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحيم بن عمر المازني، نبأنا [ابن] المُعلّى قال: وأخبرني أبو تقيّ هشام بن عبد الملك، أنبأنا الوليد، قال: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نَقْشٌ، فأتوا به الوليد فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه، ثم بعث إلى العبرانيين فلم يستخرجوه، ثم بعث إلى مكانٍ(١) بدمشق من بقية الأشنان(٢) فلم يستخرجوه، فدُلّ على وَهْب بن مُنبّه فبعث إليه. فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط ـ ويقال ذلك الحائط بناء هود النبي ﷺ ـ فلما نظر إليه وهب وحرّك رأسه وقرأه فإذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم. ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك، وإنما تلقى ندمك لقد زلّت بك قدمك، وأسلمك أهلُك وحشمُك، وانصرف عنك الحبيب، ووَدّعك القريب، ثم صرت تُدعَا فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحل بك أجلك، وتنزع منك روحك، فلا ينفعك مالٌ جمعته ولا ولد ولدته ولا أخٌ تركته، ثم تصير إلى برزخ الثرى ومجاورة المولى. فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن تؤخذ بالكَظَم(٣) ويُحال بينك وبين العمل.

وكتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام(٤).

أَخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن شجاع، أنبأنا أبو الحسين عبد الوهّاب بن جعفر، أنبأنا محمد بن عبدالله الرّبعي، أنبأنا علي، أنبأنا محمد بن يوسف، أنبأنا أحمد بن إبراهيم الغسّاني، أنبأني أبي عن أبيه، عن زيد بن واقد، قال: وكّلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة. فعرّفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل، فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق. ففتح الصندوق،

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٦ «من كان».

(٢) في مختصر ابن منظور: الأشبال.

(٣) الكظم: مخرج النفس من الحلق.

(٤) الكتاب في مروج الذهب: ٣ / ١٩٣.

فإذا فيه سبط[١] وفي السبط رأس يحيى بن زكريا عليه السلام مكتوب عليه: هذا رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد فردّ إلى المكان وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيّراً من الأعمدة. فيجعل عليه عمود مُسبّك مُسَفّط الرأس.

قال: ونبأنا علي، ونبأنا أبو القاسم عبد الرّحمن بن عمر الإمام، نبأنا ابن حبيب، أنبأنا أبو عبد الملك، نبأنا مهدي بن جعفر، أنبأنا الوليد بن سالم، نبأنا زيد بن واقد، قال: رأيتُ رأس يحيى بن زكريا حيث أرادوا بناء مسجد دمشق أُخرج من تحت ركنٍ من أركان القبّة وكانت البشرة والشعر على رأسه لم تتغيّر.

أَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة، قالا: أنبأنا أبو محمد الكتاني، أنبأنا تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني، قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمّارة، أنبأنا أحمد ابن المُعلّى حينئذ.

قال تمام: وأخبرنا أبو إسحاق بن سِنان إجازة، أنبأنا أبو المُعلّى، قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن عمر المازني، أنبأنا أبو المُعلّى قال: أخبرني القاسم بن عثمان قال: سمعت الوليد بن مسلم وسأله رجل: يا أبا العبّاس، أين بلغك رأس يحيى بن زكريا ؟ قال: بلغني أنه ثَمّ وأشار بيده إلى العمود المُسفّط الرابع من الركن الشرقي.

قال ابن المُعلّى: وأخبرني إسماعيل بن أبان، حدّثني محمد بن عائذ، حدّثني الوليد بن مسلم، حدّثني زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أُخرج من اللِّيطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة فوضع تحت عمود السبط السكاسك.

رواه غيره عن ابن المعلّى.

يقال: البلاطة: بدل الليطة.

قال ابن المُعلّى: وأنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا محمد بن شعيب قال: دخلت مع شداد بن عبدالله من هذا الباب فقال لي: أترى ما هنا كتاباً بالرومية قلت: نعم، فصلّى ركعتين وقال: هاهنا رأس يحيى ابن زكريا.

رواه غيره، عن هشام فقال: من باب الدرج.

قرأتُ على أبي محمد عبد الكريم، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام، أنبأنا أحمد بن عبدالله ابن الفرج بن البِرامي، أنبأنا أبي، نا القاسم بن عثمان، أنبأنا الوليد قال: سألت الأوزاعي قلت: يا أبا عمرو أين بَلغك رأس يحيى بن زكريا قال: بلغنا أنه في العمود الرابع المُسفّط.

أَخْبَرَنا أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفُراوي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن عبد

(١) في مختصر ابن منظور: فيه سفط، وفي السفط.

العُزّى الهوي، أنبأنا أبو محمد عبد الرّحمٰن بن أحمد بن محمد بن أبي شُريح، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عبد الجبّار الرازي، أنبأنا حُميد بن زَنْجويه النّسائي، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا أبو البركات الدمشقي، أنبأنا رزيق أبو عبدالله الأكفاني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«صلاة الرجل في بيته صلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين، وصلاته في المسجد الذي يجمّع فيه بخمس مائة صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف»[٤٧٥](١).

كذا قال وأسقط ذلك ذكر مسجد النبي ﷺ.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة، أنبأنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، أنبأنا عبد الصمد بن عبدالله ومحمد بن بشر القزّاز وعبد الرّحمن بن إسحاق الغامدي الدمشقيون، قالوا: أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا [أبو] الخطاب الدمشقي، أنبأنا رزيق أبو عبدالله، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمّع فيه بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسة آلاف. وصلاته في مسجدي بخمسين ألفاً. وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف»**[٤٧٦].

أخْبَرَنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السُّوسي، أنبأنا جدي، أنبأنا أبو علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي، أنبأنا أبو الفرج الهيثم بن أحمد بن محمد القُرشي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن سعيد ابن فطيس، أنبأنا أحمد بن أنس بن مالك، أنا حبيب المؤذن، أنبأنا أبو زياد الشعقاني(٢) وأبو أمية الشغفاني، قال: كنّا بمكّة فإذا رجل في ظل الكعبة، وإذا هو سفيان الثوري. فقال رجل: يا أبا عبدالله ما تقول في الصلاة في هذه البلد؟ قال: بمائة ألف صلاة. قال: ففي مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: بخمسين ألف. قال: ففي بيت المقدس؟ قال: أربعين ألف صلاة قال: ففي مسجد دمشق؟ قال: بثلاثين ألف صلاة.

رواه أنبأنا أبو بكر حمزة بن عبدالله بن البِرامي، عن أحمد بن أنس، عن أبي حبيب بن زياد وأبي أمية بغير شك وسيأتي في ترجمة حبيب إن شاء الله.

أخْبَرَنا أبو عبدالله بن أبي مسعود الصاعدي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبدالله العَدَوي، أنبأنا أبو محمد الشُّرَيْحي، أنبأنا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرّياني، أنبأنا حُميد بن زَنْجويه، أنبأنا حُميد الصايغ، أنبأنا عيسى بن ميمون، عن معاوية بن قُرّة قال: قال عمر بن الخطاب: من صلّى صلاة

---

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٧.

(٢) في مختصر ابن منظور: أبو زياد الشعباني أو أبو أمية الشعباني.

مكتوبة في مسجد من الأمصار كانت له حجّة متقبّلة وإن صلّى تطوّعاً كانت كعمرةٍ مبرورة.

قال: وأنبأنا حُميد بن زَنْجُويه، أنبأنا سعيد بن عمير، عن عبدالله الشامي عن رجل، عن كعب قال: من صلّى في مسجد مصرٍ من الأمصار صلاة فريضة فتكون حجّة متقبّلة ومن صلّى صلاة تطوّع فتعدل عمرة متقبلة فإن أصيب في وجهه ذلك حَرُمَ لحمه ودمُه [على النار] أن تطعمه وذنبه على من قتله.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن عبد الملك والمغيرة المقريء، حدّثني أبي، عن أبي عُبيدة: تقدم إلى القوّام ليلة من الليالي فقال: إنّي أريد أن أصلّي الليلة في المسجد فلا تتركوا فيه أحداً حتى أُصلّي الليلة. ثم إنّه أتى إلى باب الساعات. فاستفتح الباب ففتح له. فدخل من باب الساعات فإذا رجل قائم يُصلّي بين باب الساعات وباب الخضراء الذي يلي المقصورة ـ قائماً يُصلي ـ وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات، فقال للقوّام: ألم آمركم ألّا تتركوا أحداً يُصلّي الليلة في المسجد ؟ فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين هذا الخضر عليه السلام يُصلّي في المسجد كل ليلة(١).

قال: وأنبأنا ابن البِرَامي، أنبأنا أحمد بن أنس، أنبأنا أبو بكر محمد بن محمد بن مُعاذ، أنبأنا أبو مُسهِر عبد الأعلى، أنبأنا ابن المنذر بن نافع [أم عمرو بنت مروان] عن رجل قد سمّاه أن واثلة بن الأسقع خرج من باب المسجد الذي في(٢) باب جيرون فلقي كعب الأحبار فقال له: أين تريد ؟ فقال له واثلة بن الأسقع: أريد بيت المقدس فقال له: تعال حتى أريك موضعاً في هذا المسجد من صلّى فيه فكأنّما صلّى في بيت المقدس. قال: فذهب به فأراه ما بين الباب الأصغر(٣) الذي يخرج منه الوالي إلى الحنيّة يعني القنطرة الغربية. قال: من صلّى فيما بين هذين [فكأنما] صلّى في بيت المقدس.

قال واثلة: إنه لمجلسي ومجلس قومي [قال] هو ذاك.

رواه صفوان بن بُسرة بن صفوان، عن أبي مُسهِر، عن المنذر بن نافع، عن أبيه قال: خرج واثلة. سيأتي في ترجمة نافع.

أنبأنا أبو علي الحداد في كتابه، حدّثني عبد الرحيم بن علي الأصبهاني عنه، أنبأنا عبد الرحيم ابن محمد بن أحمد الركواني، أنبأنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، أنبأنا إسحاق قال: سمعت أبا زُرعة يقول: مسجد دمشق خطّه أبو عُبيدة بن الجرّاح، وكذلك مسجد حِمص، وأما مسجد مصر فإنّه خطّه عمرو بن العاص زمن عمر.

---

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٨.

(٢) في مختصر ابن منظور «يلي».

(٣) في المختصر: الأصفر.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة، قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عُمارة، أنبأنا أحمد بن المُعلّى قال: أنبأنا تمام، وأنبأنا أبو إسحاق بن سِنان -إجازة- أنبأنا ابن المعلّى.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، نبأنا عبد الرّحمٰن بن عمر المازني، أنبأنا أحمد ابن المُعلّى، أنبأنا أبو أمية، أنبأنا أحمد بن الجواري، أنبأنا الوليد بن مسلم، عن ابن ثوبان قال: ما ينفعني[(١)] أن يكون أحدٌ أشدّ شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حُسنِ مسجدها.

قرأت على أبي محمد عبد الكريم عن أبي محمد عبد العزيز الكتاني، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج البِرامي، نبأنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن هاشم بن ملّاس، أخبرني [أبي]، عن أبيه قال: لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه، فقال: يا أبا عُبيد الله سبقنا بنو أمية بثلاث قال: وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال: بهذا البيت، يعني المسجد، لا أعلم على ظهر الأرض مثله أبداً [وبنبل الموالي، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم، وبعمر بن عبد العزيز، لا يكون والله فينا مثله أبداً] ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة. فقال: يا أبا عبيدالله وهذه رابعة.

قال: وأنبأنا ابن البِرَامي، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثني أبي قال: لما دخل المأمون مسجد دمشق ومعه أبو إسحاق المعتصم ويحيى بن أكثم فقال: ما أعجب ما في هذاالمسجد ؟ فقال له أبو إسحاق: ذهبُه وبقاؤه فإنا نهيّئه في قصورنا فلا يمضي به العشرون سنة حتى يتغيّر قال: ما ذاك أعجبني منه، فقال يحيى بن أكثم: تأليف رخامِه، فإني رأيت فيه عُقداً ما رأيت مثلها. قال: ما ذاك أعجبني، فقالا له: ما الذي أعجبك ؟ قال: بنيانه على غير مثالٍ متقدّم.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، قال: كتب إلينا أبو تمام علي بن محمد الواسطي يذكر أن أبا عمر بن حيّويه أخبرهم -إذناً- أنا محمد بن خلف، أنبأنا الحسن بن إبراهيم بن الحسن الخوارزمي قال: سمعت أبي يقول: قال المأمون لقاسم التمام[(٢)]: اختر لي اسماً حسناً أسمّي به جاريتي هذه. قال: سَمِّها مسجد دمشق فإنّه أحسن شيء.

كتب إليّ أبو عبدالله الفُراوي -وقبل أن ألقاه- يخبرني عن أبي بكر أحمد بن ا لحسين الحافظ، أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني أبو تواب الذكر وهو أحمد بن محمد الطوسي، أنبأنا أبو محمد بن المنذر بن سعيد، أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد، قال: سمعت عبد الرّحمن بن عبدالله بن عبد الحكم يقول: سمعت الشافعي يقول: عجائب الدنيا خمسة أشياء: أحدها منارتكم هذه، يعني منارة ذي القرنين؛ والثاني: أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً.

---

(١) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٨ ما ينبغي. (٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٥٩ التمّار.

والثالث: مرآة ببلاد الأندلس معلّقة على باب مدينتها الكبيرة، فإذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ في مائة فرسخ فإذا جاء أهله إلى تلك المرآة المُنارة فقعد تحتها ونظر في المرآة يرى صاحبه بمسافة مائة فرسخ. والرابع: مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه. والخامس: الرخام والفسيفساء فإنّه لا يُدرى لهما موضع، ويقال: إن الرخام كلها معجونة، والدليل على ذلك أنها لو وضعت على النار لذابت.

وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب -وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة- في رسالة له قال: ثم أُمرنا بالانتقال إلى البلد، فانتقلت منه إلى بلد تمّت محاسنه، ووافق ظاهره باطنه، أزقته أزِجة، وشوارعه فَرِجة، فحيث ما شئتَ شممتَ طيباً، وأين سعيت رأيت منظراً عجيباً، وأفضيتُ إلى جامعه فشاهدتُ منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه، ولا الرائي أن يعرفه وجملته أنه بكر الدهر، ونادرةُ الوقت، وأعجوبة الزمان، وغريبة الأوقات. ولقد أبقت أمية به ذكراً به يُدرس، ولا وخلفت أثراً لا يخفى ولا يُدْرس.

باب
معرفة ما ذكر من الأمر الشائع الزائغ
من هدم الوليد بقية من كنيسة مَرْيُحنا وإدخاله إيّاها
في الجامع

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد وعبد الكريم بن حمزة، قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام بن محمد، وعبد الوهاب الميداني، قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عُمارة نا أحمد بن المُعلّى قال: أنبأنا تمام، وأنبأنا أبو إسحاق بن سنان ـ إجازة ـ أنبأنا أبو المعلّى.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن عمر المازني، أنبأنا أبو المعلّى، أخبرني هشام بن خالد، أنبأني الوليد، أنبأنا ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن كعب في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا عليكُم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلّ إذا اهْتَدَيْتُم**﴾(١) فقال: إذا هُدمت كنيسة دمشق فبُنيت مسجداً وظهر لبْس القصب فحينئذ تأويل هذه الآية.

قرأت على أبي محمد السُّلمي، عن عبد العزيز التميمي، أنبأنا تمام بن محمد، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن الفرج، أنبأنا محمد بن أحمد ـ هو ابن المُعلّى ـ أنبأنا محمد بن هارون ـ هو ابن بكار ـ أنبأنا عبد الرّحمن بن إبراهيم، أنبأنا أيوب بن سويد، حدّثني يحيى بن أبي عمرو أن كعباً سُئل عن هذه الآية: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضُرّكم من ضلّ إذا اهتديتُم**﴾ قال: يقع تأويلها إذا هُدمت كنيسة دمشق.

قال يحيى: فهدمها الوليد بن عبد الملك.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن أحمد وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني، قالا: أنبأنا أحمد بن محمد بن عُمارة، أنبأنا أحمد بن المُعلّى.

قال تمام: وأنبأنا أبو إسحاق بن سنان ـ إجازة ـ أنبأنا أبو المُعلّى قال: أنبأنا تمام وأنبأنا يحيى بن [عبدالله بن الحارث، أنبأ] عبد الرّحمن بن عمر المازني، أنبأنا أبو المُعلّى، أخبرني أحمد بن محمد ومعاوية بن صالح قالا: أنبأنا محمد بن عايذ، أنبأنا خالد بن يزيد بن أبي مالك: أن معاوية أراد أن يبني مسجد دمشق. فقال له كعب: ذاك أحسن(٢) قريش وما اجتمع أبواه.

قرأت على أبي محمد السُّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام بن محمد، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن البِرامي، أنبأنا محمد بن أحمد، أنبأنا أبي، أنبأنا أحمد بن المُعلّى، أنبأنا أبو مروان، أنبأنا أحمد بن محمد ومعاوية بن صالح، قالا: أنبأنا محمد بن عايذ، أنبأنا خالد بن [يزيد

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) في المختصر: «أخنس قريش».

ابن] أبي مالك: أنّ معاوية بن أبي سفيان أراد أن يبني مسجد دمشق، فقال له كعب: ذلك أخنس قريش وما اجتمع أبواه، فلما كان الوليد بن عبد الملك بعث إلى النصارى وقال لهم في كنيستهم وسألهم إيّاها فأبوا. فقال لهم ائتونا بالعهد، فأتوه به. فقال لهم: قد رضيتم فأنا اسَجْل البعض عليكم. فنظرا فإذا كنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا، ورضوا بأن أعطوا الكنيسة وكفّ عن كنائسهم.

قال: وأنبأنا ابن البِرامي قال: سمعت أبا الفتح ابن أخت طيب الورّاق واسمه محمد بن هارون بن نصر يقول: سمعت مشايخنا يقولون: إن معاوية بن أبي سفيان كان يخرج إلى الصلاة في المسجد من الموضع الذي يُصلّي فيه الغرباء عند باب جيرون من عند الزجاجة الخضراء فجُعلت الزجاجة علامة لما سُدّ الباب من شرقي المسجد خارج الباب.

أَخْبَرَنا أبو غالب محمد بن الحسن علي البصري، أنبأنا أبو الحسن محمد بن علي السيرافي، أنبأنا أبو عبدالله أحمد بن إسحاق النهاوندي، أنبأنا أحمد بن عمران بن موسى بن زكريا، أنبأنا أبو عمرو خليفة بن خياط قال(١): وفيها يعني سنة سبع وثمانين بنى الوليد بن عبد الملك مسجد دمشق، يعني شرع فيه.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو بكر بن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن الفضل، أنبأنا عبدالله بن جعفر، أنبأنا يعقوب بن سفيان قال(٢): سألت هشام بن عمّار عن قصة [مسجد] دمشق وهدم الكنيسة قال: كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق: ما شئتم إن أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صُلحاً فأنا أهدم كنيسة توما.

قال هشام: وتلك أكبر من هذه الداخلة. قال: فرضوا أن أهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد.

قال: وكان بابها قبلة المسجد، اليوم المحراب الذي يُصلّى فيه. قال: وهدمُ الكنيسة في أوّل خلافة الوليد سنة ستّة وثمانين. وكانوا في بنائه سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم، فأتمه هشام من بعده كذا قال هشام والصواب سليمان.

قرأتُ على أبي محمد السُّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد، وأنبأنا أبو محمد بن الأكفاني ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسّاني، حدّثني أبي، عن جدّي يحيى بن يحيى قال: لما اهتم(٣) الوليد بن عبد الملك بهدم كنيسة مريحنا ليهدمها ويزيدها في المسجد، دخل الكنيسة ثم صعد منارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهب يأوي إلى صومعة له فأحدره من

---

(١) تاريخ خليفة: ٣٠٠ حوادث سنة ٨٧.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٣ / ٣٣٥.

(٣) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٦١ همّ.

الصومَعَة، فأكثر الراهب كلامه. فلم تزل يد الوليد في قفاه حتى أحْدره من المنارة.

انتهى حديث عبد الكريم. زاد ابن الأكفاني: ثم همّ بهدم الكنيسة فقال له جماعة من نجّاري النصارى: ما نجسر على أن نبدأ في هدْمها يا أمير المؤمنين، نخشى أن نفترا[١] أو يصيبنا شيء فقال الوليد: تحذرون وتخافون؟ يا غلام، هات المعول، ثم أُتي بسلّم فنصبه على محراب المذبح، وصَعد فضرب المذبح حتى أثّر فيه أثراً كثيراً[٢]. ثم صعد المسلمون فهدموه. وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة التي في المسجد الكنيسة التي تُعرف بحمّام القاسم بحذاء دار أم البنين في الفراديس فهي تُسمّى مَرْيُحَنا مكان هذه التي في المسجد، وحوّلوا شاهدها، فيما يقولون هم، إليها، إلى تلك الكنيسة.

قال يحيى بن زكريا: أنا رأيت الوليد بن عبد الملك فعل ذلك بكنيسة دمشق.

أخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة السّلمي، قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني، قالا: أخبرنا أحمد بن محمد، أنبأنا أحمد بن المُعلّى ح.

قال تمام: وأنبأنا أبو إسحاق بن سنان - إجازة - قال ابن المُعلّى.

قال تمام: وأنبأنا يحيى بن عبدالله، أنبأنا عبد الرّحيم بن أحمد المازني، أنبأنا ابن المعلّى، أخبرني أحمد بن أبي العباس، أنبأنا ضَمْرَة، عن علي بن أبي حَمَلة، قال: كان موضع مسجد دمشق كنيسة من كنائس العجم. فكان المسلمون يصلون في ناحية منها والنصارى في ناحية منها. فلم يزالوا كذلك منذ فتحت حتى ولي الوليد بن عبد الملك فقال لهم: [هل لكم] أن تأخذ نصف هذه الكنيسة فنبني لكم كنيسة حيث [شئتم] من دمشق. فأبوا. فهجم عليهم فهدَمَها وبناها مسجداً. فسألوه أن يعطيهم ما دعاهم إليه. فأبى.

قال ابن المُعلّى: وأخبرني معاوية يعني ابن صالح، أنبأنا سليمان بن عبد الرّحمن [نا] خالد بن يزيد بن أبي مالك أنه حدّثه عن أبيه: أن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه حين أراد أن ينقض الكنيسة ويبني المسجد. فأتاه النصارى فقالوا: كنيستنا لا تهدمها. قال: فإنّي أتركها وأهدم كنيسة توما، وأبني المسجد فيها لأنّها لم تكن في العهد. فلما رأوا ذلك قالوا: إنّا نتركها لكم وتدع لنا كنيسة توما.

قال: فصعد الوليد وصعدنا معه فكان أوّل من ضرب بفأس في هدمها الوليد، ثم هدم الناس بعده فأراد أن يبني المسجد ضطوانات[٣] إلى الكوى - يعني الطاقات - فدخل بعض البنائين فقال:

---

(١) في مختصر ابن منظور: «أن نُعزّ».

(٢) في المختصر: كبيراً.

(٣) في مختصر ابن منظور: اسطوانات.

لا ينبغي أن يُبنى كذا، ولكن ينبغي أن يبنى فيه قناطر وتعقدان[١] بعضها إلى بعض ثم تُجعل أساطين ويجعل عُمُد، ويجعل فوق العُمد قناطر تحمل السقف وتخف عن العمد البناء، ويجعل بين كل عمودين ركن. قال: فبُني كذلك.

قال ابن المُعلّى: وأخبرني معاوية، حدّثني محمد بن سهم أن الوليد بن مسلم حدّثهم عن ابن جابر وغيره قالوا: لما كان الوليد ـ وقال تمام: لما كان ولاية الوليد ـ وأراد بناء المسجد فقال: إنّا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذه كنيسة يوحنا، ونعطيكم موضع الكنيسة حيث شئتم، وإن شئتم أعطيناكم ثمنها. وأضعف لهم في الثمن وأرفع ذلك. فأبوا وقالوا: لا نبيع ولا نأذن في هدمها، ولنا ذمّة وعهد والله إنّا لنجد ما يهدمها أحد إلّا جُنّ قال: فأنا أوّل من يهدمها، فقام وعليه قباء أصفر، فرفع نوقته ثم ضرب وهدم الناس معه. فزاد من ناحية شرق المسجد المقصورة كلّها من كنيستهم، وأقاموا على ما هم [حتّى كان] عمر بن عبد العزيز.

قال ابن المُعلّى: وأخبرني شيبة بن الوليد القُرشي حدّثني أبي قال: كنت أمر بعبد الرّحمن بن عامر اليحصبي ـ وهو شيخ كبير أزرق ـ وهو جالس بالروضة فيقول: ألا تأتي حتى أكتب لك أن تحاز جدك وهو يضرب بالفأس في الكنيسة بعد الوليد؟ قلت: نعم، ولكن حدّثني الحديث. فقال: إنّه لما عزم الوليد على هدم الكنيسة قالوا له: إنه لا يهدمها أحدٌ إلّا جُنّ. فقام جدّك يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد. وأمر له الوليد أن يتّخذ فأساً صغيرة، ففعل. وخرج الوليد ومعه وجوه أهل البلد حتى علا الكنيسة ثم التفت إلى يزيد فقال: أين الفأس؟ فأتاه به. فقال: إنّ هؤلاء الكَفَرة يزعمون أن أوّل من هدمها يُجَنّ، وأنا أوّل من يجنُ في الله تعالى، فأخذ برقة قبائه فوضعها في منطقته، ثم أخذ الفأس فضرب به ضربات، ثم ناوله جدّك فضرب به بعده، ثم ناوله أبا ناتل رباح الغسّاني فضرب به، وكان على شرطه. وتناوله كل من حضر، ولم يجدوا من ذلك بُدّاً إذ فعله أمير المؤمنين.

وصاح النصارى على الدرج وولْوَلُوا فالتفت إلى أبي ناتل فقال: لأعلّمن منهم اثنين ثم التفت إلى يزيد بن تميم ـ وهو على خراجه ـ وقال: ابعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها، ففعل، فجاء اليهود فهدموها.

قرأت على أبي محمّد السُّلمي عن أبي محمد التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد ابن عبدالله بن الفرج البِرَامي، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقريء مولى الوليد بن عبد الملك، حدثني أبي عبد الملك بن المغيرة، [عن أبيه المغيرة بن عبد الملك][٢] أنه

---

(١) في المختصر: وأن تعقد.

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ٢٦١ عن المغيرة بن عبد الملك.

دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك بن مروان فرآه مغموماً فقال له: يا أمير المؤمنين ما سبيلك؟ قال: فأعرض عنه ثم عاوده فقال: يا أمير المؤمنين ما سبيلك قال: فقال له: يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا، وقد ضاق بهم المسجد. وقد بعثت إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لندخلها في المسجد فأبوا علينا. وقد أقطعتهم قطائع كثيرة، وبذلت لهم مالاً، فامتنعوا. فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين لا تغتم. قد دخل خالد من باب الشرقي بالسيف، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجرّاح في الأمان فنماسحهم[1] إلى أي موضع بلغ السيف، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخله في المسجد. فقال له: فرّجت عنّي فتولّ أنت هذا. فتولّاه. فبلغت المسحة إلى سوق [الريحان] من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسر بالذراع القاسمي فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد. فبعث إليهم فقال لهم: هذا حق قد جعله الله تبارك وتعالى لنا لنصلّي فيه. لم يصلّ المسلمون في غصب ولا ظلم. لم نأخذ حقّنا الذي جعله الله تعالى لنا. فقالوا له: يا أمير المؤمنين قد أقطعتنا أربع كنائس، وبذلت لنا من المال كذا وكذا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضّل به علينا فافعلْ. فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه. فأعطاهم كنيسة حُميد بن درّة، وكنيسة أخرى جنب سوق الجبن، وكنيسة مريم، وكنيسة الصلبية.

قال: ثم أن الوليد بعث إلى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة، واجتمع النصارى. فقال للوليد بعض الأقساء - والفأس على كتفه وعليه قباء سفر جلي وقد شدّ برقة[2] قبائه -: إنّي أخاف عليك من الشاهد يا أمير المؤمنين. فقال له: ويلك! ما أضع فأسي إلّا في رأس الشاهد. ثم إنّه صعد، فأوّلُ من وضع فأسه في هدم الكنيسة الوليد. وتسارع الناس في هدم الكنيسة، وكبّر الناس ثلاث تكبيرات، وزادها في المسجد.

فهذا ما كان من خبر المسجد وخبر هدم الكنيسة.

---

(١) في المختصر: «فماسحهم».

(٢) في المختصر: «برقبة قبائه» وفي المطبوعة: بخرقة.

باب
ما ذكر في بناء المسجد الجامع
واختيار بانيه وموضعه على سائر المواضع

ذكر أبو الحسن محمّد بن عبدالله الرازي قال: قرأت في هذا الكتاب الذي فيه أخبار الأوائل أن هذه الدار المعروفة بالخضراء، مع الدار المعروفة بالكبق[1]، مع الدار المعروفة بدار الخيل، مع المسجد الجامع، أقاموا وقت بنائها يأخذون لها الطالع ثماني عشرة سنة. وقد حُفر أساس الحيطان، حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أنّ المسجد لا يخرب أبداً ولا يخلو من العبادة، وأنّ هذه الدار إذا بُنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل والجند والعساكر والبلاء والفتنة. فبُني على هذا. والله تعالى أعلم. وكانت في ذلك الزمان كلّها داراً واحدة:

أخْبَرَنا أبو محمّد بن الأكفاني، وعبد الكريم السلمي قالا: أنا عبد العزيز بن أبي طاهر التميمي، أنا تمام الرازي، وعبد الوهاب بن جعفر الميداني قالا: أنبأ أبو الحارث أحمد بن محمّد بن عُمارة، أنبأ أحمد بن المعلّى.

قال تمام: وأخبرني أبو إسحاق بن سِنان ـ إجازة ـ أنبأ ابن المعلّى.

قال تمام: وأخبرني أبو بكر يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأ عبد الرحمن، والصواب عبد الرحيم ابن عمر المازني، أنبأ ابن المعلّى قال: أخبرني همام بن محمّد بن عبد الباقي القُرشي، حدّثني أبي، حدّثني مروان بن عبد الملك بن عبدالله بن عبد الملك بن مروان قال:

لما[2] أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج إلى صُنّاع كثير. فكتب إلى الطاغية: أنْ وجِّه إليّ بمائتي صانع من صُنّاع الروم، فإنّي أُريد أن أبني مسجداً لم يبن من مضى قبلي ولا يكون بعدي مثلُه. فإن أنتَ لم تفعل غزوتك بالجيوش، وخربتُ الكنائس في بلدي، وكنيسة بيت المقدس، وكنيسة الرُّها، وسائر آثار الروم [في بلدي].

فأراد الطاغية أن يفضّه عن بنائه ويضعف عزمه، فكتب إليه:

«والله لئن كان أبوكَ فُهِّمها فأُغفل عنها، إنّها لوصمةٌ عليه. ولئن كنت فُهِّمْتَها وغُيِّبَتْ عن أبيك، إنها لوصمةٌ عليك. وأنا موجّه ما سألتَ».

فأراد أن يعمل له جواباً، فجلس له عقلاء الرجال في حظيرة المسجد يفكرون في ذلك فدخل

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٦٣: المطبق.

(٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٦٣ والبداية والنهاية: ٩ / ١٤٦.

عليهم الفرزدق فقال: ما بالُ الناس، أراهم مجتمعين حلقاً حلقاً؟ فقيل له: السبب كيتَ وكيت. فقال: أنا أُجيبُه من كتاب الله تبارك وتعالى. قال الله تعالىٰ: ﴿**ففهّمناها سليمان وكُـلّاً آتـينا حُكـماً وعلماً**﴾(١) فسُرّي عنهم.

رواه أبو شبيب محمد بن أحمد المعلّى، عن أبيه فقال: همام بن أحمد.

أَخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، أنبأنا أبو عبدالله محمد بن أبي نُعيم النَّسوي، أنبأنا أبو محمّد بن أبي نصر، أنبأنا عيسى أبو علي محمّد بن القاسم بن معروف، أنبأنا علي بن أبي بكر، عن ابن الخليل، وهو أحمد، أنبأنا عمر بن عبيدة، قال: حدّثنيه عبد الله بن محمّد بن حكيم، نبأنا خالد ابن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه قال:

لمّا هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم:

«إنّك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقّاً فقد خالفتَ أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك».

فلم يدر ما جوابه فكتب إلى الكوفة والبصرة وسائر البلدان أن يجيبوه، فلم يجبه أحد، فوثب الفرزدق فقال: أنا أبو فراس! أصلح الله الأمير، قد رأيت رأياً فإن يكُ حقّاً فخذه وإن يك خطأً فدعه [وهو] قول الله عزّوجلّ: ﴿**وداود وسليمان إذْ يحكمان في الحرث إذ نَفَشت فيه غَنَمُ القومِ وكنّا لحكمهم شاهدين ففهّمناها سليمان**﴾(٢).

قال: فكتب به الوليد إلى ملك الروم فلم يجبه. فأنشأ الفرزدق يقول:

فَـرّقتَ بـين النـصارى فـي كـنائسهم ... والعـابدين مـع الأسـحار والعَـتَمِ
وهـم جـميعاً إذا صلّوا وأوجُـهُهُم ... شـتَّى، إذا سـجدوا لِـلَّهِ والصـنمِ
وكـيف يَـجْتمع النـاقوسُ يـضربُه ... أهـلُ الصـليبِ له القـرّاءُ لم تـنمِ
فـهّمك الله تـحويلاً لبـيعتهم ... عن مسجدٍ فيه يُتْلىٰ طيِّبُ الكلَمِ
فُـهِّمْت تـحويلَها عـنه كـما فَـهما ... إذْ يـحكمان له فـي الحَـرْثِ والغَـنَمِ
داود والمـلكُ المـهديُّ إذ جـزّا ... أولادهـا واجـتزازُ الصوفِ بـالجَلَمِ
واللهِ مـا مـن أبٍ فـي النـاس نـعلمُه ... خـيرُ بـنينٍ، ولا خـيرٌ مـن الحكـم

أَخْبَرَنا أبو محمّد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أبي طاهر، أنبأنا تمام بن محمّد الرازي، وعبد الوهاب الميداني قالا: أنبأنا أحمد بن محمّد بن عمارة بن أبي الخطاب، أنبأنا أحمد بن المعلى.

قال تمام: وأخبرني أبو إسحاق بن سِنان ـ إجازة ـ أنبأنا ابن المعلّى.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨ ـ ٧٩.

قال تمام: وأخبرني أبو عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحمن بن عمر المازني، أنبأنا ابن المعلّى.

قال: وأخبرني سليمان بن محبوب بن عبد الرحمن، أنبأنا الحسن بن يحيى، أنبأنا أبو حفص: أنَّ هوداً النبي عليه الصلاة والسلام أسّس الحائط الذي قبلةَ مسجد دمشق.

قال ابن المعلّى: وأخبرني سليمان بن محبوب أنه سمع عبد الرحمن بن إبراهيم يقول: إنّ الوليد بن عبد الملك بنى كلَّ ما كان داخل حيطان المسجد، وزاد في سمك الحيطان.

قرأت على أبي محمّد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج البِرَامي، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملّاس الغسّاني، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه قال:

بنى الوليد بن عبد الملك القُبّة ـ يعني قبّة مسجد دمشق ـ فلما استقلّتْ وتمّت، وقعتْ. فشقَّ ذلك عليه. فأتاه رجل من البنّائين، فقال: أنا أتولّى بناءها، على أن تعطيني عهد الله أن لا يدخل معي أحدٌ في بنائها. ففعل ذلك. فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء. ثم بناها، فلما استقلّت على وجه الأرض غطّاها بالحُصر، وهرب عن الوليد. فأقام يطلبه فلا يقدر عليه. فلما كان بعد سنةٍ لم يعلم الوليد إلّا وهو على بابه. قال ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال: تخرج معي حتّى أُرِيك. فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحُصُرَ، فوجد البنيان قد انحطّ حتى صار مع وجه الأرض، ثم قال: مِن هذا كنت تُؤْتىٰ. ثم بناها ببنائها الذي بُنيت عليه، حتى قامت.

ابن ملّاس نميري وليس بغسّاني. والله تعالى أعلم.

أنبأنا أبو محمّد بن الأكفاني، أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن الكتّاني، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن الفرج، أنبأنا أبو بكر عبد الرحمن بن محمّد بن العبّاس، أنبأنا أبو تمام عتبة بن سلامة بن ربيح، أنبأنا محمد بن عتبة، ثنا يحيى بن حمزة، نبأنا عمر بن الدَّرفْس الغسّاني قال:

رأيت قبة مسجد دمشق وقد حُفر لأركانها حتى بلغ الحفر إلى الماء، وأُلْقي على الماء جِرانُ الكرم وبُني الأساسُ عليه.

قرأتُ على أبي محمّد السلمي، عن أبي محمّد التميمي، أنبأنا تمام، أنبأنا أبو بكر البِرَامي.

قال: وأنبأنا هشام، قال: وأنبأنا أبو شبيب محمّد بن أحمد، أنا أحمد بن المعلّى، أنبأنا إسماعيل ابن أبان، أنبأنا أبو مُسهِر، عن جدّه: أنه شرب من أركان القبة ماءً.

قال: وأنبأنا ابن البِرَامي، أنبأنا محمد بن أحمد بن عدوان، أنبأنا محمّد بن هارون بن بلال، حدّثني يزيد بن أحمد بن غزوان، حدّثني يزيد بن أحمد قال: سمعت إبراهيم بن أبي حَوشب النصري يذكر أن جدّه كان أحد قَوَمَة المسجد في بنائه. قال: حُدّثتُ أن الوليد بن عبد الملك بعث إليه يوماً عند فراغه من القبّة الكبيرة، فلم يبق منها إلّا عقدُ رأسِها، فقال له: إنّي عزمتُ [على] أن

أعقِدها بالذهب. قال [فقال له]: يا أمير المؤمنين! اختلطت ؟ هذا شيء نقدر عليه ؟ قال: فقال له: يا ماجنُ! تقول لي هذا ؟ فأمر به فشق عنه وضُرب خمسين سوطاً. ثم قال: اذهب، فافعل ما أُمرتَ به. قال: فذُكر لي أنه عمل لَبِنَةً من ذهب فحملها إليه. فلما نظر إليها وعرف ما فيها وما تحتاج القبة إلى مثلها قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له [بخمسين] ديناراً:

وقال ابن البِرامي: أنبأنا محمّد بن العباس بن الدَّرَفْس، أنبأ هشام بن عمّار، أنبأنا أيوب بن سليمان الطائي، عن رجلٍ حدّثه قال:

لما قطع الوليد بن عبد الملك [بالرصاص] لمسجد دمشق لأهل الكور كانت كورة الأردن أكثرهم في ذلك. فطلبوا الرصاص من النواويس العادية فانتهوا إلى قبر حجارةٍ في داخله قبرٌ من رصاص. فأخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الأرض. فوقع رأسه في هُوَّةٍ من الأرض فانقطع عنقه. فسال من فيه دَمٌ، فهالهم ذلك، فسألوا عنه، فكان فيمن سألوا عنه عُبادة بن نُسَيّ الكِندي فقال لهم: هذا القبر قبر طالوتَ الملك.

كذا قرأناه على عبد الكريم. ورأيته بخط عبد العزيز في نسخة أخرىٰ: داود بن سليمان بدل أيوب.

أنبأناه أبو محمّد بن الأكفاني، ثنا عبد العزيز فالله تعالى أعلم.

قرأتُ على أبي محمّد التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر بن البِرامي قال: سمعتُ أبي يقول: سمعت بعض مشايخنا يقول: لمّا فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد قال له بعض ولده: أتعبتَ الناس في طينه كلّ سنّة ويخرب سريعاً. فأمر أن يُسَقَّف بالرصاص. فطُلب الرصاص في كل بلد وصل[(١)] إليه. فبقي عليه موضعٌ لم يجد له رصاصاً. فكتب إلى عُمّاله يحرّضهم في طلبه. فكتب إليه بعضُ عماله: «إنا قد وجدنا عند امرأة منه شيئاً. وقد أبت أن تبيعه إلّا وزناً بوزن» [فكتب إليه الوليد: أن افعل. فلما كلمها العامل، قالت: هو مني هدية للمسجد. فقال: كيف ذلك وقد أبيت أن تبيعيه إلّا وزناً بوزن][(٢)] شحاً منك. أفتهدينه إلى المسجد ؟ فقالت: أنا فعلتُ ذلك، ظننتُ أنّ صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ رحالهم. فلمّا رأيت الوفاء منكم علمتُ أنه لم يظلم فيه أحداً. ثم، ويبتاع وزناً بوزن فكتب إلى الوليد في ذلك فأمر أن يُعمل في صفائحه: لله. ولم يدخل في جملة ما عمله، فهو إلى اليوم مكتوب عليه: لله. طُبع بطابعٍ على السقف.

---

(١) في المطبوعة: فوصل إليه.

(٢) في مختصر ابن منظور: ٢٦٥/١: فكتب إليه بعض عماله، أن قد وجدنا عند امرأة منه شيئاً، وقد أبت أن تبيعه إلّا وزناً بوزن، فكتب إليه: خذه، وإن أبت إلّا وزناً بوزن، فأخذه منها وزناً بوزن، فلما وفّاها قالت له: هو هدية منّي للمسجد.

وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن منصور الفقيه يذكر عن مشايخه معنى هذه الحكاية ويذكر أن المرأة كانت يهودية، وأنه كتب على الرصاص التي أعطتهم: الإسرائيلية. وذكر أنه رأى منه شيئاً قبل الحريق عليه: الإسرائيلية.

قرأتُ على أبي محمّد السلمي، عن أبي محمّد الكتاني، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا ابن البِرامي، أنبأنا محمد بن غزوان، أنبأنا أحمد بن المعلّى، أخبرني أبو تقيّ هشام بن عبد الملك [اليزني]، أنا الوليد بن مسلم قال:

لمّا أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق كان سليمان بن عبد الملك هو المقيم مع الصُنّاع.

أخْبَرَنا أبو محمّد بن الأكفاني وعبد أنبأنا الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز الكتاني، أنبأنا تمام بن محمّد، وعبد الوهاب الميداني قالا: أنبأنا أحمد بن محمّد بن عُمارة، أنبأنا أحمد بن ا لمعلّى ح.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحيم بن عمر، أنبأ ابن المعلّى قال:

وجدتُ في كتابٍ لبعض أهل دمشق: أُقيمت القبّة الرخام التي فيها فوّارةُ الماء في سنة تسع وستّين وثلاث مئة.

وقرأتُ بخط إبراهيم بن محمّد الحنّائي: أُنشِئت الفوّارة المنحدرة وسط جيرون في سنة ست عشرة وأربعمائة، وجرت ليلة الجمعة لسبع ليالٍ خَلَوْن من شهر ربيع الأوّل سنة سبع عشرة بقي وأربعمائة. ممّا[1] أمر بجرّ القصعة من ظاهر قصر[2] حجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس [الحسيني] جزاه الله تعالى على ذلك خيراً.

[وتحته بخط محمد بن أبي نصر الحميدي: «وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربع مائة، من جمال تحاكت بها، فأُنشئت كَرّة أُخرىٰ.

ثم سقطت عمدُها وما عليها في حريق اللبادين، ورواق دار الحجارة، ودار خديجة، في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة].

---

(١) في المختصر: «بما».

(٢) قصر حجاج: محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك ابن مروان (معجم البلدان).

باب
كيفية ما رخم وزوّق
ومعرفة كمية المال الذي عليه أُنفق

أَخْبَرَنا أبو الحسن الخطيب، أنبأنا جدّي أبو عبدالله، أنبأنا [أبو] علي الأهوازي، أنبأنا عبد الوهاب بن الحسن، نا أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبادل، قال: سمعتُ أحمد بن إبراهيم بن هشام قال: سمعتُ أبي يقول: ما في مسجد دمشق من الرخام شيء، إلّا رخامتا المقام، فإنه يُقال إنّهما من عرش سبأ، وأما الباقي فكلّه مرمر.

أَخْبَرَنا أبو محمّد هبة الله بن الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز، أنبأنا تمام ابن محمّد، وأبو محمّد عبد الوهاب بن الميداني قالا: أنبأنا أحمد بن محمّد بن عُمارة، أنبأنا أحمد ابن المعلّى.

قال تمام: وأخبرني أبو إسحاق بن سِنان ـ إجازة ـ نا أحمد بن المعلّى.

قال: وأخبرني سليمان بن عبد الرحمن، أنبأنا الحسن بن يحيى قال: سمعتُ أبا جعفر يقول: هاتان الرخامتان اللتان في جانبي المقام من عرش سبأ.

[المقام هو] المقام الغربي.

قرأتُ على أبي محمّد السلمي عن أبي محمّد الأكفاني، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن الفرَج، أنبأنا أحمد بن عامر، ومحمد بن بشر قالا: أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الحسن بن يحيى الخُشَني، أنبأنا عثمان بن أبي العاتكة قال: ليس في مسجد دمشق من الرخام إلّا اللتان عند المقام هما من عرش بلقيس.

أَخْبَرَنا أبو محمّد الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز، أنبأنا تمام الرازي، وعبد الوهاب بن جعفر الميداني قالا: أنبأنا أحمد بن المعلّى قالا:

أنبأنا تمام، وأنبأنا يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحيم بن عمر المازني، أنبأنا أحمد ابن المعلّى.

قال: وأنبأنا أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم، أنبأنا الوليد، أنبأنا مروان بن جناح، عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم.

وقال أبو تَقيّ هشام بن عبد الملك، أنبأنا الوليد بن مسلم قال:

لما أخذ الوليد بن عبد الملك في بناء مسجد دمشق وظهر من تزويقه وبنائه وعِظَمِ مؤونته [ما] ظهر، تكلّم الناس فقالوا: أيُنفق فينا ويتلف ما في بيوت أموالنا في نقشِ الخشب وتزويق الحيطان ؟ ثم كأنه حرمنا أُعطياتنا واعتلّ علينا بذهاب المال وقِلّته. فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوا من ذلك.

فصعِد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أيُّها الناس! قد بلغني مقالتكم، وانتهى إليّ ما خفتم من حبس أُعطياتكم ودفعكم عن حقوقكم، وليس الأمرُ على ما ظَنَنْتم. ألا وإنّي أمرتُ بإحصاء ما في بيوتكم من المال فأصبتُ فيه عطاءكم ست عشرة سنة مستقبلة من يومي هذا».

زاد ابن الميداني: ثم نزل.

ورواه غيره عن أحمد بن المعلّى، عن إسماعيل بن أبان، حدّثني محمّد بن عائذ قال: لما أخذ الوليد في بناء مسجد دمشق، فذكر الحكاية.

أخْبَرَنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل، أنبأنا جدّي، أنبأنا أبو علي الأهوازي، أنبأنا ابن الخزرج بشير بن نعمان الأنصاري، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن عمر بن صفوان النضري، أنبأنا أبو قُصيّ إسماعيل بن محمّد بن إسحاق العُذْري، أنبأنا الوليد بن مسلم.

عن عمرو بن مفاخر الأنصاري قال: إنّهم حسبوا ما أُنفِقَ على الكرمةِ التي قِبلة مسجد دمشق [فكان] سبعين ألف دينار.

قال أبو قصيّ: أُنفق على مسجد دمشق أربع مئة صندوق، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، في الصندوقين ثمانية وعشرون ألف دينار(١).

كذا قال.

وأخْبَرَنا أبو العشاير محمّد بن الخليل بن فارس العبسي، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلي، أنبأنا الوليد بن مسلم.

عن عمرو بن مهاجر: ـ وكان على بيت مال الوليد بن عبد الملك ـ أنهم حسبوا ما أنفقوا ـ وقال القيسي: ما أُنفق ـ على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق فكان سبعين ألف دينار.

قال أبو قُصَيّ: وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق فكان أربع مائة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. وأتاه حرسيُّه فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل دمشق يتحدّثون أنّ الوليد أنفق الأموال في غير حقّها. فنادى بالصلاة جامعة. وخطب الناس فقال: ألا إنّه بلّغني حرسيّ أنكم تقولون: إنّ الوليد أنفق الأموال في غير حقّها. ألا يا عمرو بن مهاجر، قم فأحضر ما تملك(٢) من الأموال من بيت المال. قال: فأتت البغال تدخلُ بالمال وتصب في القبّة على الأنطاع حتى لم يبصر مَنْ في الشام مَنْ في القبلة، ولا مَنْ في القبلة مَنْ في الشام.

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٦٦ وحسبوا ما أنفقوا على مسجد فكان أربعمئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. وسترد هذه الرواية عن عمرو بن مهاجر.

(٢) المختصر: ما قبلك.

وقال: الموازين، فأتت الموازينُ ـ يعني القبابين ـ فوُزِنت الأموال. وقال لصاحب الديوان: أحضر مَنْ قِبلك ممّن يأخذُ رِزْقنا. فوجدوا ثلاث مئة ألف ألف في جميع الأمصار، وحسبوا ما يُصيبُهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين. ففرح الناس وكبّروا، وحمد الله تعالىٰ، وقال: إلى ما يذهب هذه ـ [زاد القيسي:] الثلاث، وقالا: ـ السنين ـ قد أتى ـ وقال القيسي: قد أتانا ـ الله بمثله ومثله. ألا وإني رأيتكم يا أهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال، فأحببتُ أن يكون مسجدُكم الخامس[١]. فانصرفوا شاكرين.

زاد ابن الأكفاني: داعين.

وقرأت على عبد الكريم، عن عبد العزيز، أنبأنا تمام، أنبأنا أبو بكر البِرامي، أنبأنا محمّد بن أحمد بن هارون، يعني العاملي، أنبأنا خالد بن تبوك:

حدّثني شيخ من أهل العلم: أن عبد الملك اشترى العمودين الأخضرين الكبيرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسِ مئةِ دينار.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو بكر بن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر قال: قال أبو يوسف يعقوب بن سفيان[٢]: وقرأت في صفائح في قبلة مسجد دمشق، صفائح مذهبة بلازورد:

﴿**بسم الله الرّحمن الرحيم. الله لا إله إلّا هو الحيُّ القيّوم. لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ. له ما في السماوات وما في الأرض. من ذا الذي يشفعُ عنده إلّا بإذنه. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ إلى آخر الآية[٣]. لا إله إلّا الله وحده، لا شريكَ له، ولا نعبدُ إلّا إيّاه، ربُّنا الله وحده. ودينُنا الإسلام. ونبيّنا محمّد ﷺ. أمر ببنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي القعدة من سنة ست وثمانين.

في ثلاث صفائح، وفي الرابعة: ﴿**الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين**﴾. إلى آخر السورة. ثم ﴿**النازعات**﴾ إلى آخرها. ثم ﴿**عبس**﴾ إلى آخرها. ثم ﴿**إذا الشمس كوّرت**﴾.

قال أبو يوسف: وقدمتُ بعد ذلك فرأيتُ هذا قد مُحي. وكان هذا قبل المأمون.

أَخْبَرَنا أبو محمّد بن الأكفاني، وعبد الكريم قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، وعبد الوهاب الميداني قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن عُمارة، أنبأنا أحمد بن المعلّىٰ.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرحيم بن عمر، أنبأنا ابن المُعلّى، حدّثني أحمد بن عبد الواحد، أنبأنا أبو مُسهر قال:

---

(١) بعدها في المختصر: فاحمدوا الله.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٣ / ٣٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

عُملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استُخْلِف.

أنشدني بعض أهل الأدب لبعض المحدثين في جامع دمشق عمّره الله:

دمشقُ قد شاع حسنُ جامِعها ... وما حوتْه رُبى ربائِعِها
بديعةُ المُدْنِ في الكمال لما ... يُدْرِكُه الطرفُ من بدائِعها
طيّبةٌ أرضها مباركةٌ ... باليمن والسعدِ أخذُ طالعها
جامعها جامع المحاسن قد ... فاقتْ به المُدن في جوامِعها
بُنْيَةٍ بالإتقان قد وُضِعَتْ ... لا ضَيَّعَ اللهُ سَعيَ واضعها
تُذكر في فضلِه ورفعته ... أخبارُ صِدقٍ راقتْ لسامعها
قد كان قبلَ الحريقِ مدهشةً ... فغيّرتْه نارٌ بلاقِعها
فأذهبتْ بالحريقِ بهجتَه ... فليس يُرجى إيابُ راجِعها
إذا تفكّرتَ في الفصوص وما ... فيها تيقّنت حِذْق راصعها
أشجارُها لا تزالُ مُثمرةً ... لا تذهب الريح في مدافعها
كأنّها من زُمُردٍ غُرست ... في أرضِ تِبرٍ تغشى بفاقعها
فيها ثِمارٌ تخالُها يَنَعتْ ... وليس يُخشى فسادُ يانعها
تُقْطفُ باللّحظِ لا بجارحة الأيـ ... ـدي ولا تُجْنى لبائِعها
وتحتها من رُخامه قِطعٌ ... لا قَطّع اللهُ كفَّ قاطِعها
أحكم ترخيمَها المرخم قد ... بان عليها إحكامُ صانعها
وإن تفكّرتَ في قناطِره ... وسقفِه بان حذقُ رافعها
وإنْ تَبَيَّنْتَ حُسْنَ قُبّتِهِ ... تحيّر اللبُّ في أضالعها
تخترق الريح في مخارِمها ... عصفاً فتقوى على زعازعها
وأرضُه بالرُّخام قد فُرِشت ... ينفسحُ الطرفُ في مواضعها
مجالسُ العلم فيه متقنةٌ ... ينشرحُ الصدرُ في مجامعها
وكلُّ بابٍ عليه مَطْهَرةٌ ... قد أمِن النّاس دفع مانعها
يرتفقُ الخلْقُ من مرافِقِها ... ولا يُصَدّون عن منافعها
ولا تزال المياه جاريةً ... فيها لما شُق من مشارعها
وسوقُها لا تزال آهلةً ... يزدحمُ الناسُ في شوارعها
لما يشاؤون من فواكهها ... وما يُريدون من بضائعها
كأنها جنةٌ معجّلةٌ ... في الأرض لولا سُرى فجائعها
دامت برغم العِدى مسلمةً ... وحاطها الله من قوارِعِها

باب
ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز همّ برقم رده على النصارى حين قاموا في طلبه

أخْبَرَنا أبو محمّد بن الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا أحمد بن محمّد بن عمارة، أنا أحمد بن المُعلّى.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرّحيم بن عمر، أنبأنا ابن المُعلّى، أنا أحمد بن العبّاس، أنا ضمرة، عن علي بن أبي حَمَلة.

أنه لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز قالوا ـ يعني نصارى دمشق ـ: يا أمير المؤمنين قد علمتَ حال كنيستنا. قال: إنها صارت ما ترون. فعوّضهم كنيسة من كنائس دمشق لم تكن في صلحهم يُقال لها كنيسة توما.

قال ابن المعلّى: وبلغني عن الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، وغيره: أنّ النصارى رفعوا إلى عمر ابن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم: لا تُهْدَمُ ولا تُسكن وجاؤوا بكتابهم إليه وكلّمهم عمر ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف دينار. فأبوا. فكتب عمر إلى محمّد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيستهم إلّا أن يرضوا برضاهم. فأعظمه ذلك وأعظم الناس، وفيهم يومئذ بقيةٌ من أهل الفقه. فشاورهم محمّد بن سويد فقالوا: هذا أمر عظيم. ندفع إليهم مسجدنا ـ وقراؤنا فيه [وقد أذنّا فيه] بالصلاة وجمّعنا فيه ـ يُهدمُ فيعاد كنيسة! فقال رجل منهم: هاهنا خصلة: لهم كنائس عظام حول مدينتهم: دير مُرّان وباب توما، والراهب وغيرها إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم، ولا يبقى حول مدينة دمشق كنيسةٌ ولا بالغوطة إلّا هُدِمت، وإن شاؤا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة ونسجل لهم بها سجلاً وتركوا ما يطلبون. فعُرض ذلك عليهم فقالوا: انظِرونا ننظُر في أمرنا. فتركهم ثلاثاً. فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضتَ علينا وتكتب إلى الخليفة تخبره إنّا قد رضينا بذلك، ويسجل الخليفة من قبله سجلاً منشوراً بأمان على [ما بالغوطة من] كنيسة من أن تُهدم أو تسكن. فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فسرّه وسجل لهم في كنائسهم التي خارج مدينة دمشق والغوطة: أنهم آمنون أن تُخرب أو تُسكن. وأشهد لهم شهوداً[1].

أخْبَرَنا أبو المعلّى: قال تمام: وأخبرنا أبو إسحاق ـ إجازة ـ أنبأنا أبو المعلّى.

قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله، أنبأنا عبدالله بن عمر قال: أنبأنا ابن المعلّى. قال: أخبرني صفوان بن صالح ـ أملاه عليّ ـ أنبأنا الوليد بن مسلم، أنا محمّد بن مهاجر قال: سمعت أخي عمرو

---

(١) البداية والنهاية.

ابن مهاجر قال: سمعت عمر بن عبدالعزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالاً أُنفقت في غير حقّها، فأنا مُستدرِكٌ ما استدركتُ منها، [وقال الميداني: أدركت منها -] فرادُّه في بيت المال، أعمدُ إلى ذلك الفسيفساء والرخام فأقلعه وأطيّنُه، وأنزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالاً، وأنزع تلك البطائن فأبيع جميع ذلك وأُدخله بيت المال. فبلغ ذلك أهل دمشق، فاشتدَّ عليهم، فخرج إليه أشرافُهُم فيهم خالدٌ القَسري. فقال لهم: ائذنوا لي حتى أكون أنا المتكلّم. فأذِنوا له، فلما أتوا إلى دير سمعان استأذنوا على عمر. فأذن لهم. فلمّا دخلوا سلّموا عليه، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين! بلغنا أنك هممت في مسجدنا بكذا وكذا. قال: رأيتُ أموالاً أنفقت في غير حقّها، وأنا مستدرك ما أدركتُ فرادّه إلى بيت المال. فقال له: والله ما ذلك لك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: لمن هو؟ لأمّك الكافرة! وغضب عمر ـ وكانت أمّه نصرانية، أم ولد، رومية ـ فقال خالد: إنْ تكُ نصرانيةً فقد ولدت مؤمناً. فاستحيى عمر، وقال: صدقت! فما قولك: ماذاك لي؟ قال: إنّا كنّا معشر أهل الشام، وإخواننا من أهل مصر والعراق، نغزو فيُفرض على الرجل منّا أن يحمل من أرض الروم قفيزاً بالصغير من فسيفساء، وذراعاً في ذراع من رُخام. فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب، ويُستأجر على ما حملوه إلى دمشق. ويحمل أهل حمص إلى حمص، ويستأجر على ما حملوا إلى دمشق. ويحمل أهل دمشق ومن وراءهم حصّتهم إلى دمشق. فذلك قولي: ماذاك لك. فسكت عمر.

ثم جاءه بريد من مصر من واليها يخبره أنَّ قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود إلى أمير المؤمنين. فكتب إليه أن وجّههم إليّ ووجّه معهم عشرة من المسلمين عليهم رجل منهم كلّهم يحسن [الكلام] بالرومية، ولا يعلمونهم بذلك، حتى يحملوا إليّ كلامهم. فساروا حتى نزلوا دمشق، خارج باب البريد. فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم الوالي في دخول المسجد، فأذِن لهم. فمرّوا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبة. فكان أوّل ما استقبلوا المقام. ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة فخرّ رئيسهم مغشياً عليه. فحُمل إلى منزله. فقام ما شاء الله أن يقيم. ثم أفاق فقالوا له بالرومية: ما قصتك؟ عهدنا بك من الرومية وما ننكرُك وصحِبتنا في طريقنا فما أنكرناك. فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد؟ قال: إنّا معشر أهل رومية نتحدّث أنَّ بقاء العرب قليل، فلما رأيتُ ما بنوا علمت أنّ لهم مدّة سيبلغونها، فلذلك أصابني الذي أصابني. فلما قدموا على عمر أخبروه بما سمعوا منه. فقال عمر: ألا أرى مسجد دمشق غيظاً على الكفّار؟ فترك ما كان همَّ به من أمره.

رواه محمد بن عبيدة بن فياض، عن صفوان بن صالح، بإسناده، وقال فيه:

فدخلوا عليه، ومعهم فتى من ولد خالد بن عبدالله القَسْري. وهو وهم.

[وقال أبو زرعة: حدّثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدِّه].

قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز أراد أن يجرّد ما في قبلة [مسجد] دمشق من الذهب، وقال

إنه يُشغل الناس عن الصلاة. فقيل له: يا أمير المؤمنين ؟ إنه أُنفق عليه [مال] المسلمين وأُعطياتهم، وليس يجتمع منه شيء يُنتفع به. فأراد أن يبيّضه بالجص. فقيل له: [تذهبُ النفقات فيه. فأراد أن يستره بالخزف فقيل له]: تضاهي الكعبة. فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم. فاستأذنوا في دخول المسجد فأذِن لهم وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال: لا تعلموهم إنكم تعرفون بالرومية واحفظوا ما يقولون. فلمّا وقفوا تحت القبة، قال رئيسهم: كم للإسلام ؟ قالوا مئة [سنة]. قال: فكيف تَصغِّرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البينان إلّا ملك عظيم. وأتى الرسول عمرَ فأخبره، فقال: أما إذ هو غائظٌ للعدو، فدعه.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم السلمي الفقيه، أنبأنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الزاهد، وأبو محمّد عبدالله بن عبد الرزاق بن فُضَيل قالا: أنا أبو الحسن أحمد بن عوف، أنا هشام ابن عمّار، أنا ابن أبي السائب، وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان قال:

سمعت أبي يذكر أن عمر بن عبد العزيز أراد أن يمحو الذهبَ الذي في المسجد فقيل له: إنه إذا جُرّد لم يكن له ثمن، فتركه.

باب
ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات
ومعرفة ما عمل فيه وفي البلد بأسره من الطلسمات

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام بن محمد، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبد الفرج بن البِرامي، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم بن عثمان، أنبأنا ابن أبي السائب يعني عبد العزيز بن الوليد، قال: سمعت أبا بكر يذكر عن مكحول: أنه كان إذا أطفئت قناديل المسجد ـ يعني مسجد دمشق ـ سَدّ أنفه وقال: يعتري من رائحته المسك.

قال: وأنبأنا ابن البِرامي، أنا إسماعيل بن إبراهيم بن زياد، وأنبأنا ابن المنفق، أنبأنا أبي، عن عبد الرحيم الأنصاري وسمعته يقول: سمعت الأعراب وهم يزورون المسجد يقولون لا صلاة بعد القائلة[١] يعني [الدرة] قلت له أرأيت القُليلة. فقال: نعم كانت تضيء مثل السراج قلت: من أخذها ؟ قال: ما سمعت المثل، منصور سرق القلة وسليمان شرب المرة.

منصور الأمير، وسليمان صاحب الشرطة [سليمان هو الأمير وهو ابن المنصور ومنصور صاحب شرطته] كذا هو في نسخة أخرى بخط عبد العزيز.

وذلك أن الأمير[٢] كان يحب البلّور فكتب إلى صاحب شرطة والي دمشق أن ينفذ إليه القُليلة، فصرفها ليلاً ووّجهَهَا إليه. فلما قتل المأمون الأمين رد القليلة إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين. وكانت هذه القُليلة في محراب الصحابة. فلما ذهبت جعل موضعها برنية[٣] من زجاج رأيتها، ثم انكسرت بعد فلم يجعل في مكانها شيءٌ.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني وعبد الكريم، قالا: أنبأنا عبد العزيز، أنبأنا تمام وعبد الوهاب، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن المُعلّى، نا تمام، وأخبرني يحيى بن عبدالله، أنبأنا عبد الرّحمن بن عمر، أنبأنا ابن المُعلّى قال: كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبُود ـ أحسبه قال: في عهد الوليد ـ فدخلته الريح فهزّته فثار الناس فخرقوا اللبُود.

قرأت على أبي محمد السُّلَمي عن عبد العزيز التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا ابن البِرامي، قال: سمعت أبا مروان عبد الرحيم وهو ابن عمر المازني يقول: لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد، احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد، فخرج من داره حتى وقف بين يديه، فإذا دخله مغارة. فيها تمثال إنسان من حجارة على

---

(١) في المختصر: ١ / ٢٧١ القُليلة.

(٢) في المختصر: ١ / ٢٧١ الأمين.

(٣) البرنية: إناء من خزف (قاموس).

فرس من حجارة، في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب وفي يده الأخرى [١] فأس بها فكسرت فإذا فيها حبّتان: حبة قمح وحبة شعير فسأل عن ذلك فقيل له: لو تركت اللف لم تكسره، لم يسوس في هذه البلدة قمح ولا شعير.

رواه عبد العزيز مرّة أخرى فقال: مقبوضة، وهو الصواب.

أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبدالله المدني، قال: وحدّثني الشيخ أحمد الحافظ الوراق قال: وكان قد عمر مائة سنة قال: سمعت بعض الشيوخ يقول: إنّه لمّا دخل المسلمون دمشق وقت فتحها، فوجدوا على العمود الذي في المقسلّاط على السفود الحديد الذي في أعلاه صنماً ماداً يده بكف منطبقة، فكسروه فإذا في كفه حبة قمح، فسألوا عن ذلك فقيل لهم هذه الحبة القمح جعلها خلفاء اليونانين وفي كف هذه الصنم الشعير[٢] حتى لا يُسوس القمح ولو أقام سنين كثيرة.

وقد رأيت أنا هذا الفسود على عمود قائم بالمقسلاط، وطُرح في سنة أربع وستين وخمسمائة وعمل منه أُسكُفّة[٣] لباشورة الباب الصغير.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني ـ شفاهاً ـ أنبأنا تمام بن أحمد، أنبأنا أبو نصر، أنبأنا أبو سليمان محمد بن عبدالله بن زَبْر الحافظ، حدّثني أبي عبدالله بن أحمد بن زَبْر القاضي، قال: إنّما سمّي باب السّاعات لأنّه عمل هناك بركار الساعات يعلمه بها كل ساعة تمضي من النهار، عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب من نحاس. فإذا تمتّ الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة.

أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا عبد العزيز الكتاني، أنبأنا عبد الوهّاب بن جعفر الميداني، أنبأنا أبو سليمان بن زَبْر حدّثني أبي قال: إنّما سمّي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنّه كان عمل هناك ساعات يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار، عليها صورة عصافير وحيّة وغراب. فإذا تمّت السّاعة خرجت الحيّة فصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست.

سمعت جدّي أبا الفضل يحيى بن علي القاضي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات مُعلّقة في السقف فوق البطائن ممّا يلي السُّبْع وإنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق؛ فلما احترقت الطلسمات وجدت.

وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستّين وأربعمائة.

---

(١) في المختصر: «ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكسرت».

(٢) في المختصر: طلسماً.

(٣) الأسكفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها. (اللسان سكف).

أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسني، عن أبي محمد عبد العزيز التميمي، عن أبي نصر عبد الوهاب عن عبدالله المُزَني قال: سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون: إن العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق أم حكيم الذي يحفره مسجد الطباخين صنم مكسور على القنطرة للحاجات، إذا دخل إنسان فيه لحاجة لم تقض، قال: وكان أبي ينهاني عن الدخول فيه إذا كنت في حاجة.

وفي سقف مسجد الجامع طلاسم عينها[١] الحكماء في السقف ممّا يلي الحائط القبلي فيها[٢]: طلسم للصنونيات لا يدخله ولا يعشش فيه، من جهة الأوساخ التي تكون منها، ولا يدخله غراب، وطلسم للحيّات والفأر والعقارب. وما أبصَرَ الناس فيه من هذا شيئاً إلّا الفأر. ويوشك أن يكون بعير طلسمها وطلسم للعنكبوت لا ينسج في زواياه ويركبه الغبار والوسخ.

---

(١) المختصر: ١ / ٢٧٣ عملها.

(٢) في المختصر: «فمنها».

باب
ما ورد في أمر السُّبْع
وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجَمْع

أنبأنا أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي وأبو الحسن علي بن عُبيدالله بن نصر بن الزاغوني، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد، أنبأنا محمد بن سويد بن يعقوب بن إسحاق الصيدلاني، أنبأنا عمر بن محمد بن سيف، أنبأنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، أنبأنا أبو عامر موسى بن عامر المريّ، أنبأنا الوليد، قال: قال أبو عمرو ـ هو ـ الأوزاعي، عن حسّان بن عطية قال: الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي في قدمته على عبد الملك فحجبه عبد الملك [فجلس] بعد الصبح في مسجد دمشق وعبد الملك في الخضراء، فأخبر أن عبد الملك [يقرأ في الخضراء، فقرأ هشام بن إسماعيل، فجعل عبد الملك] يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولىً له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأ بقراءته.

أخْبَرَنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، أنبأنا نصر بن إبراهيم الزاهد وعبدالله بن عبد الرزاق ابن فضيل قالا: أنبأنا محمد بن عوف، أنبأنا الحسن بن منير، أنبأنا محمد بن خُرَيم.

وقرأتُ على أبي محمد السُّلمي عن عبد العزيز التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو الحسين، أنبأنا محمد بن جعفر بن محمد بن هشام بن ملاس، أنبأنا الحسن بن محمد بن بكار، قالا: أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا أيّوب بن حسان، أنبأنا الأوزاعي، أنبأنا خالد بن دهقان قال: أوّل من أحدث الدراسة بدمشق ـ وقال ابن خُرَيم: في مسجد دمشق ـ هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي، وأوّل من أحدث الدراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرّحمن الجُرَشي. فممّن حفظ لنا اسمه ممّن كان يحضر الدراسة، أو من يوصف بالعلم أو بالرياسة: هشام بن إسماعيل المخزومي الذي تقدّم ذكره وقد ولّاه عبد الملك بن مروان أمر المدينة، ورافع مولاه، وإسماعيل بن عُبيد الله ابن أبي المهاجر وقد ولي أفريقية لهشام بن عبد الملك، وابناه عبد الرّحمن ومروان ابنا إسماعيل.

ومن القضاة: أبو إدريس عايذ الله بن عبدالله الحرّاني ونُمير بن أوس الأشعري، ويزيد بن أبي مالك الهمداني وسالم بن عبدالله المحاربي، ومحمد بن عبدالله بن لبيد الأسدي.

ومن الفقهاء والمحدّثين والحفاظ المقرئين: أبو عبد الرّحمٰن القاسم بن عبد الرّحمن مولى إلى معاوية، وأبو عبدالله مكحول، وأبو أيوب سليمان بن موسى الأشدق، وعبدالله بن العلاء بن زَبْر الرَّبَعي، وأبو إدريس الأصغر عبد الرّحمن بن عوال وعبد الرّحمن بن عامر اليحصبي أخو عبدالله ابن عامر، ويحيى بن الحارث الذِّماري وعبد الملك بن النعمان المُزني، وأنس بن أنيس العُذري، وسليمان بن بزيع القاريء، وسليمان بن داود الخُشَني، ونمران أو هزّان بن حكيم القُرشي، ومحمد

ابن خالد بن أبي ظبيان الأزدي، ويزيد بن عَبيدة بن أبي المهاجر، وعياش بن دينار وغيرهم. وسيأتي ذكر كلّ واحد منهم إن شاء الله تعالى في موضعه بذكر أخباره. وقد روي عن بعضهم أنه [كره] اجتماعهم وأنكره، ولا وجه لإنكاره.

أنبأنا أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر، وأبو الحسن علي بن عُبيدالله بن نصر، قالا: أنبأنا أبو الحسن علي بن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الحضامي، أنبأنا أبو بكر محمد بن سعيد بن يعقوب بن إسحاق الصَّيدلاني، أنا عمر بن محمد بن سيف، أنبأنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، أنبأنا عمر بن عثمان، أنبأنا الوليد، عن عبدالله بن العلاء، قال: سمعت الضحاك بن عبد الرّحمن بن عَرْزَب ينكر هذه الدراسة ويقول: ما رأيت ولا سمعت وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ. قال: وأنبأنا محمد بن وزير، أنبأنا الوليد قال: سألت عنها عبدالله بن العلاء فقال: كنّا نَدْرس في مجلس يحيى بن الحارث في مسجد دمشق، في خلافة يزيد بن عبد الملك، إذ خرج علينا أمير [دمشق][1] الضحاك ابن عبد الرّحمن بن عَرْزَب الأشعري من الخضراء فأقبل علينا منكراً لما نصنع، فقال: ما هذا أو ما أنتم؟ فقلنا: ندرس كتاب الله. فقال: أتدرسون كتاب الله تبارك وتعالى؟ إن هذا شيء ما سمعته ولا رأيته ولا سمعت أنه كان قبلُ، ثم دخل الخضراء. وكان الضحاك بن عبد الرّحمن أميراً على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله[2].

---

(١) في المختصر: أميرنا الضحاك.

(٢) يراجع البداية والنهاية: ٩ / ١٨١.

باب
ذكر معرفة مساجد البَلد وحَصْرهَا
بذكر التعريف لها والعَدَد

قُرِىء على أبي محمّد بن الأكفاني وأنا أسمع عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا عبد الوهاب بن جعفر الميداني، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد عُمارة بن أبي الخطاب الليثي الدمشقي، أنبأنا أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني، أنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا هشام بن خالد، أنبأنا الوليد، أنبأنا ابن جابر، عن عبدالله بن عامر، عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر المدائن أهلاً وأكثره أبدالاً وأكثره مساجداً وأكثره زهّاداً وأكثره مالاً ورجالاً، وأقلّه كفاراً وهي معقل لأهلها**» [٤٧٧](١).

أخْبَرَناه أبو الفضائل ناصر بن محمود علي القُرشي، نبأنا علي بن أحمد بن زهير ـ لفظاً ـ أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، نبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر الإمام، نبأنا أبو الحسن محمد بن عبدالله، نبأنا محمد بن أحمد بن أبي الخطاب، نبأنا أبي، نبأنا محمد بن إبراهيم، نبأنا هشام بن خالد الأزرق، نبأنا الوليد بن مُسلم، نبأنا ابن جابر، عن ابن عامر، عن واثلة بن الأسقع، [قال:] قال رسول الله ﷺ: «**ستكون دمشق أكثر المدن أبدالاً، وأكثرها زهاداً، وأكثرها مساجد، هي لأهلها معقل، وأكثر المدن أهلاً وأكثرها مالاً ورِجالاً**» [٤٧٨].

قال: أنبأنا علي بن محمد بن شجاع قال: ونبأنا تمام بن محمد، نبأنا ابن يعقوب إسحاق بن إبراهيم، نبأنا محمد، أنبأنا هشام بن خالد، نبأنا الوليد، نبأنا ابن جابر، عن ابن عمّار، عن واثلة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر المدن أهلاً وهي لأهلها معقل، وأكثرها أبدالاً، وأكثرها مساجدَ وأكثرها زُهّاداً، وأكثرها مالاً، وأكثرها رجالاً وأقلّها كفّاراً**» [٤٧٩].

محمد هو ابن أحمد بن إبراهيم كذا قال، والصواب حديث أحمد بن محمد وهو ابن عُمارة بن أحمد بن أبي الخطاب، نبأنا أبي، نبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم.

أخْبَرَنا ابن سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنبأنا إبراهيم بن منصور السُّلمي، أنبأنا أبو بكر ابن المقريء، أنبأنا أبو يَعلى الموصلي، أنبأنا أحمد بن عيسى المصري، أنبأنا عبدالله بن وهب، أخبرني عمرو أبو بُكير حدّثه أن عاصم بن عمر بن قَتادة حدّثه أنه سمع عُبيد الله الخولاني يذكر: أنه سمع عثمان بن عفان حين بني مسجد رسول الله ﷺ يقول: إنكم قد أكثرتم. إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى مسجداً**» ـ قال بُكير: حسبت أنه قال: **يبتغي به وجه الله ـ تبارك**

---

(١) الحاوي للفتاوي: ٢ / ٤٢٧ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٥١.

وتعالى بنى الله تعالى له مثله في الجنّة» [٤٨٠] خرّجه مسلم عن أحمد بن عيسى.

وأخْبَرَنا أبو إسماعيل بن سعدويه، أنبأنا أبو الفضل عبد الرّحمن بن أحمد بن الحسن الرازي، أنبأنا أبو القاسم جعفر بن عبدالله بن يعقوب، نبأنا أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني، نبأنا العباس بن محمد، نبأنا أحمد بن عبدالله بن يونس، نبأنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن إبراهيم التميمي، عن أبيه، عن أبي ذَرّ عن النبي ﷺ قال: **«من بنى لله تعالى مسجداً، ولو مثل مَفْحَص**(١) **قطاةٍ بُني له بيتاً في الجنة»** [٤٨١](٢) أو قال: «بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة».

قال أحمد بن عبدالله بن يونس: قيل لأبي بكر بن عياش: إن هذا لم يرفعه غيرك. قال: سمعته من الأعمش وهو شاب.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الخلّال، أنبأنا إبراهيم بن منصور السُّلمي، أنبأنا أبو بكر بن المقريء، نبأنا أبو يَعلَى الموصِلي، أنبأنا بشر هو ابن الوليد، نبأنا سُليمان هو ابن داود اليماني، نبأنا يحيى بن كثير عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من بنى بيتاً ليُعبَد اللهُ فيه، من حَلالٍ، بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة من دُرٍّ وياقوت»** [٤٨٢](٣).

أخْبَرَنا أبو سعد منصور بن عبد علي بن عبد الرّحمن الحَجَري البوشنجي ـ بها ـ أنبأنا أبو منصور أسعد بن عبد المجيد البوشنجي، أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن منصور العالي الخطيب، نبأنا أبو عبدالله محمد بن الحسن البُندجاني وأبو القاسم منصور بن العبّاس الفقيه قال: نبأنا أبو سليمان داود بن إبراهيم بن أيوب بن سليمان البوشنجي، نبأنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقريء، نبأنا مروان بن معاوية الفَزَاري، نبأنا كثير المؤذن، حدّثني عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من بنى مسجداً ولو قدر مَفْحَصَ قطاة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنّة»**(٤) قال: قلت: يا رسول الله: وتلك المساجد التي في طريق مكة قال: **«وتلك»** [٤٨٣].

وهذا الحض على المساجد وبنيانها يدل على خطر عُلاها وعِظَم ثنائها(٥) فأوّلها من قِبلة الشرق وأنت داخل من باب الجابية:

مسجد مُعلق يعرف بمسجد الشقَطيين. له سُلّم حجارة، وقد جعل له سُلّم خشب آخر من شآمه. له إمام، ومؤذن، ووقف ومسجد كبير.

---

(١) مفحص كمفعل من الفحص، كالأفحوص وجمعه مفاحص، وهو حيث تفرخ القطاة فيه من الأرض (اللسان).

(٢) المطالب العالية ح ٣٥٠ والضعفاء للعقيلي: ١ / ٢١٠.

(٣) المطالب العالية ح ٣٥٥ والدر المنثور: ٣ / ٣١٧.

(٤) مسند أحمد، مسند بني هاشم، ح٢١٥٨ ومجمع الزوائد: ١ / ١٩٣.

(٥) في المختصر: ١ / ٢٧٥: «خطر محلها وعظم شأنها».

مسجد في درب المدنيين. سَفل، فيه شجرة زيتون، له إمام، ومؤذن، وله خزانة [و] وقف لطيف.

مسجد سفل عند رأس درب عرقل وسُوقة الحجّامين يعرف بمسجد الضمرحتي وكان يُعرف قديماً بمسجد الشجرة، له إمام ومُؤذن ووقف وعلى بابه سقاية.

مسجد ابن طغان بالفسقان حذاء درب القطاعين يُصعد إليه بدرَجة، له إمام ومؤذن ووقف وعند قبلته طاقات.

مسجد في درب القطاعين. سفل، عن يسار الداخل مُستجد، بناه أبو سعيد العجمي الكبخي. له إمام ومؤذن وعنده قناة.

مسجد آخر بناه ابن البيطار في غربي الشارع.

مسجد بناه الحسن بن الأمير يوسف. سفل له وقف في القطاعين أيضاً.

مسجد سفل عند دار محمد بن النقار الكاتب.

مسجد قديم سَفل فيها أيضاً، عند زقاق عطّاف. هو مسجد أيمن بن خُرَيم بن فاتك الأسدي الصحابي.

مسجد آخر سفل لطيف فيها أيضاً.

مسجد عند دار ابن الخياط الكاتب، معلق له إمام ومؤذن ووقف. فيها أيضاً.

ثلاثة مساجد عند دار سندقرَا: واحد سَفل، ومسجدان معلقان لأحدهما إمام ومؤذن.

مسجد في سوق الفسقار كبير يعرف بابن حُميد، له إمام ومؤذن.

مسجد بين لبيد بالفسقار أيضاً كبير، له إمام ومؤذن وفيه منارة،وعلى بابه سقاية الشيخ، وقناية الشيخ.

مسجد عند طاحونة السجن، لطيف.

مسجد في سوق الفسقار يعرف بابن حفاظ، له إمام ووَقف.

مسجد الفرجة عند القطانين ورأس القلانسيين يعرف بسقاية الشيخ.

مسجد مقابل دار الوكالة كبير يُعرف بمسجد الديوان. له إمام ووقف ومؤذن.

مسجد في سوق [القلانسيين] المعلق على باب الخواصين له إمام ومؤذن ووقف.

ومسجد القلانسيين في طريق سوق السراجيين الذي جعل سوقاً للبر له إمام ووقف [ومؤذن].

مسجد الطريقيين في سوق السراجين هذا له إمام ومؤذن.

مسجد ملاصقه، بابه إلى سوق عَلي.

مسجد كان زيادة يُعلم فيها الصبيا فجعلت مسجداً.

مسجد في درب السوسي له إمام وَوَقف.

مسجد في دار ابن محذور قديم. هو مسجد مروان بن الحكم بن أبي العاص له إمام ووقف.

مسجد لطيف عند قناة الزلاقة. له إمام ووقف.

مسجد عن دار ابن ريش قبلة الزلاقة له إمام ووقف، ويقال: إنه مسجد واثلة بن الأسقع.

مسجد الجلادين وهو الذي يعرف اليوم بمسجد الرمّاحين. كبير له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد بالمقسلّاط كان يُعرف بمسجد الطريقين له منارة محدثة، وله إمام ومؤذن، وعنده سقاية وقناة.

مسجد عند مشبك الحديد، يعرف بابن القُصَيْعة الفامي، له إمام.

مسجد واثلة على رأس درب الزّلاقة. يجلس عند الجنائزيّون. كبير. له إمام ووقف ومؤذن، وعلى بابه قناة، وله منارة محدثة.

مسجد في سويقة باب الصغير. لطيف، يعرف بابن أبي العود، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد في درب العبسي، عن يسار الخارج إلى باب الصغير. لطيف.

مسجد الرطّابين في طرف المقسلّاط، خلف سوق الصَّرْف. له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد بقرب حمّام أبي نصر في الطريق.

[مسجد] بناه معالي المدني. له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد في طرف الحبالين عند رأس درب الريحان من السوق الكبير. سفل، يعرف بمسجد الريحان. وهو مسجد فَضَالة بن عبيد الأنصاري الصحابي قاضي دمشق. عند بابه قناة.

مسجد معلّق يعرف الآن بمسجد الجلّادين. فيه منارة [وله إمام] ومؤذن ووقف.

مسجد لطيف عند رأس درب البزوريين وسوق الأكافين. له وقف وعنده قناة.

مسجد في [طرف] درب البزوريين القبلي. لطيف بشباك.

مسجد في درب دينار عند رأس درب القرشيين.

مسجد بناه أبو بكر العميد.

مسجد في درب القرشيين، قبلي القناة. لطيف بشباك، بناه الأمير سليمان الجندي.

مسجد آخر بقربه، لطيف، له إمام ووقف وهو قديم.

مسجد في [رأس] درب القرشيين الذي ينفذ إلى درب النخلة. معلق، بناه أبو غالب بن الكوفي البزار.

مسجد في السوق الكبير عند رأس درب الريحان. لطيف بشباك.

مسجد في قبة الحنفي يُعرف بمسجد الكفّ. له بابان، وله مؤذن وإمام ووقف.

مسجد في درب فندق البيعي. له إمام ووقف، وعند طاقات.

مسجد في زقاق الشعر قبل أن تصل إلى درب الناقديين.

مسجد عنده عمود مخلق في زقاق النهر، بين درب القرشيين ودرب الناقديين. له إمام، ووقف.

مسجد في درب الناقديين، قديم.

مسجد آخر في هذا الدرب. عند طاقات، ويعرف بابن المقانعية.

مسجد في السوق الكبير. يعرف بمسجد الزينبي، ويعرف قديماً بمسجد قاسم. كبير، له إمام ومؤذن.

مسجد في رأس درب البقل. يُعرف بابن عنقود، له إمام ووقف.

مسجد لطيف بشبّاك يعرف بابن النتاش، له [إمام و] وقف.

مسجد لطيف بشباك في أوّل حارة الخاطب، عند دار ابن أبي الخوف.

مسجد في رحبة الخاطب. بناه بركات الزرّاد. سفل لطيف، له منارة خشب، وله إمام ومؤذن ووقف.

مسجد الطبّاخين عند قنطرة [أم] حكيم برأس سوق العلبيين. كبير، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد عند رأس درب الجبن ملاصق للحمام. وعلى بابه قناة، قديم كبير، جدّده الرئيس أبو الذؤاد المفرج بن الصوفي.

مسجد عند رأس دار الشريف الجعفري. ويعرف اليوم بدار خطلخ البالسي، سفل لطيف، بناه أكشوك بن خطلخ البالسي.

مسجد داخل درب الجبن عند درب الديلم. له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد الحدادين. له إمام ومؤذن ووقف.

وقبلته مسجد عند رأس درب العدس، بينهما الطريق، كبير، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد معلّق يُعرف بمسجد سوق اللؤلؤ. كبير، له إمام ومؤذن ووقف، وعنده سقاية. واحترق منذ أعوام، وقد شرع في تجديده، والله سبحانه وتعالى يُسهِّل في إتمامه، فهو من المساجد القديمة المشهورة. وقد تمّ والحمد لله ربّ العالمين.

مسجد داخل درب العدس. سفل. لطيف.

[مسجد] لطيف في رأس سوق الطير. سفل بشباك.

مسجد قبليّة عند رأس درب الحبالين، يعرف بمسجد سوق الطير. له إمام ووقف ومؤذن.

مسجد في درب سوق الحبالين. معلق، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد داخل درب الحبالين، قبلي النهر، عند دار ابن مقلد الشوّا. سفل لطيف.

مسجد في درب الدَّرَفْس عند بستان القط. سفل قديم جدده أبو الفهم عبد الرحمن بن أبي العجائز.

مسجد عند رأس درب بني نصر. سفل لطيف بشباك.

مسجد الأبريين. معلّق كبير. له وقف ومؤذن وإمام.

مسجد عند رأس [درب] التميمي، في سوق دار البطيخ لطيف بشباك، له وقف وإمام.

مسجد دار البطيخ المعلّق. كبير، له وقف وإمام ومنارة ومؤذن، وله بابان عند أحدهما قناة.

مسجد يُعرف بمسجد الإجابة في سوق دار البطيخ. يُنزل إليه بدرج، قديم، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد في درب الفرّاش. مستجد بناه أبو يعلى النصراني عامل القسمة [عنده قناة].

مسجد داخل منه. كبير سفل، له منارة خشب، يُعرف ببني علان له إمام ووقف.

مسجد الخشابين بين فنادق الخشب، حضرة سوق البقل ومشبك الزجاج. كبير، له إمام ومؤذن.

مسجد في الزقاقين يعرف بمسجد السكاكين. قديم، كبير، له وقف وإمام ومؤذن.

مسجد معلّق عند حمام اللؤلؤ المعروف قديماً بحمام البريديين. يعرف بمسجد الرأس. كبير، له وقف ومؤذن.

مسجد الكوشك الذي فوق الأعمدة. كانت داراً فبناه الملك العادل نور الدين رحمه الله تعالى مسجداً، وبنى له منارة، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد في درب شداد قبلة الكوشك. كان قديماً لطيفاً، فزاد فيه أبو غالب بن الشريجي ووسعه.

مسجد السلّالين، عند رأس درب التبّان. سفل قديم كبير، له إمام ووقف وفيه بئر.

مسجد في درب التبّان. سفل لطيف، كان خراباً فجدّده خالد أبو المكارم، [رحمة الله تعالى عليه] ثم غُيّر بعده وبُني بحائط.

مسجد داخل منه. لطيف معلّق يعرف بيوسف، بلغني أنه تُغلب عليه وخرب.

مسجد ملاصق لكنيسة اليهود، على النهر. سفل لطيف.

مسجد معلّق فوقه. فيه منارة، بناه نور الدين رحمة الله تعالى عليه.

مسجد عند باب المدبغة، سفل لطيف بناه الشريف أبو الحسن بن الجعفري، له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد صدقة الملاصق لكنيسة مريم. معلّق له منارة، وفيه إمام ومؤذن ووقف، ويُقال: إن صدقة كان شوّا نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه وبنى هذا المسجد.

مسجد آخر تحته. سفل معطّل لا يفتح.

مسجد في آخر درب كنيسة مريم، عند معصرة الشيرج. قديم له وقف وإمام.

مسجد الثلاج في سوق كنيسة مرين. كبير، له وقف وإمام ومؤذن، وفيه منارة خشب مستجدة.

مسجد في درب الفراتي ويُعرف اليوم بدرب الشيخ. سفل لطيف شباك.

مسجد بقربه، من الجانب الشرقي، قديم.

مسجد عند دار محمد بن القلانسي في درب شحنون. سفل لطيف، له إمام ووقف.

مسجد في السوق الذي بين سوق كنيسة مريم وسوق درب الحجر. يُعرف بمسجد عقيل، كبير، له وقف وإمام ومؤذن.

مسجد قبليه عند موقف الشيخ. [قديم] يُقال: إن النذر فيه فضيلة.

مسجد في درب البلاغة. لطيف سفل، قديم جدّده ابن الفُسَيْتقة.

مسجد كبير في هذا الدرب. كان قديماً كنيسة لليهود ثم جُعل مسجداً ويُعرف اليوم بمسجد ابن الشهرزوري لأنه كان يعقد فيه مسجد الوعظ.

مسجد كليلة في درب كليلة [في] حارة اليهود، قبلي درب البلاغة. والدرب يُعرف قديماً بكليل الفامي، فقيل درب كليلة.

وقول العامة: إن التي بنته امرأة يهودية اسمها كليلة، يصح.

مسجد درب الحجر. كبير سفل قديم، له منارة ووقف وإمام ومؤذن، له بابان وعلى أحدهما سقاية، وعلى الآخر قناة.

مسجد العميد بن الجسطار. كبير، له إمام ومؤذن، وعلى بابه سقاية وقناة.

مسجد في درب كيبان، المعروف اليوم بدرب الفواخير، مقابل الفرن. لطيف له وقف وإمام.

مسجد آخر قبلته، لطيف.

مسجد آخر معلّق كبير. له وقف وإمام ومؤذن.

مسجد ملاصق لباب كيبان. له منارة وإمام ومؤذن [ووقف].

مسجد يُعرف بابن الأعمى الفاخوري بقرب درب نمير. لطيف.

مسجد في سويقة الباب الشرقي، يعرف بمسجد موسى الكردي. قديم، جدّده موسى، وعنده قناة.

مسجد لطيف خفي في دهليز دار نمير الذي يدخل إليه من درب ربيع.

مسجد آخر في صدر درب غير لطيف، سفل.

مسجد آخر في سويقة الباب الشرقي. قديم، جدّده أبو الفوارس الصوفي، له [إمام ووقف].

مسجد آخر شرقيهُ يعرف بالوزير في السويقة، وبقربه سقاية مجدّدة.

مسجد في أوّل درب الأندر سفل صغير بناه ناصر السائق.

مسجد داخل منه يُعرف بابن باقي سفل لطيف له وقف وإمام.

مسجد داخل الباب الشرقي كبير يُعرف بمسجد الفتوح له وقف وإمام ومؤذن.

هذه المساجد الذي قبلي السوق الأوسط.

فأمّا مساجد الناحية الشامية عن يمنة الداخل من الباب الشرقي فمن ذلك:

مسجد في درب خَلّاد له إمام ووقف.

مسجد يُعرف بمسجد الحَردانة بقرب الكنيسة المصلبة قديم له وقف.
مسجد في درب كشكشة سفل لطيف. له وقف وإمام جدّده أبو عبدالله بن ناجية.
مسجد آخر فيه لطيف سَفل.
مسجد النيبطن سفل كبير له منارة وإمام ومؤذن ووقف وعلى بابه سقاية وقناة. وكان عنده مسجد صَيْفي يُصْعَد إليه بدَرجة فَعطل.
مسجد في درب الداراني له وقف.
مسجد في درب بن صامت. خراب.
مسجد عند معْصرة الزيت بقرب دار ابن المهار النصراني.
مسجد يعرف بابن العرو له إمام [ومؤذن] ووقف.
[مسجد] في خربة التواب سفل لطيف.
مسجد آخر فيها يُعرف بابن عطّاف. سفل لطيف بشباك عند رأس درب الحجر.
مسجد في وسط دَرْب الحجر.
مسجد كان قريباً فجعله أبو المواهب بن الشراني مسجداً. له إمام ومؤذن وفيه منارة خشب.
مسجد عند رأس المربعة طرف درب الحجر. له إمام ومؤذن ووقف.
مسجد في أوّل قنطرة سنان كبير له إمام ومؤذن.
مسجد آخر معلق في طرف قنطرة سنان من الشرقي.
مسجد عند رأس درب المظلمة من رحبة خالد يعرف بمسجد المظلمة لطيف له وقف.
مسجد عند قنطرة بن مدلج ويعرف بمسجد القُطَيط. له إمام ومؤذن وعلى بابه قناة تعرف المحندرة.
مسجد الزينبي في سويقة باب توما. له إمام ومؤذن، وعلى بابه قناة قديمة وسقاية مستجدة.
مسجد عند باب توما يعرف بصعلوك النجار عند بابه قناة.
مسجد مُعلّق عن يسار الداخل من باب توما عند المَعْصرة يُعرف بمسجد البرزي ملاصق للسُّور مُعطل.
مسجد عند دار عَضب الدولة بن لطيف في درب حمام العَلوي.
مسجد في مربعة القزّ سفل كبير بناه الشريف الزيدي له وقف وإمام.
مسجد بحذاء دار الأمير نوح التي تعرف بدار بن عفصد النصراني كان متبناً فجعله نوح مسجداً.
مسجد في زقاق الحيش طباقه مسجد علوّ لها منارة تعرف بمسجد عبدة القزّاز، مسجد في رحبة خالد قديم سفل على بابه قناة.
مسجد قبلة كنيسة اليعقوبيين سفل لطيف له منارة.

مسجد آخر شامي الكنيسة. كبير له إمام ومؤذن ووقف. وعنده قناة وسقاية.

مسجد عند رأس درب طلحة من سويقة باب توما. يعرف بمسجد بن عُمير سفل كبير له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد شرقيه في السُّويقة، لطيف. في سقيفة بن عُمير بشباك يعرف بالفراش.

مسجد عند دار الشريفة التي تعرف اليوم بابن بزوي خان على بابه قناة.

مسجد عند الشلاحة في درب السوسي له منارة مستجدة وله إمام ووقف.

[مسجد في رأس سوق الغزل عند قناة درب العلق، يعرف بابن البياعة، له إمام ووقف].

مسجد آخر في سوق الغزل فيه شجرة توت وعنده سقاية. جدّده نور الدين رحمة الله تعالى عليه يُعرف بأصحاب الشافعي فتغلب عليه وجرت فيه منازعة.

مسجد مربعة القطن ويُعرف بمسجد الشريف قديم جدّده الشريف. خير الهاشِمي المحتسب.

مسجد بن أبي الحديد المعلق فوق القناة. كبير. قديم له منارة ومؤذن وإمام ووقف، وعند درجته مسجد سفل مهجور.

مسجد بن عوف في سوق القناديل عند حمام حديد. سفل لطيف، له وقف وإمام.

مسجد بشباك وفوقه مسجد مُعلق له منارة وإمام ومؤذن يعرف بمسجد فيروز ومنارة فيروز.

مسجدٌ عند قناة بن المثالي كبير سفل لطيف له إمام ومؤذن ووقف كان كنيسة للنصارى فجعل مسجداً.

مسجدٌ عند قناة صالح بقرب درب كراز بن الفوريق مُعلّق لطيف، وتحته قناة صالح.

مسجد في درب حُميد بن دُرّة عند الزقاقين لطيف. قديم. له وقف.

وفوقه مسجد بناه ابن الصقيل وخرب.

مسجد عند رأس درب الشاشة كان كنيسة للنصارى ثم خربت، فجُعل بعد ذلك مسجداً، له منارة خشب وإمام ومؤذن ووقف.

مسجد عند رأس دَرْب كراب يعرف بابن اكمجري له إمام ووقف.

مسجد في الفوريق الذي يُعرف اليوم بالخبيق كبير كان كنيسة للنصارى فجُعل مسجداً. وجدّده يوسف الخادم على يدي أبي اليمن المغربي متولي الشام الشرطة فعرف به. على بابه سقاية مستجدة بناها الأمير نور الدين رحمة الله تعالى عليه.

مسجد داخل الجنيق بقرب الشلّاحة في دَرْب شابور كان قديماً فخرب فجدّده أبو طالب بن محسن النامي.

مسجد في الخبيق أيضاً يعرف بمسجد الخبيق له إمام ووقف ومؤذن.

مسجد في شآمي سوق الكبير بناه القاضي أبو الحاج له وقف وإمام وعنده قناة.

مسجد في الديماس عند عمود مخلوق لطيف.

مسجد في زقاق صفوان لطيف.

مسجد عند حمام أبي الطيّب بناه ابن فيروز.

مسجد الأوزاعي مقابل دار ابن البري. قديم. جددته ابنة الريس أبي الذؤاد المفرج بن الصوفي وبنت فيه منارة له إمام ووقف.

مسجد ابن حماز في درب عجلان خلف قيسارية الفرش قديماً. له إمام ووقف ومؤذن.

مسجد سوق الأحد يعرف بمسجد العباسي قبلة المطرزيين قديم له بابان على أحدهما سقاية وقناة. وعلى الآخر قناة أخرى. عندها مسجد لطيف بشباك.

مسجد في الجينق يعرف بخواجة يعقوب له وقف وإمام.

مسجد عند دار ابن الشحارة جُدّد على الشنباشي له وقف وإمام.

مسجد في طرف سوق اللؤلؤ في درب بن شفور. بشباك.

مسجد في سوق أم حكيم. لطيف بشباك. له قناة.

مسجد رحبة البَصل. كبير له بَابان. وعنده سقاية وقناة.

مسجد في دار الوزير المزدقاني. مُعلّق. أنشأه الوزير أبو علي المزدقاني.

مسجد في رأس عُقْبَة الصوف. مُعلق، له منارة مُستجدة أنشأها الوزير المزدقاني له بابان.

مسجد في عُقبة الصوف في دار ابن الأعيرج. سفل لطيف.

مسجد السراجين المعلّق عند رأس الأساكفة العتق الملاصق بحصن جيرون. له إمام ومؤذن.

مسجد سوق الصفّارين. له بابان: إلى الصفّارين وإلى الأساكفة. وله إمام ووقف.

مسجد عند حمام من كلي سفل.

مسجد في دار الماء خلف الحصن سفل مستجد.

مسجد مقابل باب السلامة سفل له إمام ووقف.

مسجد في باب العلي سفل لطيف بشباك قديم يقال له مسجد أوْس بن أوس الثقفي الصّحابي.

مسجد في جيرون بين الناس. سفل. لطيف بشباك يقال إن فيه ذبح يحيى بن زكريا عليهما السلام، ويقال: إن الدعاء فيه مُستجاب.

مسجدٌ فوقه مُعلق له إمام ووقف.

مسجد في سقيفة القطعي داخل جيرون بشباك عنده قناة بقرب المدرسة.

مسجد بالمدرسة المعروفة بدار طرخان وهي كانت قديمة للشريف أبي عبدالله بن أبي الحسن فوقفها سنقر المَوصلي وجعلها مدرسة لأصحاب أبي حنيفة.

مسجد في طرف درب خفيف سفل بناه الفقيه أبو البركات بن عبد [في داره].

مسجد آخر في درب خفيف سفل لطيف.

مسجد آخر في درب خفيف. لطيف بشباك. مقابل دار أبي الفهم بن الشيرحي.

مسجد عند باب المسجد الجامع يعرف بمشهد الرأس. فيه قناة. يقال إن رأس الحسين بن علي عليهما السلام وضع فيه حين أوتي به إلى دمشق له إمام ووقف.

مسجد على الدرج يُعرف بمسجد عمر رضي الله تعالى عنه بناه رجل من العجم لرؤيا رئيت له، له إمام.

مسجد في درب كشك عند الاطباقين وكان الدرب قديماً يعرف بقراقروت الحجري سفل صغير بشباك.

مسجد آخر داخل هذا الدرب كان قد نقلت إليه وجعل مبيتاً فرده أنر بن عبدالله مسجداً وهو قديم.

مسجد في مدرسة الحنابلة عند قناة جيرون، مسجد باب الفراديس داخل الباب ملاصق السور. له منارة وفيه قناة.

مسجد في درب قليد عند سوق الكبير بناه العابد دلال سفل لطيف.

مسجد ابن عبدان في درب الريحان له سفل له وقف وإمام، مسجد آخر في درب الريحان لطيف سفل بشباك له وقف وإمام.

مسجد آخر في درب الريحان لطيف سفل بشباك يقال إن أحدهما مسجد يزيد بن نُبيشة القرشي الصحابي.

مسجد لطيف. سفل بشباك عند باب درب بن مترود عند حمّام سويد.

مسجد في سوق القمح مقابل قيسارية الوزير. سفل كبير. له إمام.

مسجد آخر في سوق القمح عند باب الحمام الجديد النوري لطيف سفل له إمام وعلى بابه قناة وكان فيه كأس يجري فيه الماء فعطل.

مسجد عند زقاق الدرّ، في الطريق النافذ إلى قيسارية السلطان. سفل مستجد بناه ابن العكبري. له إمام ومؤذن ووقف.

مسجد في دار بن بشر الذي يُعرف اليوم بدرب الغيبان.

مسجد في المدرسة الأمينية التي مقابل دار الخيل بناه كمشتكين بن عبدالله المعروف بأمين الدولة.

مسجد في المدرسة النورية التي في القبابين بقرب الخواصين.

مسجد مُستجد في درب بُعز صغير بشباك.

مسجد في مدرسة ابن مير الكردي التي كانت دار الشريف القاضي بن أبي الجن.

مسجد عند القباب عند القنطرة يُعرف بمسجد عائشة سفل لطيف له إمام ولم تدخل عائشة رضي الله تعالى عنها الشام قط.

مسجد في المدرسة الصّادرية التي تعرف على باب الجامع ممّا يلي باب البريد بناها الأمير صادر.

مسجد بحضرة حمام العقيقي كبير سفل على بابه سقاية وقناة له إمام.

مسجد بالأقريس سفل لطيف له إمام.

مسجد في درب الكتان سفل صغير بشباك.

مسجد آخر في درب دار الكتان يعرف بابن القابتي سفل صغير.

مسجد في المدرسة التي أوقفها الأمير أكز في محلة الكنيسة.

مسجد معلق قبل هذه المدرسة أنشأه الشريف أبو الدولة أبو القاسم بن أبي الجن.

مسجد صغير جدّاً بشباك في رأس حارة البلاطة.

مسجد معلق مستجد بناه مشرف العرضي في حارة البلاطة له إمام ومؤذن.

مسجد في حجر الذهب أسفل عند دار ابن يغمور على بابه قناة. يقال له إمام وعنده شجرة توت.

مسجد في رأس درب الأنصار على طريق باب البريد. سفل لطيف عنده قناة.

مسجد عند قصر الثقفيين عند المدرسة سفل.

مسجد في المدرسة المعينية في قصر الثقفيين.

مسجد عند حمام القصير لطيف كان سفلاً فجعل علواً له إمام وعلى بابه قناة.

مسجد في المدرسة النورية التي داخل باب الفرج الآن ملاصقة لزقاق العسل والسور عند حمام القصير.

مسجد صغير داخل باب الفرج لم يحوط عليه بحائط، [خرب].

مسجد في درب الهاشمي من حجر الذهب عند دار الأمير حكك له إمام ووقف.

ومسجد فوق عين التفليسي من حجر الذهبي له إمام ووقف.

مسجد في المدرسة النورية التي أوقفها على المالكية من حجر الذهب.

مسجد سفل لطيف عند باب دار الشريف السيد من حجر الذهب بناه الأمير أكز.

مسجد شآم هذه الدار سفل له إمام بناه سُنقر الموصلي.

مسجد في درب الشغارين سفل لطيف.

مسجد بباب الجابية يعرف بمسجد بن عطية رأس دروب الأسديين سفل كبير له منارة ووقف وإمام.

مسجد لطيف في حارة الغرباء.

مسجد عند باب اصطبل العمارة سفل لطيف خلف باب الحمار المسدّد.

مسجد في دار محله عند النهر سفل لطيف له وقف وإمام أنشأه محمد النائب.

وفي القلعة المحروسة المسجد الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين أدام الله تعالى سلطانه. فيه منارة وبركة، وعلى بابه سفله وله إمام ومؤذن ووقف.

مسجد عند الدركاة لطيف سفل.

مسجد في الدركاة لطيف سفل أنشأه نور الدين.

مسجد آخر قبلي القلعة فيه عَريش وله إمام واحد.

مسجد داخل باب القلعة معلق تحته سقاية.

فهذه مساجد البلد المحصاة بالتعريف والعدد ومبلغها اثنان وأربعون مسجداً.

فأما ما عداها من المساجد التي في أرباضه فظاهرة؛ ممّا ليس في قرية مسكونة أو معمورة من ظواهره فالتي منها من ناحية القبلة.

مسجد على باب الصغير ملاصق للسور. كبير يعرف بباب شجاع له منارة خربت، ووقف ومؤذن وإمام وفيه بئر، وعلى بابه مطهرة.

مسجد يعرف بعبد الملك لطيف بالشاغور عند بابه السقاية.

مسجد العناية بالشاغور عند دار ابن أبي الفدا كبير له إمام ووقف.

مسجد الجوزة في حارة بين النهرين له إمام ووقف.

مسجد زقاق الموقف المعروف بمهود له إمام ووقف.

مسجد عند زقاق بن باقي يعرف بنصر الله.

مسجد كبير معلق على المزّاز له وقف وإمام.

مسجد عند زقاق الجوز.

مسجد الفقيه عند دار عبد الرّحمٰن القطني.

مسجد عند دار باب القشر له إمام.

مسجد يعرف بقبيبة النور خارج باب الشاغور وقبله القشر.

مسجد بين حجيرا وراوية على قبر مُدرك بن زياد الذي يقال إن له صحبة. ولم يذكره أهل العلم في كتبهم.

مسجد راوية مُستجد على [قبر] أم كلثوم. وأم كلثوم هذه ليست بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان، لأن تلك ماتت في حياة النبي ﷺ ودفنت بالمدينة، ولا هي أم كلثوم بنت علي من فاطمة التي تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لأنها ماتت هي وابنها زيد بن عمر

بالمدينة في يوم واحد ودفنا بالبقيع، وإنّما هي امرأة من أهل البيت سمّيت بهذا الاسم، ولا يحفظ نسبها، ومسجدها مسجد بناه رجل قرقوبي من أهل حلب.

مسجد الجنائز بباب الصغير بسوق الغنم. كبير. قديم خرب فجدّده جراح المنيحي فيه [بئر].

مسجد خارج سوق الغنم في طرف المقبرة بناه رجل اسمه مظلوم.

مسجد في فندق أبي طاهر بن عفيف الفارقي شآم المقبرة.

مسجد يعرف بمسجد سُكينة في وسط المقبرة بقرب قبر بلال رضي الله تعالى عنه.

مسجد في شرقي المقبرة محاذي قبة العقيقي بناه نصير الحفار.

مسجد في بستان بن الشيرجي في طرف المقبرة من الشرق. بناه أبو غالب بن الشيرجي.

مسجد يعرف بمسجد الخَضِر وبمسجد سكينة فيه بئر، وعلى بابه وله منارة لطيفة.

مسجد الصفصافة قبلي مسجد الخَضِر فيه بئر.

مسجد السمّاقة شرقي الشاغور بقرب الخندق بناه رجل أعجميّ وفيه بئر.

مسجد قراما، قرية كانت خربت قبلي مقابر اليهود خرب لم يبق منه غير المحراب.

مسجد كشار قيل فذايا قرية كانت فخربت وبقي المسجد.

والتي منها من ناحية الشرق:

فمسجد على باب شرقي يعرف بمسجد الجنائز على بابه بئر وليس له سقف.

مسجد على ضفة نهر المجدول.

[مسجد] عطاء الحاجِب في الخامس فيه بئر.

مسجد شرقية يُعرف بلاسق المكردي.

مسجد عند المائدة والحجر في طريق الغياض بناه الملك العادل أدام الله تعالى سلطانه نور الدين.

مسجد أبي صالح مسجد قديم كان يلزمه أبو بكر بن سيد حمدية الزاهد وخلفه فيه أبو صالح صاحبه فنسب إليه. سكنه جماعة من الصالحين فيه بئر وله وقف وإمام.

مسجد شرقية بقرب الرحا الأحد عشرية.

مسجد بناه أبو القاسم بن الفسيتقة.

مسجد قبلي أندر الباب الشرقي بقرب الخندق، مستجد وفيه بئر.

مسجد في مقبرة أبي المغيرة المعروف بعضب الدولة.

مسجد في مقبرة باب توما عند نهر المجدول وبقرب الصوفانية يعرف بخالد بن الوليد لأنّه صلّى فيه وقت الحصار، وهو أوّل مسجد صُلّي فيه بدمشق.

وأمّا التي من ناحية الشام بشرق:

فمسجد على باب توما ملاصق بالسور على يمين الخارج له منارة وإمام وعلى بابه سقاية وقناة.
مسجد على النهر يعرف بمسجد الكنيسة. كان كنيسة للنصارى فجُعل مسجداً.
مسجد في عقب الجسر عن يمين الخارج يعرف بمسجد التبكير على بابه قناة.
[مسجد آخر عند باب الجسر، عن يسار الخارج بناه رجل يعرف بالبلبل].
مسجد السبعة أنابيب [له منارة خشب] وعنده سقاية.
مسجد في الجزرية مقابل حمام عصفور ليس له سقف.
مسجد على ضفة نهر داعية، قبل عين الكند.
مسجد بقبة غربي رحى الأشنان بالخشبيين.
مسجد آخر شرقي رحى الأشنان.
مسجد آخر أيضاً شرقيه بنته امرأة.
مسجد عند رحى السمرية لم يتمم.
مسجد عند رحى بن أبي الحديد بقرب دير السروري.
مسجد يعرف بمسجد النبي ﷺ في أرض المصّيصة له منارة.
مسجد المصّيصة كانت قرية عامرة فخربت شرقي بيت لهيا.
مسجد لطيف في طريق بيت لهيا عند مُستظل قناة الزنيني.
مسجد عند جسر نورة قبل أن يصل إلى مسجد العبّاسي استجده إبراهيم بن محمد السني.
مسجد العباسي على طريق حَرَسْتا.
مسجد عند قبر عنده قبة ومصنع، في طريق حَرَسْتا وإبراهيم المعروف.
مسجد عند الناعمة على الجسر على طريق برزة.
مسجد شطرا قرية كانت فخربت بين البساتين يقرب من بيت لهيا.
مسجد عند جسر فروا على نهر تورة خراب السقف.
مسجد عند رأس زقاق شطرا يعرف بمسجد القصب على بابه قناة قديم.
مسجد عن حرتعلة عند النهر أنشأه أبو طاهر بن البيضاوي.
مسجد في الدباغة خارج باب توما.
مسجد على باب طاحونة الدباغة صغير.
مسجد عن عقب جسر باب السلامة على النهر.
مسجد عند عين كمشتكين والوراقة القديمة.
مسجد في زقاق الزمان بقرب العقيبة له منارة.
مسجد كبير خارج باب الفراديس في عقب الجسر على يمين الخارج. فيه بركة وسقاية. وله إمام

ووقف ووظائف، وطاقات إلى النهر. أنشأه الأمير بزان بن يامين الكردي.

مسجد على الجسر أيضاً عن يسار الخارج لطيف وله شباك على نهر بردا.

مسجد في العقيبة عند الفرن لطيف.

مسجد الجوزة بالعقيبة فيه بركة وله إمام ووقف وعلى بابه سقاية.

مسجد صغير على النهر جوار دف المغربل بناه رجل كلّاس.

مسجد الزيتونة، مسجد قديم تنسب إليه أراضي حوله.

مسجد آخر بالعقيبة على طريق المقبرة يعرف بجعفر الضرير فيه بئر.

مسجد في رأس العقيبة عند مفرق الطرق.

مسجد فيروز. في المقابر، كان مسجداً قديماً يُصلّى فيه على الجنائز فخرب وجدّدته امرأة الحاجب فيروز فيه بركة ومنارة وعى بابه قناة.

مسجد في غربي المقبرة على النهر، لطيف، أنشأه أبو محمد بن طاووس المقرىء [خطيب جامع دمشق].

مسجد لطيف في شرقي المقبرة، بقرب بستان ابن صدقة.

مسجد في عقب الجسر، عند الرحى الزبيرية، يعرف بمسجد سواقة.

مسجد عند قصر اللباد، وهو دير مسكون.

مسجد عند بيت أبيات يعرف بمسجد آدم عليه السلام، قديم، جدّده الحاجب عطاء.

مسجد عند الميطور بناه السلار إسماعيل بن عمر بن بختيار.

مسجد الميطور، بناه حسن العماني القصاب.

مسجد في غربي العقيبة، عند رحى المنشر يعرف بمسجد الخادم. له شبابيك على نهر بردا.

مسجد عند طرف أندر بن عقيل ودار أم البنين بناه أبو عامر الآجري، له منارة لم يتمم.

مسجد في مقبرة الأمير [قرواش] عند دار ابن الحكاك.

مسجد الصرف في غربي مقبرة الفراديس، على النهر، له منارة.

مسجد عند عقب جسر نهر يزيد عند طريق المغارة، له وقف.

مسجد لطيف شرقيه، بناه الفقيه إبراهيم بن منجا عند قبره.

مسجد قبر سمعان له منارة.

مسجد آخر شآمه. بنته امرأة تعرف بالحاجة.

مسجد في البستان. بني لأجل عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله تعالى، قبر فيه [لما] استشهد.

مسجد آخر في سفح الجبل، على طريق المغارة، بنته عائشة الزاهدة.

مسجد آخر في طريق المغارة. أنشأه أبو المجد المطرز.

مسجد مغارة الدم.

[مسجد الدير الذي] كان لرهبان النصارى فجعل مسجداً. [وخرب].

مسجد غربي بابه، لطيف، بقبة.

مسجد آخر فوق المغارة.

مسجد على ضفة نهر المجدول بقرب باب الفراديس يعرف بجناح الدولة حسين، ثم عرف بابن البغدادي، له وقف.

مسجد غربيه يعرف بمسجد الدهان، يتطرق إلى كل منهما بجسر.

مسجد عند عقب جسر باب الحديد، أنشأه نور الدين.

مسجد خاتون المغنية تحت القلعة المحروسة تعرف جسر باب الجديد.

مسجد في عقب جسر الوزير، صغير، بناه رجل أعجمي، له وقف.

مسجد في عقب جسر الحمام والبيمارستان النوري الجديد.

مسجد عند مقبرة المعين أُنر، لطيف.

مسجد عند عين القصارين التي عند عوينة الحمى.

مسجد شرقي عين القصارين، قبل أن يصعد إلى عوينة الحمى.

مسجد عوينة الحمى، كبير، له منارة.

مسجد بجنبيه من الغرب لطيف.

مسجد الوزير المزدقاني عند رأس زقاق الأرزة، كبير، له منارة، وإمام وفيه سقاية وبركة، وعلى بابه سقاية.

مسجد ترمس من غربيه، لطيف.

مسجد [خطلخ] من شآمه، بينهما الطريق.

مسجد في مقبرة الأكراد. بناه رجل بغدادي اسمه علي، كان جمّالاً ثم زهد.

مسجد في طرف مقبرة الأكراد، صغير، بابه من البستان.

مسجد الأرزة، قرية كانت عامرة فخربت، كبير، له وقف، وفيه منارة.

مسجد عند الجسر الأبيض على نهر ثوره، من قبلته، على منارة خشب.

مسجد من شآمه، في عقب الجسر، بناه زيد العاملي.

مسجد عند دير أبي العباس عند عقب جسر نهر يزيد، على طريق الكهف.

مسجد آخر بقربه من الشرق.

مسجد آخر بقربهما.

مسجد آخر بقربهم [لم] يسقف.

مسجد الكهف في الجبل بقرب مغاير شداد.

مسجد مغارة الجوع في لحف الجبل.

مسجد في دير الحوراني [بقبة].

مسجد بناه أبو الحزم بن صعلوك العسقلاني لأحمد الجماعيلي.

مسجد بناه رجل أعجمي كان قد ضمن دار الوكالة بقربه.

مسجد شعبان، لطيف كان، قديماً فخرب، فجدده أبو البقاء بن البيطار.

مسجد آخر غربي مسجد شعبان.

وأمّا التي في غربه:

فمسجد باب الحديد المعروف بمرج الأشعريين، [و] يعرف بمسجد الإجابة.

ومسجد من شآمه على الطريق، يعرف كادم، يعرف بعزيز الدولة.

مسجد في شآم المرج، يعرف بمسجد الخفاني.

مسجد كبير مستجد في قبة قبر الملك دقاق المعروفة بقبة الطواويس، في الرباط، بنته خاتون أم دقاق.

مسجد من غربه، يشرف على عين الديباج التي عند باب الميدان، بناه سالم الفراش.

مسجد آخر الميدان، من شآمه. [بناه رجل جندي].

مسجد عند قصر شمس الملوك، بقرب السمانين بناه الحاج نصر الفراش.

مسجد في النيرب الأسفل [بناه أبو محمد بن منصور النهراني]

مسجد في السهم عند بستان ابن الشحاذة مقابل جسر تورة.

مسجد النيرب من مساجد القرى.

مسجد الديلمي.

مسجد أنشأه العالم الزاهد عند فم القنوات، مقابل الربوة.

مسجد باب الجنان المسدود تحت القلعة، كان قديماً فشعث، فجددته امرأة الحاجب إسرائيل.

مسجد بقبة عند باب بستان ابن خواجة على نهر باناس بنته امرأة من نساء الجند، اسمها قرة. فيه مقبرة.

مسجد غربيه قبلي نهر باناس على الطريق، بناه المحاضري.

مسجد من شآم النهر، من قبلة الميدان. صغير. بناه الملك العادل نور الدين أدام الله تعالى سلطانه.

مسجد غربيه، كبير. بناه الأمير الاسفهسلار شيركوه.

مسجد في موضع القبة المعروفة بقبة مودود، بناه الملك العادل.
مسجد في علو الرحى في الرباط الذي وقفه الملك العادل.
مسجد يشرف على نهر باناس يعرف بمسجد الفراش بناه محمد فراش [خاتون].
مسجد خاتون زمرد الكبير الذي بني في موضع تل الثعالب محاذي صنعاء له منارة ووقف وإمام ومؤذن وفيه سقاية.
مسجد عند زيتون المساكين، من أرض [المزة] على نهر القنوات. مستجد بناه عمر النجار.
مسجد معلق على باب الجابية، ملاصق السور، لطيف بشباك.
مسجد معلق عند الحمام والسقاية خارج باب الجابية بناه الأمير شيركوه.
مسجد معاوية من أرض قينية على طريق المزة وداريا، فيه بئر.
مسجد في طرف زقاق الحصا، يعرف بمسجد الكرومية.
مسجد خواجة على طريق [كفرسوسيا] من أرض قريو الحميريين.
مسجد السلاسل، مسجد كوفي شامي وفي الحميرين مسجد السلسلا قبل أن نصل إلى النهر.
مسجد آخر عند النهر بالحميريين لطيف.
مسجد قرية الحميريين كبير، كان يقام فيه الجمعة قبل أن تخرب قرية الحميريين.
مسجد بني ملهم بقبة عند الديلميات بناه الأمير أبو المكارم بن هلال.
مسجد في قصر حجاج كبير على بابه قناة بناه الأمير علي كرد وجدده ابنه الأمير أبو طالب، له إمام ووقف.
مسجد بني ملهم في حارة الفلّاحين.
مسجد خلف السور [من قصر الحجاج].
مسجد في حارة الكوزيين.
مسجد آخر بقربه.
مسجد منصور المؤذن في السوق.
مسجد في حارة الميدان المعروفة بالمنية.
مسجد آخر فيها.
ومسجد آخر فيها.
مسجد على الطريق العظمى إلى جانبه بابين.
مسجد على النهر بقرب باب الجابية.
مسجد آخر على النهر يعرف بحامد.
مسجد بقرب أويس القرني، وفندق ابن العنازة، بنته امرأة.

مسجد يعرف بمسجد الكشك عند جسر سوق الدواب.

مسجد في شرقي الجسر، يعرف بالخزرية.

مسجد آخر من القبلة، لم يتم.

مسجد الحجر، ويعرف بمسجد النارنج قبلة المصلى، من شرقيه، كبير، فيه بئر وسقاية، وله منارة.

مسجد في قصر الجنيد، غربي المصلى.

مسجد قبلي الميدان على طريق حوران يعرف بمسجد فلوس، هو بناه، وفيه قبره على بابه بئر.

مسجد يعرف بالمسجد الجديد في موضع محلة السفليين، بناه رجل قرقوبي، فيه بئر. وعلى بابه بئر، وله منارة.

مسجد في القطائع شرقي المسجد الجديد في الأندر.

مسجد في القطائع أيضاً.

مسجد القديم بقرب غالية وَعُويلية قديم جدده أبو البركات محمد بن الحسن بن طاهر، وفيه قبر جدّ أبيه لأمّه أبي الحسن بن البرَان الواعظ الزاهد، له منارة، ووقف، ويقال إن قبر موسى عليه الصلاة والسلام فيه، وفيه بئر، وعلى بابه بئر.

وهذا ما عرفت من مساجدها[١] والذي وقفت عليه من مشاهدها، وكثرتها تدل على اهتمام أهلها بالدين وكثرة المصلّين فيها والمتعبّدين.

فأمّا ما أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن المُسَلّم السلمي الفقيه.

أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الكتاني.

وأخْبَرَنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنبأنا جدّي أبو عبدالله الحسن، قالا: أنبأنا أبو بكر محمد بن خُرَيم، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا المغيرة بن المغيرة، أنبأنا عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: لما افتتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصره يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة فشهدوا الجمعة.

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل [ذلك].

وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك.

وكتب إلى أمراء [أجناد] الشام ألا يتبدّوا إلى القرى ويتركوا المدائن وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتّخذ أهل الكوفة والبصرة وأهل مصر.

---

(١) راجع لذلك كله تاريخ الدارس المدارس للنعيمي: ٢٥٥ إلى ٢٧٤

وكان الناس ممسكين بأمر عمر وعهده.

وأنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الخطيب وأنبأنا أبو بكر، أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا عبد الرّحمن بن عثمان، أنبأنا أبو الميمون بن راشد، أنبأنا يزيد ـ يعني ـ علي بن محمد ابن عبد الصمد، أنبأنا أبو مُسْهِر، أنبأنا أبو محمد بن عطاء، عن أبيه، قال: لما قدم عمر الشام أمر أن لا يُتّخذ في المدينة مَسْجِدَان. وإنّما أراد عمر رضي الله تعالى عنه بذلك المسجد الأعظم الذي تقام فيه الجمعة. وإنّما فرّق بين مدائن الشام وبين الكوفة والبصرة [في الحكم لأن مدائن الشام مُمَصَّرة قبل ا لإسلام فلا تقام في مصر واحد أكثر من جمعة فأمّا الكوفة والبصرة] فكل منزل نزلته قبيلة واختطّته فهو بمنزلة مصر مفرد. ولم يُرد بذلك عمر النهي عن اتّخاذ المساجد التي لا تقام فيها الجمعة، فأمّا مصر فإنها وإن كانت قبل الإسلام فإن المسلمين لما افتتحوها تفرّقت القبائل فيها، واختطت بها خططاً نسبت إليها فاشتبه حكمها بحكم البصرة والكوفة. والله تعالى أعلم.

باب
ذكر فضل المساجد المقصودة بالزيارة
كالربوة ومقام إبراهيم وكهف جبريل والمغارة

أَخْبَرَنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ، أنبأنا محمد بن حمدان بن أحمد بن علي بن شكرويه، أنبأنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، أنبأنا أبو المُثنّى مُعاذ بن المُثنّى بن مُعاذ العَنبري، أنبأنا مُسدّد، أنبأنا يحيى هو ابن سعيد القطان، عن عبدالله ـ قال أبو المُثنّى: أراه ابن العيزار ـ سمعت رجلاً يقول: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: ما من مسلم يأتي زيارة من الأرض أو مسجداً بُني بأحجار فصلّى فيه إلّا قالت الأرض: سَل الله تعالى في أرضه وأشهدُ لك يوم تلقاه.

قد تقدّم في باب ذكر الإيضاح والبيان عمّا ورد في فضل دمشق من القرآن ما نُقل عن العلماء من أهل القدرة من أن ربوة دمشق هي التي سمّاها الله تبارك وتعالى في كتابه بالربوة(١).

قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج البرامي، أنبأنا أبو إسحاق بن عبد الرحيم دحيم، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الوليد بن مسلم، أنبأنا الأوزاعي، عن حسّان بن عطية: أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل حضره الموت وأوصى الملك لرجل حتى يُدْرِك ابنه. فكانوا يؤملون أن يدرك ابنه فتملكوه ويكون مكان أبيه.

فأتى عليه فقُبض. قال: فخرجوا عليه، فلمّا خرج بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم عليه السلام، فدنا من أمّه فقال: أرأيتِ إن أنا أحييت لك ابنك أتؤمنين بي وتتبعيني ؟ قالت: نعم فدعا الله تعالى فجعلت أكفانه تتحلّل عنه، استوى جالساً فقال هذا عمّك بن الساحرة، وطلبوه، حتى انتهى إلى شعب النيرب فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية، فأتاه [إبليس] لعنه الله تعالى فقال: جئتك وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا بشبر من الأرض صنعوا بك ما صنعوا، فلوْ ألقيت نفسك من هذا المكان فتلقّاك روح القدس فيذهب بك إلى ربّك فنستريح منهم. فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: يا غويّ، الطويل الغواية، إنّي أجد فيما علّمني ربّي تبارك وتعالى أن لا أجرّب ربي حتى أعلم أراضٍ عنّي أم ساخط علي. قال: وزجره الله تعالى عنه. فأقبلت عليهم أم الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعاً عليه، فلما أحياه الله تعالى

---

(١) إشارة إلى قوله تعالىٰ: المؤمنون: ٥٠: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرارٍ ومعين﴾.

لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرينا به ؟ قالت: ايتوه [فآمنوا به]. فأتوه، فقالوا له: خصلة بيننا وبينك. فإن أنت فعلتها آمنا بك واتبعناك. قال: وما هي ؟ قالوا: تحيي لنا عُزيراً قال: دلّوني على قبره، فنزل عيسى معهم حتى انتهوا إلى قبره. قال: فتوضّأ وصلّى ركعتين ودعا. قال: فجعل قبره ينفرج عنه التراب، فخرج قد أبيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم. قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك، زعموا أنهم لا يؤمنون بي ولا يتبعوني حتى أحييك لهم، وهذا في هدي قومك يسير. قال: فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم بالإيمان به واتّباعه. قال: فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية فما لنصف رأسك قد ابيضّ ؟ قال: إنّي سمعت الصيحة فظننت أنها دعوة الداعية حتى أدركني مَلَك فقال: إنّما هي دعوة ابن مريم، فانتهى الشيب إلى ما ترى.

قرأت بخط أبي محمد بن صابر فيما نقله من خط أبي الحسين الرازي، أخبرني أبو العبّاس محمد بن جعفر بن محمد بن يحيى بن حمزة الحَضرَمي، أنبأنا جدّي أحمد، أنبأنا أبي عن أبيه، حدّثني زُفَر بن عاصم بن يزيد الهلالي، عن عُروة بن رُوَيم قال: حدّثني رجل من أهل المدينة يقال له حبيب بن عبد الرّحمٰن عن حفص [بن] عاصم بن عمر بن الخطاب وسألني عن دمشق وما حولها فقال: الشرق مُصلى الخَضِرعليه السلام.

قريء على أبي محمد بن الأكفاني، عن عبد العزيز الكتاني، أنبأنا أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمّارة الليثي، حدّثنا أبو سهل سعيد ابن الحسن الأصبهاني، أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الوليد، عن سعيد بن مكحول، عن ابن عباس أنه قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَة في جَبَلٍ يقال له قاسيون.

قرأتُ على أبي محمد عبد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام بن محمد، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن يعقوب، أنبأنا يحيى بن محمد بن سهل، أنبأنا محمد بن يعقوب بن حبيب الغسّاني قال: قلت لعبد الرّحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عُبيد الله، أنبأنا محمد، حدّثني محمود بن خالد، عن الوليد، عن الأوزاعي، عن حسّان بن عطية في قصة مسجد إبراهيم، فقال لي: ليس كما قال. إنّما حدّثنا به الوليد بن مسلم، أنبأنا سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أن حسان بن عطية قال: أغار مَلِك نبط هذا الجَبَل على لوط فسباه وأهله، فبلغ ذلك إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، فأقبل في طَلَبه في عدّة من أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر. فالتقى هو ومَلِك الجَبَل في صحراء يعفور. فعبّى إبراهيم ميمنة وميسرة وقلباً. وكان أوّل من عبّى الحرب هكذا. فاقتتلوا فهزمه إبراهيم، فاستنقذ لوطاً وأهله. فأتى هذا الموضع الذي [في] بَرْزَة الذي ينسب إلى مسجد إبراهيم فصلّى فيه.

ثم قال: هكذا حدّثنا به الوليد.

أخْبَرَنا أبو الفضائل ناصر بن محمد القرشي، قال: حدّثنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، قال: وعن الزُّهري أنه قال: مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قرية يقال لها بَرْزَة فمن صلّى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، ويسأل الله تعالى ما شاء فإنّه لا يردّه خائباً.

قرأت بخط أبي محمد بن عبد الرَّحمٰن بن أحمد بن صابر فيما ذكر أنه وجده بخط أبي الحسين الرازي قال: وحدّثني أبو الحسن أحمد بن حميد بن أبي العجائز الدمشقي قال: سمعت أبي يقول: قال أحمد بن سُليمان البيهقي: سمعت شيوخنا الدمشقيين قديماً يذكرون أن الآثارات التي بدمشق في بَرْزَة عند مسجد إبراهيم عليه السلام التي في الجبل عند الشق إنه مكان إبراهيم. وإن الآثارات التي فوق، في الجَبَل هي موضع رأي إبراهيم الكوكب الذي ذكر الله تعالى في كتابه ﴿**فلمّا رأى كوكباً قال هذا ربّي**﴾[1] أنه كان في الجَبَل في ذلك الموضع، وهو معروف. فمن قصده ويُصلّي فيه ركعتين ودعا أجابه الله تعالى في دعائه. وأن ذلك الجَبَل كان فيه لوط النبي ﷺ وجماعةٌ من الأنبياء. وآثارهم في مواضع من الجَبَل بالقرب من مسجد إبراهيم.

قال: وأدركت الشيوخ يقصدونه ويقيمون فيه ويصلّون ويدعون الله تعالى، وهو نافع لقوّة[2] القلب وكثرة الذنوب. وأن بعض الشيوخ جاء من مكّة فصلّى بالموضع الذي فوق الشق الذي يقال إنه رأى إبراهيم عليه السلام فيه الكوكب، [وذكر أنه رأى الموضع الذي رأى فيه إبراهيم الكوكب] وذكر أنه رأى في نومه: إن أحببتَ أن ترى الموضع الذي رأى فيه إبراهيم الكوكب فاقصد دمشق، واقصد موضعاً يقال له بَرْزَة عند مسجد إبراهيم فوق الجَبَل، فصلِّ فيه ركعتين ثم ادعُ بما شئت يجاب لك. فقصدت الموضع.

قال: وقال أحمد بن صالح: فأدركت الشيوخ بدمشق قديماً، وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويقصدونه ويُصلّون فيه ويقرؤون ويدعون ويذكرون أن الدُّعاء فيه مجاب. وهو موضع شريف قديم عظيم ويذكرون عن شيوخهم[3] أدركوا من أهل العلم [أنهم] يُصحّحونه ويفضّلونه،ويقولون: إنه مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن الشق الذي في الجبل، خارج باب المسجد، هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمرود الذي كان ملك دمشق في وقت إبراهيم. والدعاء فيه مجاب، فمن قصد الله تعالى في ذلك الموضع ودعا فيه بنيّة خالصة رأى الإجابة.

قال أبو الحسين الرازي: مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أحدهما في الأشعريين والآخر في

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٦. (٢) مختصر ابن منظور: لقسوة.

(٣) في المختصر: ١ / ٢٧٩ «شيوخهم ومن أدركوا».

بَرْزَة.

قرأتُ على أبي محمد بن الأكفاني، عن عبد العزيز الكتاني، أنبأنا عبد الوهاب الميداني، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة الليثي، أنبأنا أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني، أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا الوليد، عن ابن جُرَيج.

وقرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد عن تمام الرازي، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة، قرأت عليه، حدّثني أبي، أنبأنا محمد بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جُرَيج، عن عُروة بن رُوَيم، عن أبيه قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول حينئذ.

وأخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، أنبأنا أبو القاسِم عبد الرّحمٰن بن عمر الإمام، أنبأنا يعقوب الأذرعي، أنبأنا محمود بن إبراهيم، أنبأنا هشام بن خالد، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جُرَيج، عن عُروة، عن أبيه قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ ـ وسأله رجل عن دمشق ـ وقال تمام: عن الآثارات بدمشق فقال ـ **بها** ـ وقال تمام: لها ـ **جَبَل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه، وفي أسفله في الغرب ولد إبراهيم، وفيه آوى الله تعالى عيسى ابن مريم** ـ ولم يقل الميداني: ابن مريم من. وقالوا وأمّه ـ **من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل فصلّى ودعا** ـ ولم يقل الميداني: ودعا ـ **لم يرده الله تعالى خائباً**. فقال رجل: يا رسول الله، صفه لنا. قال: «**هو بالغوطة مدينة يقال لها دمشق وهو جَبَل**» ـ وقال تمام: وأزيدكم أنه جبل ـ **كلّمه الله تعالى، فيه ولد أبي إبراهيم فمن أتى** ـ وقال ابن الأكفاني: **هذا الموضع فلا يعجز ـ في الدعاء**. فقام ـ وقال ابن الأكفاني: رجل قالوا: ـ قال: يا رسول الله أكان ليحيى ـ زاد ناصر: بن زكريا ـ العلاء[1] ؟ قال: **نعم، احترس فيه يحيى من هذا الرجل من عاد** ـ وقال ابن الأكفاني: احترس فيه يحيى من رجل من قوم عاد ـ **في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول، وفيه احترس إلياس من ملك قومه، وفيه صلّى إبراهيم ولوط وموسى وعيسى وأيّوب، فلا تعجزوا في الدعاء فيه فإن الله تعالى أنزل عَليّ ﴿ادْعوني أستجب لكم﴾**[2] ـ زاد ابن الاكفاني: **وربنا يسمع الدُعاء** [٤٨٤] ـ قالوا: وكيف ذلك فأنزل الله تعالى: **﴿وإذا سألك عِبادي عنّي فإنّي قريب﴾** وقالا: فقال رجل: يا رسول الله ربنا سمع الدُّعاء أم كيف ذلك ؟ فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوة الداعي إذا دعان﴾**[3].

رواه تمام بن محمد عن يعقوب الأذرعي إجازة عن محمد بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم ولم

(١) في مختصر ابن منظور: معقلاً.
(٢) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

يذكر هشاماً.

وقال تمام: والأشهر عن معاوية.

وأخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، أنبأنا تمام بن محمد الحافظ، أنبأنا يعقوب الأذرعي، أنبأنا محمد، عن هشام بن خالد، عن الوليد بن مسلم، عن سعيد، عن مكحول، عن كعب الأحبار أنه قال: إنه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك وتعالى لا يرد سائلاً فيه.

قال: وأنبأنا يعقوب، نبأنا محمد عن أبيه، عن جدّه، عن سعيد، عن مكحول قال: قال لي كعب: اتبعني فاتّبعته حتّى وصلنا إلى غار في جَبَل يقال له قاسيون فصلّى فيه، فصلّيت معه فسمعته يجتهد في الدُّعاء. ثم أشار إلى مسجد أسفل الجَبَل فنزل وصلّى وصلّيت معه. فسمعته يقول ويجتهد في الدُّعاء، ثم سار حتى دخلنا المدينة من باب الفراديس. فسمعته يقول: يا أيّها الناس، أنا كعب الأحبار. وجدت في ألواح شيث بن آدم مرّتين. يقول: الفراديس جنّتي، وإليها يجتمع أهل محبّتي.

قرأتُ على أبي محمد بن الأكفاني، عن عبد العزيز الكتّاني، أنبأنا عبد الوهاب الميداني، أنبأنا أبو الحارث، حدّثني سعيد بن الحارث بن الحسن، أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم.

وأخْبَرَنا أبو الفضل، أنبأنا أبو الفضائل بن محمود، نبأ علي، حدّثنا قال: وأخبرنا تمام الرازي، أخبرني أبو الحارث بن عمارة، حدّثني أبي، نبأنا محمد بن أحمد، أنبأنا هشام، عن الوليد، عن سعيد، عن مكحول، قال: قال لي كعب الأحبار: اتبعني فاتّبعته حتّى وصلنا إلى جَبل في غارٍ يقال له قاسيون فصلّى وصلّيت. فسمعته يجتهد في الدُّعاء. ثم خرج حتّى وصلنا إلى موضع قتل ابن آدم أخاه، فصلّى وصلّيت معه. فسمعته يجتهد في الدعاء. ثم سار حتى دخلنا المدينة من باب الفراديس فسمعته يقول: يا أيُّها الناس أنا كعب الأحبار. وجدت في ألواح شيث بن آدم: أن الله تبارك وتعالى يقول: الفراديس جنّتي وإليها يجتمع أهل محبّتي وأهل عنايتي. فقلت: سمعتك تدعو مجتهداً فما ـ وقال الأكفاني: فمما ـ ذاك ؟ قال: سألت الله عزّوجلّ أن يصلح بين هذين الرجلين علي ومعاوية، وسألته أن يرزقني كفافاً وولداً ذكراً.

ثم لقيته بعد ذلك فسألته، فقال: قد والله استجاب الله تعالى لي، ورزقني ولداً ذكراً، وبعث إليه معاوية بألف درهم وكسوة. وكتب معاوية إلى علي فسأله الصلح والكفّ عن الحرب فاصطلحا وتكاتبا على ذلك.

كذا نقلته من خط الهَمداني عن أبي الحارث، عن مَعْمَر، عن سعيد بن الحسن، عن محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جدّه، عن سعيد، وخالفه تمام، عن أبي الحارث فقال عن أبيه بَدل عن سعيد، بَدل عن أبيه عن جدّه.

وهذا حديث منكر. مكحول لم يدرك كعباً، لأن كعباً مات في آخر خلافة عثمان، وكعب لم يبق إلى فتنة علي ومعاوية. وفي إسناده رجل مجهول وهو محمد بن أحمد، وأبوه وجدّه ضعيفان والله تعالى أعلم. وهشام بن خالد: **ثقة** لا يجهل مثل هذا.

قرأتُ على أبي محمد السُّلمي، عن عبد العزيز التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أحمد بن عبدالله ابن الفرج بن البِرَامي، أنبأنا أحمد بن أنس، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا إبراهيم بن أعين، أنبأنا طلحة ابن زيد، عن عبدالله بن يزيد الباقاني، عن المخارق بن مَيْسَرة الطائي، عن عمر بن خَير الشعباني، قال: كنت مع كعب الأحبار على جَبَل دير المُرّان قال: فرأى لمعة سائلة في الجَبَل، فقال: هاهنا قتل ابن آدم أخاه، وهذا أثر دمه جعله الله عزّوجلّ آية للعالمين. وويل لأربع قريات من قريات دار الغوطة: داريا، وبيت الآبار والمِزّة وبيت لهيا، ولتفنيين أربع قبائل فلا يبقى لها داعية: علّك وسَلامان وخُشَين وسُليمان وشعبان.

أخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمّد بن شجاع، أنبأنا تمام، أخبرنا الحارث بن عمارة، حدّثني أبي، أنبأنا محمد بن إبراهيم، أنبأنا هشام ـ يعني ـ ابن خالد وقال: سمعت الوليد يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز وقال: حدّثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا فسقانا.

قال مكحول: وخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون، فلم يزل فلم يبرحوا حتى سالت الأودية.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني فيما قُرِيء عليه، عن عبد العزيز [بن] أحمد، أنبأنا عبد الوهاب ابن جعفر بن علي، أنبأنا [أبو] الحارث أحمد بن محمد بن عمّارة الليثي، حدّثني أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني، أنبأنا أحمد بن محمد بن إبراهيم قال: قال هشام بن عمّار: سمعت الوليد يقول: قال سعيد: وحدّثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا فسقانا.

قال مكحول: وخرج معاوية والمسلمون يستسقون. فلم يبرحوا حتى سالت الأودية.

قال مكحول: وسمعت كعب الأحبار يذكر أنه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يزال سائلاً في ذلك الموضع.

قال هشام: وسمعت الوليد يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز قال: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم أخاه، فسأل الله تعالى أن يسقينا فسقانا. فأتى مطر فأقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال: وحدّثني سعيد حدّثنا محمد قال: قال هشام بن عمّار: وصعدت مع أبي وجماعةٍ من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقيانا إلى موضع قتل ابن آدم أخاه، فأرسل الله تبارك وتعالى علينا مطراً

غزيراً حتّى أقمنا في الغار تحت الدم. فدعونا الله تبارك وتعالى فارتفع عنّا وقد رُويت الأرض.

قرأتُ على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن أبي محمد عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج، حدّثني محمد بن يوسف الهَرَوي، قال: سمعت أبا زُرعة عبد الرّحمن بن عمرو يقول: سألت أبا مُسهِر عن مغارة الدم فقال: مغارة الدم، موضع الحُمرة، موضع الحوائج. يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

قال: وأنبأنا محمد بن يوسف قال: سمعت يزيد بن محمد وأبا زُرعة وأحمد بن المُعلّى وسليمان بن أيوب بن حَذْلم ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد بن يزيد، ومحمد بن هارون وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمّار يقول: وهشام بن خالد، وأحمد بن أبي الحواري، وسُليمان بن مُسلم يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان أهل دمشق إذا احتبس عليهم المطر، أو غلا سعرهم، أو جار عليهم سلطان، أوكانت لأحدهم حاجة، صعد إلى موضع ابن آدم المقتول، فيسألون الله تبارك وتعالى فيعطيهم ما سألوا.

قال هشام: ولقد صعدت مع أبي وجماعةٍ من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقياً فأرسل عليهم مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام. ثم دعونا أن يُرفع فرفع، وقد رويت الأرض.

قال هشام: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: صعدنا في خلافة هشام بن عبد الملك إلى موضع دم ابن آدم نسأل الله تعالى سقياً فسقانا، فأتانا مطر فأقمنا في الغار ستّة أيّام.

وقال ابن مكحول: صعدت مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسألون الله تعالى سقياً فسقاهم.

وقال: إن معاوية خرج إلى موضع الدم يستسقون الله تعالى سُقياً فسقاهم فلم يبرحوا حتى جرت الأودية.

ورُوي عن أحمد بن كثير قال: صعدت إلى موضع دم ابن آدمعليه السلام في جبل قاسيون بدمشق. نسأل[(١)] الله تبارك وتعالى الحج فحججتُ، وسألته الجهاد فجاهدتُ، وسألته الزيارة والصلاة في بيت المقدس وعسقلان وعكا والرباط في جميع السواحل فرُزقت ذلك كلّه، وسألته يُغنيني عن الأسواق والبيع فرزقت ذلك. ولقد رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وهابيل بن آدم فقلت له: أسألك بحق الواحد الصمد، وبحق أبيك آدم النبي عليه الصلاة والسلام هذا دمك؟ فقال: أي والواحد الصمد، هذا دمي جعله الله تعالى آية للناس، وإنّي دعوت الله عزّوجلّ فقلت:

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٨٠ فسألت.

اللهم ربّ أبي آدم وأمّي حواء، وهذا النبي المصطفى الأمّي، اجعل دمي مستغاثاً لكل نبيٍّ وصدّيق، ومن دعا فيه فتجيبه وسألك فتعطيه، فاستجاب الله تبارك وتعالى دُعائي وجعله طاهراً آمناً، وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السماء يحفظونه من أتاه لا يرد[١] إلّا الصلاة فيه. فقال رسول الله ﷺ: «قد فعل وزاد كرماً وإحساناً، وإنّي آتيه كل خميس وصاحباي وهابيل نصلّي[٢] فيه. فقلت: يا رسول الله ادعُ الله تعالى أن أكون مُستجاب الدّعوة، وعلّمني دُعاء لكل ملمّة وحاجة، فقال لي: افتح فاك ففتحته، فتفل فيه فقال لي: رُزقت قلزم، رُزقت قلزَم.

أخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، أخبرنا عبد الرّحمن بن عمر، أنبأنا أبو يعقوب الأذرعي، أنبأنا يزيد بن عبد الصمد، وأحمد بن المُعلّى وسُليمان بن أيّوب، وأحمد بن إبراهيم، ومحمد بن يزيد، ومحمد بن هارون، وأحمد بن محمد بن عثمان، ومحمد بن سعيد وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمّار وهشام بن خالد وسُليمان بن عبد الرّحمٰن وأحمد بن أبي الحواري والقاسِم بن عثمان الجوعي، وعياش بن عثمان، ومحمود بن خالد يقولون: سمعنا الوليد بن مسلم يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان أهل دمشق إذا احتبس القطر، أو غَلا السعر أو جار عليهم سلطان أو كانت لأحدهم حاجة، صعدوا موضع دم ابن آدم المقتول، فيسألون الله تبارك وتعالى فيعطيهم ما سألوا.

قال هشام: صعدت مع أبي وجماعةٍ من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقياً فأرسل الله تبارك وتعالى مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام. ثم دعونا أن يُرفع عنّا وقد رويت الأرض.

قال هشام: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: صعدت في خلافة هشام بن عبد الملك إلى موضع دم ابن آدم عليه السلام نسأل الله تعالى سقياً، فأتانا فأقمنا في الغار ستّة أيّام.

قال الوليد: قال سعيد: أخبرني[٣] مكحول قال: وسمعت من يذكر أن معاوية خرج بالمسلمين إلى موضع الدم يسألون الله تعالى أن يسقيهم فلم يبرحوا حتى جرت الأودية.

قال مكحول: وسمعت كعب الأحبار يقول: إنه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك

---

(١) في مختصر ابن منظور: لا يريد.

(٢) عن مختصر ابن منظور «يصلّي».

(٣) وتمام العبارة كما استدرك في المطبوعة:

قال الوليد: قال سعيد: بهذا الحديث حدّثني مكحول عن نفسه أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع دم ابن آدم يسأل الله سقيا تسقيهم فسقاهم.

قال مكحول: وسمعت... .

وتعالى وأنه لا يردّ سائلاً في ذلك الموضع.

قال هشام بن عمّار: وسمعت من يذكر عن كعب أنه قال: إن إلياس اختبأ من مَلِك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك الله تعالى المَلِكَ ووليهم غيره. فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام فأسْلم، وأسْلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم، فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.

قال هشام: وسمعت من يرجع الحديث إلى وهب بن منبّه أنه قال: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اجتمع الكفار يتشاورون في أمري**» فقال النبي ﷺ: «**ياليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق، حتى آتي الموضع مستغاث الأنبياء حيث قتل ابن آدم أخاه، فأسْأل الله تعالى أن يهلك قومي إنّهم ظالمون**»[٤٨٥](١) فأتاه جبريل فقال: يا محمد أيت بعض جبال مكة فأوِ [إلى] بعض غاراتها فإنّها معقلك من قومك. قال: فخرج النبي ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الجَبَل، فوجدا غاراً كثير الدواب. فذكره.

وعن مكحول عن ابن عباس قال: موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف، كان يحيى بن زكريا وأمّه فيه أربعين عاماً، وصلّى فيه عيسى ابن مريم والحواريّون، فلو كنتُ سألتُ الله أن يغفر الله تعالى لعبده ابن عبّاس يوم يحشر البشر. فمن أتى ذلك الموضع فلا يقصّر عن الصّلاة والدعاء فيه فإنه موضع الحوائج. ومن أراد أن يرى ﴿**وآويناهما إلى رَبْوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعِين**﴾(٢) فليَأت النيرب الأعلى بين النهرين، وليصعد إلى الغار في جَبل قاسيون فيُصلي فيه، فإنّه بيت عيسى [وأمّه] وهو كان معقلهم من اليهود. ومن أراد أن ينظر إلى إرم فليَأت نهراً في حفر دمشق يقال له برداً. ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم ابنة عمران، وابنها، والحواريّون فليَأت مقبرة الفراديس.

ورُوي عن الزُّهري أنه قال: لو يعلم الناس ما في مغارة الدّم من الفضل لما هناهم طعام ولا شراب إلّا فيها.

وذكر أبو الفرج محمد بن عبدالله بن المُعَلّم ـ وسمعت أبي، أنبأنا محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبدالله بن الحسين يذكر أن بيننا وبينه قرابة، وأنّ الأرض التي لنا ببيت سابا(٣) كانت له، وإنها انتقلت إلينا بالأدب منه. فلم أسأله عن وجه القرابة بيننا وبينه لصغري ـ فذكر أبو الفرج أنه ابتدأ بناء الكهف في سنة سبعين وثلاثمائة قال: وبالله أعتصم من الكذب، وأسأله أن ينطق لساني بالصدق، رأيت جبريل عليه السلام في المنام فقال لي: إن الله تعالى [يأمرك] أن تبني مسجداً يُصلّى فيه له، ويُذكر اسمه، وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سمّيته أنا كهف جبريل. قلت: أنّى لي بذلك؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى سيوفق لك من يُعينك عليه.

---

(١) كنز العمال: ح٤٦٣١٣. (٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٣) بيت سابا: من إقليم بيت الآبار عند جرمانوس، كانت ليزيد بن معاوية (معجم البلدان نقلاً عن ابن عساكر).

قال أبو الفرج: وإنّما سمّيته كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد ﷺ لأني رأيتهما في المنام فيه. وموضعٌ يُرى فيه جبريل ومحمد ﷺ من أجلّ بقاع الأرض وجَبَل دمشق هكذا. ما نبت شجرة قط ولا ظهر فيه ثمرة. فلما رأيتُ جبريل ومحمداً عليهما الصلاة والسلام أنبت الله تبارك وتعالى ببركتهما الشجر وظهر فيه الثمر وأكل الناس ما لم يؤكل فيه قط، وصار مسجداً من مساجد الله تبارك وتعالى يُذكر فيه اسمه، ولو تمكّنت ما كنت أقيم إلّا فيه، ولا أُدفن إلّا فيه، ولا أُحشر إلّا منه.

قال: فمن كانت له حاجة فليغسل جسده بالماء، ويلبس ثوباً طاهراً، ثم يقصد إلى الكهف فيصلّي فيه ركعتين يقرأ في كل ركعة بالحمد، وسبع مرات قلْ هو الله أحد. فإذا فرغ من صلاته يقول: اللهمّ صلِّ على جبريل الروح الأمين، وعلى محمدٍ خاتم النبيين سبع مرّات ويسجد ويقول: اللهمّ إني أتوسّل إليك بجبريل الروح الأمين وبمحمّد خاتم النبيين إلّا قضيت حاجتي، ويذكرها. فإنّ الله سبحانه وتعالى يقضيها له إن شاء الله تعالىٰ.

أنشد بعض الصّالحين لبعض المتأخّرين في مدح جبل قاسيون:

يا صاح كم في قاسيون وسفحه ... من مشهدٍ يستوجب التعظيما
فالربوةُ العلياءُ يفضّلها الذي ... أضحى بتفسير الكتابِ عليما
والنيرب المشهور يُعرف فضله ... من زاره أو ذاق فيه تنعيما
ومغارة الدّم فضلُها متواترٌ ... ما زلتُ أسمعه هُديتَ عظيما
والكهفُ جبريل الأمين بفضله ... مذكورة وقعت إليّ قديما
ومغارة الجوع الشريفة تحته ... كم عابدٍ فيها ابنّ مقيما
ومقام بَرْزَة ليسَ يُنكر فضله ... أعني مقام أبيك إبراهيما
ولكم مكان فيه ليس بمسجدٍ ... أضحى على المتعبدين كريما
رأى النبي مُصلّياً في سفحه ... صلّوا عليه وسلّموا تسليما
وبه قبور الأنبياء فمن مضى ... ليزورهم فقد ابتغى التكريما
فأدِمْ زيارته وواظب قصدَه ... لتنال أجراً في الجنان جسيما

قرأتُ بخط أبي محمد بن صابر فيما نقله من خط أبي الحسين الرازي في معرفة الآثارات بمدينة دمشق وغوطتها ممّا ترجى إجابة الدُّعاء فيها: مسجد القدَم عند القطيعة، يقال إن هناك قبر موسى بن عمران ﷺ.

ومسجد الباب الشرقي، الصحيح عن النبي ﷺ أن فيه ينزل عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام.

قرأتُ على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن الفرج، أنبأنا أحمد بن أنس ـ يعني ـ ابن مالك، أنبأنا محمود بن خالد، أنبأنا

مروان بن محمد، أنبأنا سعيد بن عبد العزيز، عن قاسم مولى ابن يزيد قال أتى ـ يعني يحيى بن زكريا وهو قائم يُصلّي عند جبريل جيرون ـ قال محمود، وهو المسجد الذي عند باب جيرون ـ فقطع رأسه.

قرأتُ بخط أبي محمد عبد المنعم بن علي بن البحتري قال: وكان قد بنى رجل حائك من أهل مصر في قبة اللحم مسجداً وبنى له مئذنة صغيرة. فلما كان ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان من هذه السنة ـ يعني سنة أربع وأربعمائة ـ ذكر أنه رأى النبي ﷺ وعلياًعليه السلام في هذا المسجد، وأنه قال لهما: أريد علامة يُصدّقني الناس أنكما جئتما إلى هاهنا. فكبش أمير المؤمنين عليّعليه السلام على عمود حجر كان في هذا المسجد فأثّرت كفه في العمود، وأصبح الناس يوم الجمعة يهرعون إلى هذا المسجد ويبصرون الكف في الحجر قد غاصت. وبلغني أنه قيل لهذا الرائي: أي يد وضع في الحجر؟ فقال: اليمنى، فنظروا، فإذا أثر كف اليُسرى. وذكروا أن الرائي كان قد نقر في الحجر ذلك الأثر. فالله تعالى أعلم.

قرأتُ بخط أبي محمد بن الأكفاني قال: أراني عبد العزيز الصوفي بمسجد واثلة بن الأسقع داخل الذلّاقة[1] على النهر وهو مسجد صغير.

ومسجد فَضالة بن عُبيد في سوق الكبير جائز مسجد الريحان، بين الدكاكين، وهو مسجد سفل صغير. وداره بذلك الموضع، ويُعرف اليوم بدار التمارين.

ومسجد أوس بن أوس في درب القلي وهو مسجد صغير.

وذكر أبو الحسين محمد بن عبد الله الرازي، عن شيوخه الدمشقيين: أن المسجد الذي على باب زقاق عطّاف كان مسجد أيمن بن خُرَيم.

قال: ومسجد سوق الريحان مسجد يزيد بن نُبَيشة صحابي قرشي من بني عامر بن لؤي.

وذكر غير أبي الحسين: أن دار أبي عبيدة بن الجرّاح في حجر الذهب، ومسجده بالسقيقة التي عند بني عبد الصمد.

ودار خالد بن الوليد ومسجده عند باب توما.

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحِنّائي فيما نقلته من خطه قال: أخبرني أبو الفرج أحمد بن عمرو إمام مسجد باب الشرقي، وأبو الفرج صَدَقة بن المُظفّر الأنصاري قالا: سمعنا أبا بكر بن الفريابي يقول: لما أراد أبو بكر بن سيد حمدويه بناء مسجده المعروف اليوم بأبي صالح، وجد في المحراب لوحٌ من فخار عليه مكتوب: هذا مسجد الأولياء. فأصبحنا ولم نره، وغيّبه الشيخ وقال: هذا شهر.

---

(١) في المختصر: الزلّاقة.

باب
في فضل مواضع بظاهر دمشق وأضاحيها(١)
وفضل جبالٍ تُضاف إليها ونواحيها

قرأت بخط علي أبي القاسم الخَضِر بن الحسين بن عبدان، عن عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنبأنا علي بن الحسن بن علي الرّبعي، أنبأنا عبد الوهّاب بن الحسن بن الوليد الكِلابي، أنبأنا أحمد ابن عُمير بن يوسف، أنبأنا أبو عامر المُرّي، أنبأنا أبو الوليد بن مُسلم، حدّثني شيخ من القبائل قال: سمعت الوضين بن عطاء يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«من تكفّل لي ببيتٍ في الغوطة أتكفّل له ببيتٍ في الجنّة»** [٤٨٦](٢).

هذا منقطع وفيه من جَهُل حالُه.

قرأتُ على أبي القاسم الشحّامي، عن أبي سعد محمد بن عبد الرّحمٰن، أنبأنا الحاكم أبو أحمد الحافظ، أنبأنا أحمد، أنبأنا محمد بن سليمان، قال: أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا أبو الوليد بن مسلم، أنبأنا يزيد بن السمط، عن رجل، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله تبارك وتعالى جمجمة جبريل عليه السلام على قدر الغوطة»** [٤٨٧](٣).

قرأتُ على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة، عن أبي محمد عبد العزيز بن أحمد، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن الفرج بن البِرَامي، أنبأنا أحمد بن أنس، أنبأنا هشام بن خالد، قال: قال الوليد: وبلغني أن غَنَمَ يعقوب كانت ترعى في مرج بالغوطة.

أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد.

وأخْبَرَنا أبو الفضائل بن محمود، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير، أنبأنا علي بن محمد بن شجاع، قالا: أنبأنا أبو محمد عبد الرّحمٰن بن عثمان، أنبأنا أبو علي الحسن بن حبيب، أنبأنا أبو بكر بن الأشعث، أنبأنا أبو توبة، أنبأنا ابن مهاجر ـ يعني ـ محمد، عن ابن حَلْبَس يعني يونس بن مَيْسَرة قال: أشرف عيسى ابن مريم على الغوطة فقال: يا غوطة ـ وقال الأكفاني: الغوطة ـ إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً. ولم يقل ابن الأكفاني: منك في الموضعين.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الرّحمٰن بن أبي الحسن الفُراوي، أنبأنا سَهل بن بشر الإسفرايني، أنبأنا أبو بكر الخليل بن هبة الله بن الخليل، أنبأنا عبد الوهّاب الكِلابي، أنبأنا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طلّاب المشغرائي، أنبأنا العبّاس بن الوليد بن صالح، أنبأنا أبو مُسهِر، سمعت سعيد بن عبد العزيز

---

(١) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٨٤: «وضواحيها». (٢) كنز العمال: ح٣٥٠٨٤ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٣٨.

(٣) الحبائك في الملائك للسيوطي: ١٨ وكنز العمال: ١٥١٦٦.

يقول: إنّما سمّيت ثنية العُقاب براية خالد بن الوليد حين أشرف عليها بالراية العُقاب.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، حدّثنا عبد العزيز بن الكتاني، أنبأنا أبو محمد بن نصر، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العَقَب، أنبأنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القُرَشي، أنبأنا محمد بن عايذ، عن الوليد، نا إسحاق بن أبي فروة: أن راية رسول الله ﷺ السوداء صارت إلى خالد بن الوليد فقاتل بها بني حنيفة ومسلمة ثم مضى إلى الجزيرة، ثم أتى الشام فقاتل بها في وقائع الشام.

قال: وأنبأنا محمد بن عايذ، حدّثني [ابن] أبي الرجال عن محمد بن عمارة بن عامر بن عمرو بن حزم قال: كانت راية رسول الله ﷺ التي يسير فيها تسمّى العُقاب، راية الأنصار، فقلت له: يا عبد الملك، سوداء؟ قال: لا، ولكنّها خضراء.

ذكر أبو بكر أحمد بن يحيى البلاذُري هذا المعنى[١] ثم قال: وقوم يقولون: إنّها سُمّيت بعُقابٍ من الطير كانت ساقطة عليها، وسمعتُ من يقول: كان هناكَ مثال عُقاب من حجارة. والخبر الأوّل أصحّ[٢].

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد السجاني، أنبأنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن محمد الدوري، أنبأنا أبو حاتم محمد بن حباب، أنبأنا عمران بن موسى بن مجاشع، أنبأنا هُدْبة بن خالد، نبأنا همّام بن يحيى قال: قال قَتادة: وحدّثني رجل عن سعيد بن المُسيّب، عن عبدالله بن عمرو قال: أرواح المؤمنين تجمع بالجانبين وأرواح الكفّار تجمع ببرهوت وفي سفحه لحضرموت[٣].

قال أبو حاتم: الجانبين: اليمن، وبرهوت من ناحية اليمن. ولا أدري تفسير أبي حاتم للجانبين محفوظاً، والله تعالى أعلم.

رواه مُعاذ بن هشام، عن أبيه، عن قَتادة، عن ابن المُسيّب نفسه من قوله.

أخْبَرَنا أبو بكر محمد بن أبي نصر اللفتواني، أنبأنا أبو عمرو عبد الوهّاب بن محمد بن مُسدد، أنبأنا الحسين بن محمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن محمد بن عُمير الليثي، أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، أنبأنا عُبيد الله بن عمر الجُسَمي، أنبأنا مُعاذ بن هشام، حدّثني أبي، عن قَتادة، عن سعيد بن المُسيّب قال: أرواح المؤمنين بأرض الجابية وأرواح الكفار بسبخةٍ بحضرموت.

وكذا رواه محمود بن خالد عن الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قَتادة [عن] ابن المُسيّب من قوله.

---

(١) فتوح البلدان: ١١٥.

(٢) يعني قوله إنّها سمّيت باسم راية رسول الله ﷺ، والعرب تسمّي الراية عقاباً. أُنظر فتوح البلدان: ١١٥.

(٣) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٨٥ وفي سبخة بحضرموت.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم، أنبأنا أبو محمد عدي بن الحافظ، أنبأنا الحسين بن عبدالله الحافظان، نبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن رافع، عن المَقْبُري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله تعالى آدم من طين الجابية وعجنه بماء الجنّة**» [٤٨٨](١).

أَخْبَرَنا أبو القاسِم زاهر بن طاهر الشحّامي، عن أبي سعد الجنزرودي، أنبأنا أبو الحكم أحمد بن محمد، أنبأنا محمد بن محمد بن سُليمان الباغندي، أنبأنا هشام بن عمّار، أنبأنا الوليد، عن إسماعيل بن رافع، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله تعالى آدم من طين الجابية وعجنه بماءٍ من ماء الجنّة**» وقال: «**من ماء زمزم**»[٤٨٩].

قرأت على أبي القاسم الخَضِر بن الحُصَيْن بن عبدان، عن عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي زروان الحافظ، أنبأنا عبد الوهّاب بن الحسن، أنبأنا أحمد بن عُمير بن يوسف، نبأنا أبو عامر موسى بن عامر، أنبأنا الوليد بن مسلم، قال: وحدّثني عبد الرّحمن ابن يزيد بن جابر وغيره: أن جند حمص الجند المقدم(٢) وإنها كانت يومئذ ثغراً، وأن الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء، وإقامة البعوث من أرض دمشق، في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم إلى معسكر دابق معاوية بن أبي سفيان لقربه من الثغور. قال: فكان والي الصّافية وإمام العامة في أهل دمشق، لأنّ من تقدّمهم من أهل حمص، وأهل قِنّسرين وأهل الثغور مقدّمة لهم، وإلى أهلها يولون إنْ كانت لهم جولة من عدوّهم.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا أبو القاسم حمزة بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدي(٣)، أنبأنا بهلول بن إسحاق بن بهلول، أنبأنا إسماعيل بن أبي أويس، أنبأنا كثير المُزَني، عن أبيه، عن جدّه. قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعة أجبلٍ من جبال الجنّة وأربعة أنهارٍ من أنهار الجنّة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنّة**» قيل: فما الأجبل يا رسول الله ؟ قال: «**أُحد جَبَل يحبّنا ونحبه جَبَل من جبال الجنّة، وطور جَبَل من جبال الجنة، ولبنان جَبَل من جبال الجنّة، والأنهار: النيل والفرات وسيحان وجيحان. والملاحم: بَدْر وأُحُد وخيبر والخندق**»[٤٩٠].

أَخْبَرَنا أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيْرُون، أنبأنا أبو القاسم عبد الملك بن بشران، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن الصوّاف، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، أنبأنا داود بن الزبرقان البصري، عن حمّاد بن سلمة، عن أبي جهضم عن ابن عباس: أنه كتب إلى أبي

---

(١) السلسلة الضعيفة للألباني: ح ٣٥٤ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٣٩.

(٢) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٨٥ «المتقدّم». (٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي: ٦ / ٥٩.

الخالد يسأله عن أشياء من البيت. فكتب إليه: أن البيت أُسس على خمسة أحجار: حجر من أُحُد وحجرين من طور سيناء ولبنان وحجر من تين وحجر من حراء.

قال: وأنبأنا محمد بن عثمان، أنبأنا إبراهيم، أنبأنا داود، عن أبي عبد الوهّاب، عن مجاهد، قال: بُني البيت من أربعة أجبل: من حراء، وطور زيتا، وطور سينا، ولبنان.

أخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي وأبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد بن عبدالله المقريء، قالا: أنبأنا أبو الحسين بن النَّقُّور.

أخبرتنا أم الفتح أمة السلام بنت أحمد بن كامل بن خلف القاضي، قالت: حدّثنا أبو بكر محمد ابن إسماعيل بن علي البُندار المعروف بالبصلاني، أنبأنا محمد بن يحيى، أنبأنا أبو بكر القطيعي، أنبأنا عبد الأعلى، أنبأنا سعيد، عن قَتادة، قال: ذكر لنا أن قواعد البيت من حِراء وذكر لنا أن البيت بُني من خمسة أجبل: من حِراء ولبنان والجودي وطور سينا وطور زيتا.

حدّثنا أبو الحسن علي بن المسلمة الفقيه ـ لفظاً ـ أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر.

وأخْبَرَنا أبو القاسم بن عبدان، أنبأنا أبو القاسم بن العلاء، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر، وأبو نصر محمد بن هارون بن الجندي، قالا: أنبأنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، أنبأنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم، أنبأنا ابن عايذ، أنبأنا الوليد، قال: فأخبرني سعيد بن بشير، عن قَتادة وذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوّأنا لابراهيم مكانَ البيتِ﴾ قال قَتادة: هذا حَرَمُ الله قد طاف به آدم ومن بعده، فلما كان إبراهيم أراه الله تعالى مكانة البيت فاتبع منه أثراً قديماً فبناه من طور زيتا وطور سينا ومن جَبَل لبيَان من أُحُد وحراء وجعل قواعده من حراء ثم قال: ﴿وَأَذِّنْ في الناس بالحجّ﴾[1].

أخْبَرَنا أبو البركات الأنماطي، أنبأنا أبو الفضل بن خَيْرُون، أنبأنا عبد الملك بن بشران، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن بن الصوّاف، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، أنبأنا داود بن الزِّبرقان، عن مطر الورّاق، وسعيد، عن قَتادة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذْ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسماعيلُ﴾[2] قال قَتادة: ذكر لنا أنّهما بنياه على أمر قديم كان قبلهما، فبنياه من خمسة أجبل: من حراء ولبنان أو لدبنان والجودي وطور سينا وطور زيتا وبنيا القواعد من حراء. **قال:** وأنبأنا ابن أبي شيبة قال: أنبأنا أحمد بن عبدالله بن مؤنس، أنبأنا دواد القطان، عن ابن جُريج قال: بُني أساس الكعبة من خمسة أجبل: من طور سينا ومن طور زيتا ومن لبنان ومن الجودي ومن حِراء.

قرأتُ بخط أبي محمد بن صابر فيما نقله من خط أبي الحسين محمد بن عبدالله الرازي،

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

حدّثني أبو محمد عبد الرّحمٰن بن أحمد بن الحجاج بن رشدين سعد المصْري، أنبأنا يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، أنبأنا أبي، أنبأنا عبدالله بن لَهْيَعة، عن أبي قَبيل، عن كعب قال: أربعة أجْبُل، جبل الخليل ولبنان والطور والجُودي، يكون كل واحد منهم يوم القيامة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والأرض، يرجعن إلى بيت المقدس حتى تجعل في زواياه ويضع [الجبار جلّ جلاله] عليها كرسيّه حتى يقضي بين أهل الجنة والنار ﴿و[ترى] الملائكةَ حَافِّين من حَولِ العرشِ يُسبّحون بحمدِ ربّهم، وقُضيَ بينهم بالحقّ وقيل الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[١].

قال أبو الحسين الرازي: حدّثني الفضل بن مهاجر، أنبأنا إبراهيم بن خلف، أنبأ محمد بن مَخْلَد، عن ابن مطيع، عن أبي معاوية بن يحيى، عن صفوان بن عمرو، عن حُدَير بن كُرَيب، عن كعب قال: جَبَل لبنان كان عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال: وقال كعب: لبنان أحد الثمانية أجبل تحمل العرش يوم القيامة.

أخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة، عن عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنبأنا تمام بن محمد الرازي، أنبأنا أبي أبو الحسين، أنبأنا محمد بن جعفر بن ملاس، نبأنا الحسن بن محمد بن بلال، نبأنا هشام بن عمّار، نبأنا ابن عياش، نبأنا صفوان بن عمرو، عن أبي الزاهرية قال: أُنبئنا جَبَل لبنان أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة.

قال أبو الحسين: وأخبرني بكر بن عبدالله، أنبأنا إبراهيم بن ناصح، أنبأنا نُعيم بن حمّاد، أنبأنا محمد بن حِمْيَر عن الوَضين بن عطاء: أن رسول الله ﷺ قال: «**جبل الخليل جَبَلٌ مقدّس، وأن الفتنة لما ظهرت في بني إسرائيل أوحى الله تعالى إلى أنبيائهم أن يفرّوا بدينهم إلى جَبَل الخليل**»[٤٩١][٢].

وحكى بعض أهل العلم قال: سمعت مشايخ أهل الشام يزعمون أن جبل الخليل إنّما سمّي بذلك لأنّ الله تبارك وتعالى لما أوحى إلى الجبال أنّي أريد أن أتجلّى إلى موسى على بعضك تطاولتْ وشمختْ، غير جبل الخليل فإنّه استخزى وتطامن فسُمّي بذلك جبل الخليل.

وجدته في بعض الكتب القديمة.

أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن هشام بن سوار، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الأذرعي، نبأنا الحسن بن عَرفة، أنبأنا عروة ابن مروان، أنبأنا إسماعيل بن عيّاش، عن الأحوَص بن حكيم، عن أبي الزاهرية في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ويحملُ عرشَ ربّك فوقَهُم يومئذٍ ثمانيةٌ﴾ قال: جبل لبنان أحد حَملة العرش يوم القيامة.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٢) السلسلة الضعيفة للألباني: ح٨٢٥ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٤٠.

أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي الصُّوري، ونقلته من كتاب، أنبأ الشريف أبو الفضل جعفر بن أبي النضر الحسيني ـ بعكا ـ أنبأنا القاضي أبو الفتح عُبيد الله بن الحسين بن أبي مطر، أنبأنا الحسين بن عمر بن الحسن بن أبي إسحاق الفقيه، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن عمرو بن عثمان بن سعيد، أنبأنا أبو نصر بن مطروح بن محمد بن شاكر، حدّثنا هانيء بن المتوكل، عن محمد بن عِياض، أنبأنا أبو عمر، أنبأنا أبو بكر الهُذَلي، عن طاووس، عن أبي هريرة وأبي الدّرداء: لقي أنس أبا الدرداء وأبا هريرة وابن مسعود مقبلين من سلسلة، وسلسلة حصن يكون من ساحل دمشق فيه منبر. قال: فأقمتُ بسلسلة، وذلك أن جبريل عليه السلام عرض على رسول الله ﷺ ذكر سواحل الشام، فعرض عليه سلسلة فوجدها مكتوب في أسفله: بأن غدر وفي جنّة المأوى(١).

قال عبدالله بن مسعود: أقمت فيها ثلاث اقتصرت الصلاة. والقصر فيها كمن أتمّ الصلاة سبعين سنة.

قال أبو الدّرداء: فصلّيت فيها أربع ركعات قرأت في الركعة الأولى الحمد لله، وقل هو الله أحد، وفي الثانية الحمد لله وإذا جاء نصر الله، وفي الثالثة الحمدُ لله، وقل يا أيها الكافرون وفي الرابعة الحمدُ لله وإذا زلزلت الأرض زلزالها وسمعت رسول الله ﷺ ذكره وحدّث به.

أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني، أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنبأنا أبو محمد ابن أبي نصر، أنبأنا أبو علي الحسن بن يحيى القُرشي، أنبأنا إبراهيم اليماني، قال: قدمت من اليمن فأتيت سفيان الثوري فقلت: يا أبا عبدالله، إنّي جعلت في نفسي أن أنزل جدّة فأرابط بها كل سنة، وأعتمر في كل شهر عمرة، وأحجّ في كل سنة حجّة وأقرب من أهلي أحياء أحب إليك أم آتي الشام؟ فقال لي: يا أخا أهل اليمن عليك بسواحل أهل الشام، عليك بسواحل أهل الشام، عليك بسواحل أهل الشام، فإن هذا البيت يحجّه في كل عام مائة ألف ومائتا ألف وثلاثمائة ألف وما شاء الله تعالى من التضعيف لك مثل حجّتهم وعُمرتهم ومناسكهم.

أنبأنا أبو القاسم الحسيني، أنبأنا عبد العزيز التميمي، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر، وأنبأنا أبو محمد ابن الأكفاني، أنبأنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنبأنا أبو نصر، أنبأنا أبو علي، نبأنا محمد بن أحمد يعني ابن عبدوس الصوري، أنبأنا يعقوب بن كعب، أنبأنا خالد بن يزيد، أنبأنا فهيد بن يزيد، أنبأنا فهيد بن مُطرّف، عن خَليد بن دَعْلَج، عن أبي علي، عن كعب قال: يا أهل الشام يا أهل الشام من أراد منكم الرفق في المعيشة مع العبادة فعليه ببيسان، ومن أراد منكم السعة في الرزق والسلامة في الدين فعليه بعِرْقة، ومن أراد منكم أن يُجمع له دينه ودُنياه فعليه بصُور.

---

(١) في مختصر ابن منظور: «فوجدها مكتوبة في أسكفة باب عدن وهي جنة المأوى» وفي المطبوعة: «فوجدها مكتوب في أسفلها بأنها عدن وهي جنّة المأوى».

باب
ذكر عدد كنائس أهل الذمّة
التي صالحُوا عليها من سلف من هذه الأمة

أَخْبَرَنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة السُّلمي قالا: أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الصُّوفي، أنبأنا أبو القاسم تمام بن محمد، وأبو محمد عبد العزيز عبد الوهّاب بن جعفر قالا: أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة، أنبأنا أحمد بن المُعلّى قال: أنبأنا تمام، وأخبرني أبو إسحاق بن سِنان ـ إجازة ـ أنبأنا أبو المُعلّى. قال تمام: وأخبرني يحيى بن عبدالله بن الحارث، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن عمر، أنبأنا أبو المُعلّى، أخبرني عمر بن محمد بن الغاز الجُرَشي، أنبأنا ضَمْرَة عن رجاء بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز قال: إنه كان في عهد دمشق خمس عشرة كنيسة.

قال ابن المُعلّى: فأخبرني إسماعيل بن أبان، حدّثني عبد الرّحمٰن بن إبراهيم، حدّثني أبو مُسهِر قال: أقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا [عشر] بطريقاً. فأقروا في منازلهم. وكان لكلّ بطريق منهم في منزله، يعني كنيسته، فأقاموا بها حيناً، ثم بدا لهم فهربوا من دمشق، وتركوا تلك المنازل، فأُقطعها قومٌ من أشراف دمشق منهم بَحْدَل وابن مُدْلج العُذري وغيرهما. فلما ولي عمر ابن عبد العزيز أخرج أولادهم منها وردّها على الأعاجم. فلمّا مات عمر ردت إلى أولاد الذين أُقطعوها.

قال: وأخبرني عمرو بن محمد بن الغاز الجُرَشي، نبأنا ضمرة، عن رجاء بن أبي سلمة، قال: خاصم النصارى حسّان بن مالك الكلبي إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة بدمشق. فقال له عمر: إن كانت من الخمسة عشر كنيسة التي في عَهْدهم فلا سبيل لك إليها.

قال ابن المُعلّى: حدّثني عمر بن محمد، أنبأنا ضَمْرَة، عن علي بن أبي حَمَلة، قال: خاصمت العرب في كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نصر كان معاوية قطعهم إيّاها. فأخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها إلى النصارى. فلما ولي يزيد ردّها إلى بني نصر.

قال ابن المُعلّى: وقرأت كتاب سجل من يحيى بن حمزة لتينك نصارى قصبة دمشق أنه ذكروا له أنه شجر بينهم وبين رئيسهم في دينهم وجماعتهم من أهل القرى وعتاقة العرب والغرباء اختلاف وفرقة، وأنهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء لهم بما في عَهْدهم وكتابه الذي كتبه لهم خالد ابن الوليد عند فتح مدينتهم، فدعوتهم بحجّتهم فأتوني بكتاب خالد بن الوليد لهم فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق يوم فتحها. أعطاهم أماناً لأنفسهم ولأموالهم وكنائسهم ولا نهدمنّه ولا نسكننّه لهم على ذلك ذمّة الله، وذمّة الرسول عليه الصلاة والسلام، وذمّة الخلفاء وذمّة المؤمنين ألّا يعرض لهم أحد إلّا بخير إذا أعطوا الذي عليهم

من الجزية.

شهد هذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص، وعِياض بن غَنْم، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو عبيدة بن الجرّاح، ومَعْمَر بن غياث، وشُرحبيل بن حَسَنَة، وعُمير بن سعد، ويزيد بن نُبَيشة، وعبدالله بن الحارث، وقُضاعي بن عامر.

وكتب في شهر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة.

وقرأت كتابهم فوجدته خاصة لهم، وفحصت عن أمرهم فوجدت فتحها بعد حصار، ووجدت ما وراء حيطانها لرفعة الجَبَل ومن كثرة الرماح، ونظرت في جزيتهم [فوجدتها] وظيفة عليهم خاصة دون غيرهم. فقضيت لهم بكنائسهم حين وجدتهم أهل هذا العهد، وأبناء البلد بنكاً تلداً ووجدت من نازعهم لفيفاً طرقاء عليهم، وذلك لو أنهم أسلموا بعد فتحها كان لهم صرفها ومساجد ومساكن فلهم في آخر الدهر ما في أوّلهم، وقضيت لمن نازعهم بما كان لهم فيها من خلية أو أبنية أو كنيسة أو كسوة أو بناءٍ أو عرصة[1] أضافوا ذلك إليها يُدفع ذلك إليهم بأعيانه إن قُدر عليه أو قيمة عدل يوم ينظر فيه شهده.

عدد كنائس النصارى التي دخلت في صلحهم بدمشق خمس عشرة كنيسة في قبلة المدينة: كنيسة اليعقوص، وكنيسة بحضرة، وكنيسة المقسلّاط، وكنيسة بحضرة ذكر بن أبي حكيم، وكنيسة بحضرة سوق الفاكهة، وكنيسة بحضرة بني لجلاح، وكنيسة مريم، وكنيسة اليهود.

وفي شآم المدينة: كنيسة القلانس، وكنيسة يوحنا التي بنيت مسجداً، وكنيسة حُميد بن درّة، وكنيسة بحضرة دار ابن زرناق، وكنيسة المُصلبة وممّا وجدت كنيسة بناها أبو جعفر المنصور لبني قطيطافي الفوريق، وممّا وجدت أيضاً كنيسة العُبّاد.

أما كنيسة اليعقوبيين فهي التي كانت خلف الحبس الجديد يدخل إليها من الأكافين التي هي اليوم، من سوق علي، الدرب الذي فيه أقمين حمام الأكافين، ومن درب السوسي. قد بقي من بنائها بعضه، وقد خربت منذ دهر.

وأمّا كنيسة المقسلّاط فخربت أيضاً، وقد كان بقي من قناطرها وعُمُدها بعضها، فنقلت أصخارها فجعلت في العمارات. وأما التي عند زين أبي حكيم فهي التي في رأس درب القُرشيين وهي صغيرة بعضها باق إلى اليوم وقد تشعّث.

وأمّا التي بسُوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت.

وأمّا التي بحضرة دار بني لجلاح فهي التي كانت في درب بني نصر من درب الحبّالين ودرب التميمي، وأدركتُ من بنائها بقايا خربت أكثرها.

(١) في مختصر ابن منظور: من حلية أو آنية أو كسوة أو بناءٍ أو عرصة.

وأمّا كنيسة مريم فمعروفة باقية، وأكبر ما بقي من الكنائس.

وكنيسة اليهود عند الخير باقية، وقد كانت لهم كنيسة أخرى في درب البلاغة لا ذكر لها في كتاب الصُّلح، جعلت مسجداً.

وأمّا كنيسة مريض فكانت غربي القيسارية الفخرية خربت وأدركت من بنائها بعض أساس الحنية.

وأمّا كنيسة [القلانس] فكانت في موضع دار الوكالة فخربت.

وأمّا كنيسة يوحنا فهي الجامع المعمور اليوم، بقي لهم نصفه كنيسة إلى أن أخذهما منهم الوليد ابن عبد الملك كما تقدّم.

وأمّا كنيسة حُميد [بن] دَرَّة فهي باقية إلى اليوم، وقد خربت، أكثرها في درب حُميد، وحُميد هو ابن عمرو بن مُساحق القُرشي العامري، وأمّه درّة بن أبي هاشم خال معاوية بن أبي سفيان. وهو أبو هاشم بن عُتبة بن ربيعة. كان الدرب إقطاعاً له فنسبت الكنيسة إليه وهو مُسْلم.

وأمّا الكنيسة التي عند دار ابن زرناق فهي المعروفة اليوم بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين رحبة خالد بن أسيد بن أبي العاص، وبين درب طلحة بن عمرو بن مُرّة الجُهَني.

وأمّا كنيسة المصلّبة فهي باقية لهم إلى اليوم، بين باب الشرقي وباب توما بقرب الفسْطس عند السور وقد خربت أكثرها وبعد ذلك هدمت بعد الثمانين.

وأمّا الذي كانت أحدثت في الفورنق فهي التي جعلت مسجداً عند درب [كرار] ويُسمّى اليوم مسجد الجنيق.

وأمّا كنيسة العبّاد فهما اللتان أحدهما عند دار ابن الماشكي، وقد جعلت مسجداً، والأخرى التي في رأس درب النقاشين قد جعلت مسجداً.

باب
ذكر بعض الدور التي كانت داخل السُّور

أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا الكتاني أبو محمد عبد العزيز، أنبأنا تمام بن محمد الرازي، أنبأنا محمد بن سليمان، أنبأنا محمد بن الفيض، أنبأنا إبراهيم بن هشام بن يحيى، حدّثني أبي، عن جدي قال: لما استُخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شري الخضراء وهي دار الإمارة بدمشق، فابتاعها منه بأربعين ألف ديناراً وأربع ضياع بأربعة أجناد الشام اختارهن. فاختار من فلسطين عِمْوَاس، ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق أندر، ومن حمص دير زكّى[١].

قال: قال: وأنبأنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى، حدّثني أبي، عن جدّي قال: لما بنى معاوية الخضراء بدمشق ـ وهي دار الإمارة ـ بالطوب، فلما فرغ منها قدم عليها رسول الملك الروم فنظر إليها، فقال له معاوية: كيف ترى هذا البنيان؟ قال: أما أعلاه فللعصافير، وأمّا أسفله فللفأر. قال: فنقضها معاوية وبناها بالحجارة.

ذكر أبو الحسين محمد بن عبدالله الرازي فيما نقلته من كتابه، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عُمير بن يوسف بن جَوْصَا الدمشقي، أنبأنا الهيثم بن مروان بن الهيثم بن عمران العبسي، حدّثني خالد [بن] محمد بن عبدالله بن عايذ ببعض ذلك، وحدّثني أحمد بن عبدالله بن حُميد بن سعيد ابن أبي العجائز الدمشقي، عن عمّه وغيره من مشايخ أهل دمشق، عن من تقدّم من شيوخهم ببعض ذلك، وحدّثهم أبو الحارث إسماعيل بن إبراهيم بن إسحاق المِزّي الدمشقي قال: جمعتُ هذا من كتب جماعة [من] شيوخنا الدمشقيين ببعض ذلك. قال [أبو] الحسين: فجمعت هذا كلّه في هذا الكتاب، فذكره قال:

زقاق عطّاف، هو عطّاف المعلم، كان ينسب إلى أيمن بن خُريم بن فاتك الأسدي.

دار واثلة بن الأسقع الليثي هي قبلة دار ابن البقال والمسجد الذي على رأس درب ابن البقال شآمها. الشارع على النهر، مسجد واثلة بن الأسقع.

الفندق مع حمام الجمحي مع دار ابن سيل كلّها كانت دار جرير بن عبدالله البجلي الصحابي.

دار أبي الخلاس الصغير في زقاق أبي الخلاس موضع الفندق سكنها أبو عُبيدة بن الجرّاح مدّة.

الدار التي على شارع دار البطيخ الكبيرة، التي فيها البناء القديم، يعرف بدار بني نصر، كانت كنيسة النصارى، فنزلها ملك بن عوف النصري، أوّل ما فتحت دمشق.

---

(١) أُنظر معجم البلدان، فلا دير زكّى في حمص!.

فقال بعضهم: إن الدار المعروفة بابن الدجاجة في غرب سقيفة جناح دار ابي قحافة، ومعاوية ابني عفيف ولهما صحبة.

دار ملك بن هُبيرة السّكوني: دار خلف باب الشرقي معروفة، إذا دخلت من باب الشرقي بالعوامين يعني في قنطرة سنان.

قال: ويقولون إن الدار التي بحذائها ـ يفتح بابها قبلةً إلى الطريق التي يأخذ إلى باب شرقي وقنطرة سنان ـ دار عُقبة بن عامر الجُهني الصحابي.

دار بني الأكشف يعني بقنطرة سنان كان جدّهم الأزري صحابياً وكانت لهم هذه الدار أنزلها.

دار النخلة في النيبطُن كانت لأبي عزيز الأزدي وهو صحابي، في أوّل ما فتحت دمشق.

دار تعرف اليوم ببني بحشل [بالنيبطون. كانت لوابصة] يعني ابن معبد الصحابي مع ضيعة تعرف بالوابصي إقطاع له بعد الفتح.

دار طلحة التي في الزقاق المعروف ببني طلحة بحضرة مسجد ابن عُمير ومنزلهم. هو طلحة بن عمرو بن مُرّة الجُهَني كانت لأبيه عمرو بن مُرّة الجُهَني ـ وهو صحابي ـ اقطاع له.

الدار والحمّام المعروفان بخالد في رحبة خالد. هو خالد بن أسيد الذي ولّاه النبي ﷺ مكة.

الدار المعروفة بدار واثلة في رحبة حمام خالد [وهي] دار واثلة بن الخطاب العَدَوي، عدي قريش، وهو صحابي من رهط عمر بن الخطاب.

دار الأنصار عند دار بني حيّان في نواحي السوق من باب توما. ويقال: إنها كانت دار عوف بن مالك الأشجعي.

الدار المعروفة ببني صميد مع التي تليها من القبلة، والمسجد، كانت دار أبي الغادية وهي من الصوافي، يعني في ناحية سوق الطير(١).

دار بني هبّار القُرَشي، يعني بناحية الديماس، هي دار هبّار بن الأسود الصحابي.

وذُكر عن الرازي: أن الدار التي في سقيفة كروس كانت لعبد الله بن عمرو بن العاص.

الدار التي في سوق الدقيق، شرقي الطريق، التي على بابها المسجد، كانت دار أوس بن أوس الثقفي الصحابي.

الدار التي في سوق القمح عند أصحاب الكهف وتعرف اليوم بفندق بن موسى وفندق ابن حيّة، دارُ فَضالة بن عُبيد الأنصاري.

الدار المعروفة نُبيشة في سوق الريحان، وسوق نبيشة النجارين دار يزيد بن نُبَيشة أمير معاوية على دمشق وهو الذي حجبه معاوية حين سوّد لحيته، وهو أحد الشهود في أهل دمشق حتى

---

(١) تاريخ المدارس للنعيمي: ٢ / ٢٤٠.

فتحت، وهو جد أبي بكر القُرشي. ويزيد بن نُبَيشة صحابي قُرشي من بني عامر بن لؤي.

الدار التي في سوق القمح عند أصحاب الكهف وتعرف اليوم بفندق ابن موسى، وفندق بن حية، دار فَضالة بن عُبيد الأنصاري الصحابي، ودار ابن سعد الأنصاري الصحابي، عمّ حرام بن حكيم الأنصاري يعني عبدالله. وذكر غير الرازي أن فَضالة كانت له دار بباب البريد أيضاً.

الدار التي تحد باب الريح وغرب سوق القمح، والفرن، والدار التي تعرف بالسلي كما تدور، كلّها كانت دار عبدالله بن عامر بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف، وعبدالله بن عامر صحابي.

الدار التي نزلها يزيد بن أبي سفيان يعني السجن اليوم، والخضراء التي كان فيها معاوية بن أبي سفيان من بناء أهل الجاهلية من البناء القديم.

الدار المعروفة بابن أمية شاّم [دار سبل] دار عبد الرّحمٰن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. وكانت مَرّة ديواناً، غربي المسجد الجامع بينهما الطريق. وهي التي بناها ايديز عياش(١) أمير دمشق. انتهى.

الدار المعروفة بدار أبي الدرداء في باب البريد، كانت دار أبي الدرداء عُوَيْمر بن عامر الأنصاري الصحابي، كانت لمعاوية بن أبي سفيان. فلما قدم أبو الدرداء من حمص أنزله معاوية معه في الخضراء ثم حوله إلى هذه الدار ووهبها له، التي

تعرف بدار العزي.

الدار التي في سوق الطرائف المعروفة بدار الخالديين، دار الحجاج بن عِلاط السُّلمي الصحابي، ثم صارت لابنه خالد بن الحجاج بن عِلاط فعرفت الدار والسوق بالخالديين.

الدار المتحدرة على لسانك

وأنت مارّ إلى حجر الذهب كانت دار أبي عُبيدة بن الجرّاح الصحابي أمير الأمراء بالشام. وجدّدها من القرية التي بحذاء دار بني نهيك وديوان الغوطة ماداً إلى ا لدار التي كانت لابن يدعباش ماداً إلى الطريق المربعة التي تَنفذ إلى زقاق الهاشميّين وباب الجابية وغيرها.

دار بني عبد المطلب الهاشميين من أوّل الزقاق وأنت داخل عن يمينك، والدار الكبيرة ماداً إلى الزقاق الضيق تعرف بدار بني عبد المطلب. وعبد المطلب هذا صحابي. هو عبد المطلب بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف، قدم عبد المطلب دمشق في خلافة عمر بن الخطاب وولاية معاوية بن أبي سُفيان فأقطعه معاوية هذه الدار. وهذه الدار دار عبد المطلب التي كان فيها لعمر

---

(١) كذا بالأصل، وفي خع: «ابن يزيد بن عباس» وفي المطبوعة: «ابن يدغباش» . وسيرد قريباً صواباً.

ابن الخطاب قصة في الجاهلية يعني مع البطريق الذي سحره.

الدار المعروفة بدار الضحاك، وحمام الضحاك في حجر الذهب هي دار الضحاك بن قيس الصحابي، أمير معاوية ويزيد على دمشق، وهي ممّا يتلي حائط المدينة، وفيها من دارهم دار سهل ابن الحنظلية الأنصاري الصحابي. هي دار الضحاك بن قيس الفِهري. كانت لسَهْل فتوفي سهل ولا عقب له فكتب معاوية إلى عمر بن الخطاب فأقطعه إيّاها. فوهبها معاوية للضحاك، وهي غرب حمّام الضحاك. ووجدتُ في موضع آخر: دار الضحاك هي الدار المشرفة على بردا، كانت لأبي الدرداء، ففائضة بموضع دار أبي الدرداء، والله تعالى أعلم.

دار حبيب بن مَسْلَمة الفِهري إلى جانب دار بني طلحة من القبلة عند حمام طلحة وهي الدار المشرفة على نهر بردا عند طاحونة الثقفية، يعني طاحونة القلعة.

الدار المعروفة بني كودب في الفسطين التي تنفذ إلى حمام الهاشميين كانت دار عمرو بن العاص بن وائل السُّلَمي السَّهمي الصحابي وهي من حدود بن الشعارين إلى زقاق الهاشميين كما تدور. وكان لعمرو بن العاص دار أخرى في جيرون عند سقيفة كردوس.

الدار المعروفة بالشعارين كانت دار بُسْر بن أبي أرطأة القُرشي الصحابي جدّ أبي عبد الملك. وكان من ولده محدّثون بالبصرة منهم محمد بن الوليد البُسري الذي يروي عن غندر عن شعبة. ومنهم من سكن البصرة أحمد بن بكار، روى عن الوليد بن مسلم.

وحدود هذه الدار من عند دار بني كردل ودار الشعارين كلها إلى الدار التي كان فيها أبو زُرعة النّصري إلى الحمام التي إلى الجعفري ماداً إلى القيسارية التي بناها الجعفري السور كله، وشرق زقاق الأسديين.

الدار المعروفة بالأسديين في شآم زقاق الأسديين الذي عند باب الجابية الذي على يمينك وأنت خارج من باب الجابية في صدر الزقاق، هي دار سَبْرَة بن فاتك الأسدي الصحابي أخي خُرَيم ابن فاتك الأسدي، ويقال إنها كانت دار سارية الأسدي صاحب عمر بن الخطاب الذي ناداه به وهو بحُلوان في حرب المجوس: يا سارية الجَبَل.

فهذا ذكر الدار التي لها ذكر، وأصحابها صحابةٌ لهم منزلةٌ وقدر، دون ما عداها من دور بني أمية ومن سواهم من الرعية، التي يطول الكتاب بذكرها ولا سبيل إلى تحقيق أمرها لتغيرها عن أوضاعها، لكثرة نواحيها وأصقاعها.

فأمّا ما كان من البنيان خارجاً عن السور من الأبنية والدور والمنازل والقصور.

فقرأت بخط أبي الحسين الرازي:

أخْبَرَنا أبو دقاقة أسلم بن محمد، أنبأنا محمد بن هارون بن بكار بن بلال عن هشام بن عمّار، أنبأنا صدقة بن خالد، نا هاشم بن عفيف، قال: حدّثني راشد اليماني وكان من المصلّين العابدين:

أنّ كعب الأحبار خرج من دمشق ومعه نفر يشيّعونه فخرج من باب الجابية حتى إذا كان عند الثنيّة من دير ابن أوفى وقف ثم نظر إلى خلفه ثم سار حتى جاوز الكُسوة. فلما ودّعوهُ سألوه عن ذلك قال: أما نظري حين خرجت من باب الجابية ووقوفي على الثنية فإن البنيان يتصل إليها حتى يسير السائر في ضوء السراج حتى ينتهي إليها.

قال: وأخبرني محمد بن جعفر بن محمد، أنبأنا أبي، عن أبيه يحيى بن حمزة، أنبأنا إسحاق بن يحيى ابن عبدالله بن طلحة، عن عبدالله بن ضَمْرَة قال: لقيت شيخاً بدمشق قد جالس كعب الأحبار فقال: سمعت كعباً يقول: يتصل العمران ما بين [باب] الجابية إلى البُضَيْع.

قال: سمعت جدي مصر بن العلاء يقول: إنه كان يعرف من رأس زقاق فذايا إلى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل. وإن جدّه مطر بن العلاء حكى عن شيوخه: أن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا.

وسمعتُ بعض شيوخنا يحكي عن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء، عمّن حدّثه أنه جلس على جسر نهر يزيد ليلة فعد بضعة عشر من قدور ممّا حمل إلى ساكني تلك البلد لكثرة من كان يسكن بها.

وبلغني أنه كان على نهر [يزيد] رواشن مشرفة على النهر. وكان أكثر ظاهر البلد منازل للقبائل، وقرى متصلة وأبنية متقاربة، فخرب أكثر ذلك في الفتن والحروب والحصارات. وباد أهلوه وتمادى عليه الخراب إلى الآن. وكل موضع حُفِر إلّا وجد فيه أثر العمارة من سائر نواحي البلد من قبليه وشرقيه وشاميه وغربيه والله يحرس ما بقي منها ويحميه بمنه ولطفه.

فممّا سمّي لنا من منازلها القبلية:

فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب اليوم.

والراهب قبلة المصلي عن يسار الماء قبل المسجد الجديد بعد مسجد فلوس.

ومحلة السفلين عند المسجد الجديد.

والشماسية عند مسجد القدم.

وعالية وعويلية قبلة مسجد القدم، والقطائع وبجّ حوران، قبلي الشاغور وغير ذلك.

ومن شآمه: شطراً، والفراديس، والأوزاع، والصدف ومقري، وشعبان، ومرج الأشعريين وغير ذلك.

ومن الغرب: لؤلؤة الكبير، ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء، والحميريين ومنازل بني رُعَين وغير ذلك.

سِوى ما كان من شرقيه من قرى الغوطة والمرج من القصور والديورة والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة ممّا عفي رَسمه وبقي ذكره واسمه.

باب
ما جاء في ذكر الأنهار
المحتفرة للشرب وسقي الزرع والأشجار

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن هبة الله بن عبد الملك بن أحمد الواسطي، أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرني عبد العزيز بن أحمد الكتاني، نا تمام بن محمد بن عبدالله الرازي الحافظ، أخبرني أبي، وأبو العباس أحمد بن عُتبة بن مكين الأطروش، قالا: أنا أبو القاسم عمّار بن الخزر بن عمّار الجسريني بجسرين، نا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن يزيد بن زُفَر الأحمري البَعْلَبَكّي بدمشق، قال: قال أبي عبدُالله: حدّثني أبي يزيد، عن جدّي زُفَر قال: سألت مكحولاً عن نهر يزيد وكيف كان قصته قال: سألت منّي خبيراً اخبرني الثقة أنه كان نهراً نباطيا يجري شيئاً، يسقي ضيعتين في الغوطة لقومٍ يقال لهم بنو فوقا. ولم يكن فيه لأحد شيء غيرهم. فماتوا في خلافة معاوية ولم يبق لهم وارثٌ. فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستّين، وَوَلي ابنه يزيد فنظر إلى أرض واسعةٍ ليس لها ماء. وكان مهندساً، فنظر إلى النهر فإذا هو صغير. فأمر بحفره ومنعه من ذلك أهل الغوطة، ودافعوه فلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله. فأجابوه إلى ذلك، فاحتفر نهراً في سعة ستّة أشبار وعرضه وعمقه ستّة أشبار، وله ملء جنبتيه. وكان على ذلك كما شرط لهم. فهذه قصة نهر يزيد.

ومات في رجب سنة أربع وستين حتى ولي هشام بن عبد الملك فسأله أهل قرية حَرَسْتا شرب شفاههم وماء لمسجدهم، فكلم فاطمة ابنة عاتكة ابنة يزيد في ذلك، فأجابته على أنه احتفر نهراً صغيراً يجري إلى مسجدهم للشرب لا لغيره، وفتح الحجر الذي يمر منه الماء بقرية حَرَسْتا فتراً في فترٍ مستدير، يجري لهم من الأرض على مقدار شبر من ارتفاع بطن النهر.

وسأله عبد العزيز مولى هشام أن يُجري له شيئاً يسقي ضيعته، فأجابه بعد أن سأل في أمره، يوم الأربعاء، وصُيِّرت له ماصية فتحها شبر في أصغر من شبر.

ثم سأله خالد على أن يسقي ضيعته فأجابه إلى يوم الخميس فهيئت عليه ماصية كحكاية هذه الماصية.

وأقام رجل من أهل دمشق يقال له جرجة بن قعرا عند سُليمان بن عبد الملك شاهدين يشهدان له في النهر قناة تجري إلى حمام له يديره، وزعم أنها كانت عجمية، فسجّل له سُليمان بذلك سجلاً وهي رطل من الماء يجري في سيلون في ديره.

وقلّ الماء في ولاية سُليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردا إلّا شيء يسير. فشكوا ذلك إلى سُليمان [فأرسل سليمان] عُبيد بن أسلم مولاه إلى أصل العين لكرايتها، فدخلوا لكرايتها، فبينما

هم كذلك إذا هم بباب من حديد مشبك يخرج الماء من كوىً فيه، يسمعون داخلها صوت ماء كثير، ويسمعون صوت اضطرابِ السمك فيها فكتبوا إلى سليمان بذلك، فأمرهم أن لا يحرّكوا شيئاً، وأن يكروا بين يديه فأكروا.

ولم يزل كذلك إلى زمن ولاية هشام بن عبد الملك، لم يكن فيه شيء أكثر من ذلك، فشكا أهل بردا قلّة الماء إلى هشام بن عبد الملك فأمر القاسم بن زياد أن يماز لهم الأنهار فمازها، فأعطى أهل نهر يزيد ست عشرة مسكبة [والفرق الكبير خمس مساكب والفرق الصغير أربع مساكب، ونهر داريا ست عشر مسكبة] ونهر ثورة اثنتين وأربعين مسكبة، ونهر باناس ثلاثين مسكبة، ومسكبة فيه حملت فيه تصب ليزيد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية، وثلاث مساكب للفضل بن صالح الهاشمي حملت فيه من بعده، ونهر مجذول اثنتي عشرة مسكبة، ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة، ونهر حيوة وهو نهر الزلف اثنتي عشرة مسكبة، ونهر التومة العليا خمس مساكب، ونهر التومة السفلى أربع مساكب، ونهر الزابون أربع مساكب، ونهر المَلَك أربع مساكب والقنا لم تماز يومئذ تأخذ ملء جنبتيها.

وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له الوقية فجعله في القناة إلى المسجد، والحجر شبر ونصف في شبرٍ ونصف، وثقب الثقب شبراً في أقل من شبرٍ على أنه إذا انقطعت القناة أو اعتلّت ليس لأحد أن يأخذ من ماء الوقية شيئاً ولا لأصحاب القساطل فيها حق، فإذا جرت يأخذ كل ذي حق حقّه ويفتح القساطل على الولاء.

وقال يزيد: أنا أدركت القناة يدخل فيها الرجل يسير فيها، وهي مسقوفة يمد يديه فلا ينال سقفها، وليس فيها شيء مثلوم. ومات يزيد بن معاوية في رجب سنة أربع وستين. فهذه قصة نهر يزيد.

وَوَلِيَ سُليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين. وتوفي سُليمان يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين. وسجل سُليمان بن عبد الملك لجرجة بن قعرا سجلاً وأشهد فيه شهوداً ونسخة سجله: بسم الله الرّحمن الرحيم هذا كتاب كتبه سُليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين لجرحة بن قعرا بثبات قناته في نهر يزيد إلى ديره لمّا قامت البيّنة.

وشهد له: عبد العزيز بن عبد الرحيم اليَحْصُبي وعبدالله بن الحُصين بن المبارك الهمداني، وزيد ابن أسلم بن عبدالله القرشي، ومحمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن العباس الهاشمي وكتب شهادته بخطه على سليمان بن عبد الملك بما في هذا الكتاب يوم الخميس في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين.

وكتب سليمان بن عبد الملك بخطه، وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً، بحضرة جماعة من أهل دمشق وغوطتها منهم: عبد الرحيم بن محمد بن عبدالله البكري، ويزيد بن محمد بن

القاسم الهمداني، وعُبيد الله بن شبل الفِهري، وحكيم بن عبدالله بن المبارك الحجبي، والفضل بن عبد الكريم القُرشي، وعبد الله بن المبارك النميري من أهل الغوطة من قرية طرميس، وذكوان بن عبدالله مولى عبد الملك بن مروان، ومحمد بن يزيد بن عبدالله مولى عبد الملك، والفضل بن القاسم مولى بني هاشم.

ومات هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لستٍ خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة.

رواه غيره فقال: أحمد بن عُبيد الله بن يزيد.

قرأته على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنا تمام الرازي، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن الفرج بن البِرامي، نا أبو بكر محمد بن خُرَيم، نا أبو بكر محمد بن عبد الرّحمٰن، حدّثني أبو عبدالله أحمد بن عُبيدالله بن يزيد، حدّثني أبي عُبيد الله بن يزيد، حدّثني أبي يزيد بن زُفَر، عن أبيه زُفر قال: سألت مكحولاً عن نهر يزيد كيف قصته قال: [سألت] مني خبيراً، أخبرني الثقة أنه كان نهراً صغيراً نباطياً يجري فيه شيء [يسير يسقي ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم بنو فوقا ولم يكن لأحد فيه شيء] غيرهم، فماتوا في خلافة معاوية بن أبي سُفيان ولم يبق لهم وارث، فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين، وولي ابنه يزيد، فنظر إلى أرض واسعة ليس لها ماء، وكان مهندساً، فنظر إلى النهر فإذا هو صغير، فأمر بحفره، فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه، فلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله، فأجابوه إلى ذلك. فاحتفر نهراً سعته ستة أشبار في عمق ستة أشبار، على أن له ملء جنبتيه وكان كما شرط لهم. فهذه قصة نهر يزيد [ومات يزيد] في رجب سنة أربع وستين.

فلم يزل كذلك حتى استخلف سُليمان بن عبد الملك. فأقام عنده رجل من أهل الذمّة يقال له جرجة بن قعرا لشاهدين يشهدان أن له في النهر قناة تجري إلى حمّام له يديده وزعم أنها كانت عجمية، تجري في سيلون إلى ديره، وهو رطل من الماء، فسجّل له سليمان بذلك سجلاً وأشهد شهوداً ونسخته:

بسم الله الرّحمن الرحيم. هذا كتاب كتبه سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين لجرجة بن قعرا بثبات قناةٍ في نهر يزيد [إلى ديره] لما قامت له البيّنة. وفيه من [الشهود، وشهد له] عبد العزيز بن عبد الرّحمٰن اليحصُبي، وعبدالله بن الحُصين بن المبارك الهمداني، ويزيد بن أسلم بن عبدالله القُرشي، وعبدالله بن عبد الرّحمٰن بن عبد الملك من أهل الغوطة، ومحمد بن عبد الرّحمٰن وكتب شهادته سُليمان بن عبد الملك يأمره في هذا الكتاب يوم الخميس في شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين.

وكتب سليمان بن عبد الملك بخطه، وأشهد الله على نفسه، وكفى بالله شهيداً.

وقلّ الماء في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردا إلّا شيء يسير. فشكوا إلى سُليمان فوجّه مولاه عُبيدة بن أسلم إلى أصل الماء العين ليكريها، فدخلوا ليكروها فبينما هم كذلك إذا هم بباب حديد مشبك يخرج الماء من كوىً فيه، يسمعون داخلها صوت اضطراب السمك فيها. فكتبوا بذلك إلى سليمان فأمرهم أن لا يحركوا شيئاً وأن يكروا بين يديها.

فلم يزل كذلك في خلافة سليمان بن عبدالملك حتى ولي هشام بن عبد الملك فسألوه أهل قرية حَرَسْتا ماء لشرب شفاههم في مسجدهم، فكلّم فاطمة بنت عبد الملك ـ يعني ابنة عاتكة، وعاتكة ابنة يزيد ـ في ذلك [فأجابته] على أن يحفر نهراً صغيراً يجري إلى مساجدهم للشرب لا لغيره. وفتح [الحجر] الذي أمر به فتراً في فترٍ مستدير يجري من الأرض على قدر شبر من ارتفاع الأرض.

وسأله مولاه عبد العزيز أن يُجري له شيئاً يسقي به أرضه فأجابه بعد أن سأله في أمره يوم الأربعاء، فصيّر له ماصية فتحها شبر في أقل من شبر.

ثم سأله خالد أن يسقي ضيعته، فأجابه كإجابته هذه الماصية.

ثم شكا أهل بردا قلّة الماء إلى هشام بن عبد الملك فأمر القاسم بن زياد أن يُماز لهم الأنهار فمازهَا، فأعطى نهر يزيد ست عشرة مسكبة، وأعطى الغور الكبير عشر مساكب، والغور الصغير خمس مساكب، ونهر داريا ست عشرة مسكبة، وأعطى نهر ثورة اثنتين وأربعين مسكبة، وفيه يومئذ أربع عشرة ماصية يسقي ليس عليها رَحا، ونهر قينية إحدى عشرة مسكبة، ونهر باناس ثلاثين مسكبة، ومسكبة حملت فيه ليزيد بن أبي مريم مولى بني الحنظلية، وثلاث مساكب للفضل ابن صالح بن صالح الهاشمي حملت فيه من بعد، ونهر مجذول اثنتي عشرة مسكبة، ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة، ونهر حيوة ـ وهو نهر الزلف ـ اثنتي عشرة مسكبة، ونهر التومة العليا خمس مساكب، ونهر التومة السفلى أربع مساكب، ونهر الزابُون أربع مساكب، ونهر الملك أربع مساكب، والقناة لم تكن تماز يومئذ تأخذ ملء جنبتيها، وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يُقال له الوقية فجعله في القناة إلى المسجد. والحجر شبر ونصف، والثقب شبر في أقل من شبر، على أنه إذا انقطعت القناة أو اعتلّت ليس لأحد أن يأخذ من ماء الوقية شيئاً، ولا لأصحاب القساطيل فيها حق، فإذا جرت يأخذ كل ذي حقٍّ حقّه، وتفتح القساطل على الولاء.

وقال يزيد: أنا أدركت القناة يدخل فيها الرجل يسير فيها وهي مسقوفة، يمدّ يده فلا ينال سقفها، وليس فيها شيء معلوم.

وحضر جماعة من أهل دمشق وغوطتها، منهم هذا التماز الذي قسم القاسم بن زياد سنة خمس عشرة ومائة، منهم عبد الرّحمٰن بن محمد بن عبدالله البكري، ويزيد بن محمد بن القاسم

الهمداني، وعبدالله بن شبيل الفِهري، وحكيم بن عبد الله بن عبد الله بن المبارك الجُمحي، والفضل بن عبد الكريم القرشي، وعبدالله بن المبارك النميري، من أهل الغوطة، من أهل قرية طرميس، وذكوان بن عبدالله مولى عبد الملك بن مروان، ومحمد بن يزيد بن عبدالله مولى عبد الملك، والفضل بن القاسم مولى بني هاشم.

ومات هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لستٍ خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة.

فهذه الأنهار التي ينتفع بها الداني والقاصي، وينقسم منها الماء إلى الأرضين في الجداول من المواصي ويدخل من بعدها إلى البلد في القنيّ فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهني، ويتفرّق إلى البرك والحمّامات، ويجري في الشوارع والسقايات، وذلك من المرافق الهنيّة، والمواهب الجزيلة السنية، والفُضَيلة العظيمة المبنية التي اعتُدّت من فضائل هذه المدينة، إذ الماء في أكثر البلاد لا يُنال إلّا بالثمن، وهو الذي تحصل به حياة النفوس وإزالة الدرن. وقد جاء عن خاتم الأنبياء في فضل سقي الماء:

ما أخبرنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا أبو عمرو بن السِّمَّاك، نا محمد بن أحمد بن أبي العوّام، نا أبي، أنا داود بن عطاء، عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي، عن أبيه، عن يزيد بن خُصيفة وعن يزيد بن رُومان، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ليس صَدَقَةٌ أعظم أجراً من ماء**»**[٤٩٢]**(١).

أخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصين، أنا أبو علي بن المُذْهِب، أنا أبو بكر بن مالك، نا عبدالله بن أحمد حدّثني أبي، نا حجاج قال: سمعت شعبة يحدث عن قَتادة قال: سمعت الحسن يحدث عن سعد بن عُبادة(٢) أن أمه ماتت فقال: يا رسول الله إنّ أمّي ماتت أفتأصدّق عليها ؟ قال: «**نعم**» قال: فأيّ الصدقة أفضل ؟ قال: «**سقي الماء**» قال: فتلك سقاية آل سعد بالمدينة.

صوابه: أفأتصدق عنها**[٤٩٣]**.

أخْبَرَنا أبو عبدالله الفُراوي، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله العمري، أنا أبو محمد عبدالرّحمن بن أحمد الأنصاري، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرّذَاني، أنا أبو أحمد حُميد بن زَنْجُويه النّسوي، نا محمد بن كثير العبدي، نا عُبيد بن واقد، عن عرضي بن زياد السَّدُوسي عن شيخ من عبد قيس، عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ما لا يحل منعه ؟ قال: «**الماء والملح والنار. يا عائشة مَنْ سقى الماء حيث يوجد فكأنّما أعتق نفساً، ومن سقى الماء حيث لا يوجد فكأنّما أحيا نفساً، ومن أُخِذ من منزله ملح فطُيِّب به طعام كان كمن تصدّق بذلك الطعام على أهله، ومَنْ**

(١) الترغيب والترهيب: ٢ / ٧٣. (٢) مسند أحمد: ٥ / ٢٨٥.

أُخِذت من منزله نار، لم يُنتفع من تلك النار بشيء إلّا كان له صَدَقة»[٤٩٤](١).

قال: ونا حُميد بن زَنْجَويه، نا حجاج بن نُصير، نا موسى الدقاق، نا موسى الصفار، قال: سألت ابن عباس أي الصَّدَقة أفضل ؟ قال: [سألت رسول الله ﷺ أي الصَّدَقة أفضل أو سُئل أي الصّدقة أفضل ؟ قال:] **اسق الماء، ثلاث مرّات، اسق الماء**، ثلاث مرّات[٤٩٥].

أخْبَرَنا أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عُبيد، نا تمتام، نا محمد بن أبي بكر المُقدّمي، نا موسى بن عبد العزيز، نا أبو موسى، قال: سألت ابن عباس أي الصّدقة أفضل ؟ قال: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: **«اسق الماء»**[٤٩٦].

قال ثم قال: **«ألم ترَ إلى أهْل النار إذا استغاثوا يُغاثوا**(٢) **بماءٍ كالمُهْل قال ﴿أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم﴾**(٣)**»**[٤٩٧].

فهذه الأحاديث الخمسة وغيرها من الأخبار تدل على [أن] التصدّق(٤) بالماء من القُرب الكبار.

وبدمشق قُنيّ لها أوقاف معينة، وهي عند متولي الأوقاف معلومة مبيّنة، وأكثرها ليس لها أوقاف ولكن يجري عليها من المسلمين إسعاف فيَحصُل بجملتها الانتفاع وتطيب بمجاورتها الأسقاع. وأنا ذاكرها، ومثبت عددها، ليعرفها من أحب أن يعددها.

فمن ذلك ما هو في الجانب القبلي:

قناة ابن الفاخوري عند مسجد السقطيين وباب الجابية، لها وقف.

قناة عند باب درب القصاعين تجديد الملك العادل.

قناة في أول القصاعين عن يمنة الداخل.

قناة أخرى في القصاعين، على باب دار ابن النقار.

قناة أخرى فيها، عند دار سندقرا.

قناة أخرى عند دار ابن الخياط.

قناة عند سقاية الشيخ.

قناة في القيسارية الفخرية.

قناة الفلانسيّين عند رأس الخوّاصين لها وقف.

قناة في دَرب السوسي عند سوق علي.

قناة عند طرف سوق علي وطرف المقسلّاط يعرف بالجلادين لها وقف.

---

(١) مسند أحمد: ٣ / ٣٨٠ ط.م.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى الكهف ٢٩ ﴿وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهلِ يشوي الوُجوه﴾.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٩.

(٤) في مختصر ابن منظور: ١ / ٢٩٥: الصدقة.

قناة عند السجن الجديد، والفنادق، أنشأها الملك العادل.
قناة عند مسجد واثلة يعرف بحسين الشنباشي، كانت قد خربت فجدّدها.
قناة الزلّاقة لها وقف.
قناة عند حمام أبي نصر.
قناة الطويلة عند حمام ابن أبي نصر.
قناة عند طرف سوق الصَّرف لها وقف(١).
قناة ابن القصيعة في السوق الكبير عند رأس البزوريين ودرب الريحان.
قناة الملح عند رأس وطرف الجلّادين، لها وقف.
قناة في سوق البزوريين، في الفندق.
قناة عند فندق البيع.
قناة في درب القرشيين.
قناة في درب الناقديين.
قناة عند دكان ابن مقلد الشوّافي قبة اللحم.
قناة في درب البقل تعرف بابن عنقود.
قناة في حارة الخاطب يعرف بابن عبد الرّزّاق المحتسب.
قناة أخرى داخل حارة الخاطب.
قناة عند حمام الجبن.
قناة سوق اللؤلؤ.
قناة ابن شفون في درب في طرف سوق اللؤلؤ.
قناة المناخلين والآبارين في سوق الطير، بناها ابن لجاج، لها وقف.
قناة الثلاج عند باب دار بطيخ.
قناة في أوّل درب الفراش، عند دار سلمان.
قناة في درب الفراش عند دار ابن عِلّان.
قناة أخرى في درب الفراش بناها أبو يَعْلَى النصراني.
قناة تحت الكوشك.
قناة درب العلف.

---

(١) قوله: «لها وقف» سقط من المطبوعة.

قناة سويقة كنيسة مريم.

قناة درب الحجر.

قناة أخرى في درب الحجر، تعرف بابن خطية، مُعطلة.

قناة العميد بن الجسطار عند مسجده.

قناة في سويقة الباب الشرقي عند درب الداراني.

قناة داخل الباب الشرقي.

قناة أخرى خارج الباب الشرقي في ملاصق الباشورة.

ومن شآمي البلد:

قناة في درب الشعّارين.

قناة في درب الهاشميين، عند الحمّام الجديد.

قناة أخرى فيه عنده أرجكة.

قناة طبرا بن التنيسي عند دار علي كرد.

قناة في القلعة المحروسة عند الباب.

قناة أخرى في قبلي القلعة.

قناة في أوّل درب اللبان عند القيسارية.

قناة أخرى فيه في فندق من غربي الدرب المذكور.

قناة عند طرف درب اللبان ومدرسة أكر أنشأها الملك العادل.

قناة عند المدرسة تعرف بقناة السباع.

قناة عند دار ناصح الدولة بقرب آخر زقاق اللبان.

قناة عند دار يغمور عند التوتة من حجر الذهب.

قناة في رأس دَرْب الأنصار ودار البابا.

قناة عند المدرسة المعينية.

قناة على باب حمام القصير.

قناة عند دار البسار وطاحونته.

قناة عند دار إسماعيل الطبيب.

قناة عند دار خضر بن عمر بن بختيار السّلار في الأفتريس.

قناة أخرى في الأفتريس عند دار جناح الدولة.

قناة ابن حزور عند باب الخوّاصين لها وقف.

قناة في دهليز دار الشريف ابن أبي الجن.

قناة ابن الحبوبي في درب معز.
قناة بزان الكردي عند باب مدرسته معطلة.
قناة باب الخضراء عند المدرسة الأمينية.
قناة في داخل الخضراء تحت المنارة الشرقية.
قناتا باب البريد.
قناة عند باب الجامع الغربي عند سقاية باب البريد.
قناة الطرائفيين تحت المنارة الغربية، وعند البيمارستان.
قناة عند دار الحُكم.
قناة أخرى بقربها عند دار أبي الحسن السلحدار.
قناة عند دار صمد في سويقة باب البريد.
قناة في دهليز دار إلى جانب دار العزّي.
قناة عند رباط النساء ودار ابن زُرعة.
قناة عند حمام العقيقي.
قناة خلف دار أتابك طغتكين.
قناة في دهليز الشنباشي، معطلة.
قناة أخرى في هذا الدرب، عند الفرن.
قناة في دهليز دار الشريف أبي تراب، ويعرف بابن منزوا.
قناة في مسجد باب الفراديس، داخل الباب.
قناة عند دار السّلار، ودار عطاء مُحاذي دار أتابك.
قناة النطافين على باب الجامع.
قناة عند دار العميد بن يَعْلَى بن القلانسي.
قناة داخل دار السميساطي.
قناة داخل درب بوقة، عند باب النطافين.
قناة خربوز عند مدرسة الحنابلة.
قناة سوق القمح لها وقف.
قناة ابن المغربي في درب الريحان.
قناة في درب قليد.

قناة في سوق أم حكيم، وهو سوق العلبيين[١].

قناة الرحبة.

قناة زقاق العجم لها وقف.

قناة في مشهد الرأس على باب الجامع.

قناة جيرون وتعرف بقناة القثاء لها وقف.

قناة دار خديجة خربت.

قناة في درب كشك.

وقناة أخرى فيه.

قناة في درب خُفيف عند دار ابن الشيرجي.

قناة في سقيفة القطيعي عند المدرسة التي في دارطرخان.

قناة اللحامين على باب جيرون.

قناة في عُقبة الصوف.

قناة أخرى في درب في عُقبة الصُّوف مُعطلة.

قناة عند باب قيسارية الفِراء معطلة.

قناة الوزير أبي على المَزدقاني على باب داره.

قناة عند دار ابن أخته كريم الملك.

قناة عند دار ابن المصّيصي تُعرف بسمنديار مُعطلة.

قناة عند دار ابن البري ومسجد الأذرعي.

قناة في زقاق صفوان.

وفيه قناة أخرى معطلة.

قناة في طرف الأساكفة العتق، ورأس سوق الأحد.

قناة عند دار ابن الشحاذة، داخل باب السّلامة.

قناة داخل باب السلامة أيضاً، أنشأها الملك العادل بحضرة دار ابن التميس وإلى جانبها سقاية.

قناة سوق الأحد قناة لها وقف.

قناة سوق الغزل العتيق لها وقف.

قناة ابن أبي الحديد.

قناة صالح في الفورنق لها وقف.

---

(١) تاريخ المدارس للنعيمي: ٢ / ٢٤٠.

قناة على باب الجينيق في السقاية.

قناة خواجة يعقوب في الجينيق.

قناة ابن الماشكي.

قناة عند دار الشريف أحمد هي دار ابن بُوري خان.

قناة في درب العلوي النافذ إلى المربعة، عند دار صالح بن أسد الكاتب، وتعرف بدار عضب الدولة.

قناة في رحبة خالد بن أسيد.

قناة المنحدرة عند قنطرة ابن مدلج.

قناة الزيني في سُويقة باب توما.

قناة داخل الباب عند مسجد صعلوك مُعطلة.

قناة عند دار ابن الشوائي داخل باب توما.

قناة النيبطُن.

فهذه قنيّ البلد وَمَبْلغها مائة ونيّف وثلاثون قناة.

وفي ظاهر البلد من القبلة:

قناة بهاء الدولة عند جسر سوق الدواب.

وقناة على الباب الصغير.

وقناة في الشاغور.

ومن شآمه:

قناة على باب توما ملاصقة للسور.

وقناة عند الجسر والسبع أنابيب، وفيها أربعة عشر أنبوباً.

وقناة في طرف زقاق الرمّان عند مسجد القصب.

وقناة على باب الفراديس عند السقاية.

وقناة في عقب الجسر مقابل مسجد بزان.

وقناة في وسط العقيبة.

وقناة على باب مسجد فيروز.

وقناة في مسجد فيروز.

قناة عند النهر في وسط مقبرة باب الفراديس.

وقناة عند دار أم البنين.

وقناة عند حمام راهب، في العقيبة.

وقناة عند مسجد الوزير.

ومن غربيه:

قناة في مسجد الجنان.

وقناة على بابه، وقناة على باب الجابية ملاصقة للباب.

وقناة في قصر حجاج.

فذلك تسع عشرة قناة.

فأمّا الحمّامات

فحمام القلعة المحروسة.

وحمام القاضي عند باب الجابية.

وحمام داخل القصّاعين.

وحمام داخل درب الهاشميين المعروف بالجديد، كان قديماً، فخرب فجدّده حسن الخادم.

وحمام القصير.

وحمام بنت الأمير جاروخ لطيف.

وحمام الشريف العقيقي.

وحمام الديوان لطيف.

وحمام القلانسيين عند القيسارية الفخرية.

وحمام الأكافين الذي في سوق علي.

وحمام نور الدين الجديد، في سوق القمح.

وحمام ابن أبي نصر، خلف سويقة الباب الصغير.

وحمام درب النخلة عند باب الصغير وقفه نور الدين رحمه الله.

وحمام الحجي بقرب المقسلّاط في درب الجُمحي. خرب وصار داراً لابن قوام.

وحمام سويد عند دار ابن منزوا.

وحمام السلم في زقاق السلم عند المسلخ.

وحمام درب البقل.

وحمام الرحبة.

وحمام عند باب النطّافين، يعرف بالمؤيد.

وحمام إلى جانبه يعرف بالسلّارية.

وحمام خفيف، في درب خفيف، بقرب باب الفراديس.

وحمام ابن كلي عند دار طرخان.

وحمام النحاسين بقرب سقيفة كروس على بئر.

وحمام عنده يعرف بابن القُطيطة على بئر أيضاً.

وحمام دار الوزير المَزْدقاني صغير.

وحمام الجبن، في درب الجبن، خلف الحدّادين.

وحمام ابن أبي هشام، في درب الحبّالين.

وحمام التميمي في دار البطيخ، فخرب وصار مساكن.

وحمام في الخريميين خلف سوق المطرزيين على بئر.

وحمام المطرزيين خلف قناة سوق الأحد.

وحمام اللؤلؤة، كان قديماً يُعرف بحمام اليزيديين وكان لطيفاً، على مدار، فكُبّر وسيقت له قناة، والمدار باقٍ إلى اليوم.

وحمام ابن أبي الحديد عند منارة فيروز.

وحمام العلوي خلف طريق العلوي، في كنيسة مريم.

وحمام درب الحجر كان على بئر فسيق إليه الماء.

وحمام عند رأس قنطرة سنان.

وحمام خطلبا بقرب كنيسة مريم.

وحمام ابن عُبادة بقرب حير قسام وسقيقة جناح.

وحمام علي المنجنيقي عند الباب الشرقي.

وحمام ابن صَصْري عند باب توما، له قناة وله بئر.

وحمّام للشريف عند دار ابن بُوري خان، له قناة وله بئر.

وفي الأرض

حمام الأسد على باب الجابية.

وحماما أبي المعالي بن تميم في العقيبة.

وحمام ابن قرقين بقرب حمامَيْ ابن تميم.

وحمام بناه ابن زاكي بقرب قبة طرخان.

وحمام توماس بقرب الرحا البرمكية.

وحمام عند عوينة القصّارين.

وحمام يُعرف براهب الكلّاس في دار أم البنين.

وحمام آخر بقرب عوينة الحمى.

وحمّام عند رأس بستان بكجور.

وحمام آخر إلى جانبه.

وحمامان عند عين كمشتكين، خارج باب السلامة.

وحمام ابن معين الذي خارج باب توما بقرب السبع أنابيب.

وحمام ابن صَدَقة، في الشاغور، خارج باب الصغير.

وحمام ابن عُبادة في الشاغور أيضاً.

وحمام القصر بالنيرب الأسفل.

وحمّام ابن العفيف بوادي النيرب.

فمبلغها سبعة وخمسون حمّاماً سوى حمامات القرى.

باب
ما ورد عن الحكماء والعُلماء
في مدح دمشق بطيب الهواء وعذوبة الماء

أخْبَرَنا على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد التميمي، أنا تمام الرازي، نا أبو محمد عبدالله بن أيوب الحافظ، أنا محمد بن أحمد بن عبدالله بن البنا الصّنعاني، نا أبي، نا ميمون بن الحكم، قال الشيخ أبو محمد عبدالله يعني ابن عمرو بن كيسان قال: وسمعت أبي يحدث وأحسبه عن وهب ح.

وأنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الخطيب، نا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، أنا عبدالوهاب بن عبدالله بن عمر المُرّي، نا عبدالله بن محمد بن أيوب القطان، نا ابن البنا ـ بصنعاء ـ وهو عبدالله بن محمد بن الحسن الصّنعاني، حدّثني أبي عن عبدالله بن عمر بن كَيسان، عن أبيه قال: أحسبه عن وهب بن مُنبّه قال: لما أري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لم يسأل إلاّ عن غوطة دمشق وعن جنّتي سبَأ.

قرأتُ بخط أبي الحس رشأ بن نظيف المقريء، وأنبأنيه أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الوحش سُبَيْع بن المُسلّم المقريء، عنه، أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سِيْبَخْت البغدادي، نا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس الصّوْلي، حدثني ثعلب، نا ابن شبيب يعني عبدالله، حدّثني عمر بن عبّاد المُهلّبي، قال: كان الرشيد يقول: الدنيا أربعة منازل قد نزلت ثلاثةً منها: أحدها الرّقّة، والآخر دمشق، والآخر الرّيّ. في وسطه نهر وعن جنبتيه أشجار مُلتفة متصلة، وفيما بينها سوق. قال: والمنزل الرابع سَمَرقَند وهو الذي بقي عليّ لم أنزله، وأرجو أن لا يحول الحول في هذا الوقت حتّى أحلّ به.

فما كان بين هذا وبين أن توفي إلاّ أربعة أشهر فقط.

قرأتُ بخط أبي الحسين الرازي قال: قال أحمد بن الخير الورّاق الدمشقي: لم يزل مُلوك بني العبّاس تخفّ إلى دمشق طلباً للصحة وحُسن المنظر؛ منهم المأمون فإنّه أقام بها وأجرى إليها قناة من نهر منين في سفح جبلها إلى معسكره بدير مُرّان. وبنى القبة التي في أعلا جبل دي مُرّان وصيَّرها مرقباً يوقد في أعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره إذا جن عليه الليل، وكان ضوؤها وضياؤها يبلغ إلى ثنية العُقاب[١] وإلى جبل الثلج[٢].

---

(١) الجبل المطل على الغوطة والمرج (غوطة دمشق: ص١٨٠).

(٢) هو جبل الشيخ (غوطة دمشق: ١٨٠).

قال أبو الحسين الرازي: أخبرني أبو الحسن أحمد بن حُميد بن سعيد المعروف بابن أبي العجائز، نا محمد بن هارون بن محمد بن بكّار بن بلال العاملي، نا محمد بن [أبي] طيفور الجُرجاني، عن الفضل ابن مروان [أن] أمير المؤمنين المأمون صار إلى دمشق وهو رقيق فغلظ وأخذ بعض اللحم، وكان أكله قبل ذلك في كل يوم ثمان عشرة لقمة، فلما أقام بدمشق صار أكله في كل يوم أربعاً وعشرين لقمة، زيادة الثلث.

وقال محمد بن أبي طيفور: ويقال إن المأمون نظر يوماً [من بناءٍ كان فيه] إلى أشجار الغوطة وبنائها فحلف بالله أنها خير مَغنىً على وجه الأرض فقال بعض المؤلفين لحسن الكلام:

نظر المأمون يوماً	من دمشق من أباني
في رياض مونقات	بين أشجارٍ حسانِ
فمشى شوقاً إليها	ضاحكاً بين غواني
ثم آلى بيمين	إنّها خيرُ المغاني
فُرشت بالنور فَرْشاً	تحت ظلّ وسواني
اخضر رفّ رفيفاً	جارُه أحمرُ قاني

قال محمد بن أبي طيفور: ويقال: إن المأمون قال يوماً: عجبتُ لمن سكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي ليس يخلق مثله، فقال في ذلك بعض مؤلفي الكلام الحسن:

ليس في الدُنيا نعيمٌ	غير سُكنى في دمشق
تنظر العينان منها	منظراً ليس لخلق
جنة يفجر منها	ماءُ عينٍ ذاتِ دَفْق

قال محمد بن أبي طيفور: وبلغني أن المأمون كان بدمشق في طارمةٍ له والثلج يسقط عليه، فأصحر يده للثلج ساعة التذاذاً به.

قال محمد بن أبي طيفور: حدّثني يحيى بن أكثم القاضي قال: كنت بدمشق مع المأمون وحضرتُ طعامه فقدّم إليه طعام كثير من الفراريج. فجعل المأمون يأكل من تلك الفراريج ويتمطّق ويتلمظ ويتبسّم. وأنا لا أدري ما مقصده بتلمّظه. فلما استحكم له طعم الفراريج وبلغ نهاية الاستتمام إلى غايته في ذوقه نظر إلى الطبّاخ فقال: بأي شيءسَمَّنتَ هذه الفراريج ؟ وبما طيّبتها ؟ فقال الطباخ: هذه راعية دمشق لم تُسَمّن ولم تُطيّب. فقال لي: ما طعمٌ من طعام للطير ولا ريح من الروائح العذبة إلّا وقد خيل لي أنه في هذه الفراريج. هذا والله أرخصُ لحماً وأطيبُ طعماً وريحاً من مُسمّن كشكر ثم قال: أوما علمت أن فراريج كسكر فيها ثقل كسكر، وروائح آجامها، وكأنها من طير الماء فيها الطعم، فإن لم تعالج بالأبازير وتُطيّب بالأفواه، وتُرَوّا بالزيت المغسول، لم يمكن النظر إليه فضلاً عن أكله، وهي إذا عوينت بما وصفتُ وعولجت ففيها بقايا سنخها ولئن رجعتُ

إلى العراق لا ذقتُ منها شيئاً البتة.

قرأتُ بخط أبي الحسين الرازي، حدّثني أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن أبي قربة الثقفي، نا محمد بن هارون بن محمد بن بكّار بن بلال العاملي، نا محمد بن أبي طيفور قال: قال ابن أبي دؤاد: قال أمير المؤمنين المعتصم بالله: ما شبهت ساكن دمشق إلّا بالصائم في شدّة الكلف على الطعام فإنّه جائع أبداً. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين فنعمتِ النعمةُ هذه. قال: نعم خير بقاع الأرض إلّا أنه تورث الشدّة.

أخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني وأبو الحسن علي بن أحمد بن منصور الغسّاني، قالا: نا وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون، أنا أبو بكر الخطيب، أنا أبو طالب عمر بن إبراهيم الفقيه، نا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب ـ إملاء ـ حدّثني أبي، نا عسل بن ذكوان قال: قال الأصمعي: أحسن الدنيا ثلاثة: نهر الأُبلّة، وغوطة دمشق وسمرقَند وقال: حشوش الدنيا: عمان وأردبيل وهِيت.

قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحّامي، عن أبي بكر البيهقي، أنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، حدّثني أبو الحسين، وهو محمد بن عبد الرّحمن بن محمد المذكر، نا أحمد بن الخَضِر، نا الرياشي، عن الأصمعي قال: جنان الدنيا في ثلاثة مواضع: نهر مَعقِل بالبصرة، ودمشق بالشام، وسَمرقَند بخراسان.

أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني، نا عبد العزيز بن أحمد، أن عبد الوهّاب بن عبدالله ابن الجيان، نا عبدالله بن محمد بن أيوب الحافظ القطان، أنا أبو رَوْق الهِزّاني بالبصرة، نا الرياشي، عن الأصمعي قال: [ح].

وقرأتُ على أبي [محمد] عبد الكريم بن حمزة السّلمي، عن عبد العزيز بن أحمد، أنا تمام الرازي، نا عبدالله بن أيوب، نا أبو رَوْق الهِزّاني بالبصرة قال: وذكر عن الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: ـ وفي حديث ابن الجبان، نا الرياشي، عن الأصمعي قال: ـ جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر سَمَرقَند ونهر الأُبلّة.

وقرأتُ بخط أبي العلاء عبد الوهّاب بن عيسى بن عبد الرّحمٰن بن عيسى بن ماهان البغدادي، أنا أبو محمد الحسن بن رشيق ـ بالفسطاط ـ حدّثني أبو القاسِم الحسن بن آدم بن عبدالله العسقلاني، حدّثني عبيد بن محمد بن إبراهيم الكشوري، حدّثني سُليمان بن داود النّجراني، حدّثني الحسن بن يحيى، نا محمد بن يحيى العَدَني، عن محمد بن عثمان، عن غيره قال: في الدنيا ثلاث جنان: مرو من خُراسان، ودمشق من الشام، وصنعاء من اليمن. وجنّة هذه الجنان صنعاء.

وذكر بعض علماء المغاربة قال: قال قوم من المشرقيين: إن الله أسكنه ـ يعني آدم ـ بناعحية

كيكدر من كورة الصين، قال وهي التي تعرف في زماننا بمدينة لغبور. ويقولون: الصين أطيب البلاد، وأمّا الذي عليه العامة في الشق الغربي أن أطيب البلاد صنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والري من خُراسان، ونجران من الحجاز.

وذكر أبو الطيّب الوشاء أن الوليد بن عُبيد البحتري أنشده لنفسه(١):

قد رحلنا عن العراق عن قيظها الوَمدْ   حَبّذا العيش في دمشق إذا ليلها بردْ
حيث يستقبل الزمان ويُستحسن البَلدْ   سفرٌ جدّدت لنا اللهو أيّامُهُ الجُددْ
عزم الله للخليفة فيه على الرّشدْ

وذكر أبو بكر أحمد بن كامل القاضي قال: وفي دخول المتوكل دمشق يقول أبو عُبادة الوليد بن عُبيد البحتري الطائي [قصيدة] اقتضبتها وأوّلها:

العيش في ليل داريّا إذا بَرَدَا   والراحُ تمزجها بالماء منْ بَرَدَا
قل للإمام الذي عَمّت فواضلُهُ   شرقاً وغرباً فما نحصِي لها عددا
الله ولاك عن علم خلافتَهُ   والله أعطاك ما لم يُعطِهِ أحدا
وما بعثت عِتاق العيس في سفر   إلّا تعرّفت فيه الُيمنَ والرّشدا
أما دمشق فقد أبدت محاسنها   وقد وفى لك مُطريها بما وَعَدا
إذا أردت ملأتَ العين من بلدٍ   مُستحسنٍ وزَمانٍ يشبه البلدا
يُمسِي السحابُ على أجبالها فِرقاً   ويصبحُ النبتُ في صحرائها بَدَدا
فلستَ تُبصِرُ إلّا واكفاً خضلاً   أو يانعاً خَضِراً أو طائراً غَرِدَا
فكأنّما القيظُ ولّى بعد جيئته   أو الربيع دنا من بعدما بَعُدا

وممّا قاله فيها أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن الحلبي المعروف بالصنوبري. وقد أنشدني بعض قوله الفقيه أبو الحسن علي بن المُسَلّم السّلمي وأبو القاسم بن السمرقندي قالا: أنا أبو نصر الحسين ابن محمد بن طلّاب قال: أنشدنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن جُميع قال: أنشدني أبو بكر الصنوبري أبياتاً له غير هذه:

أمرّ بدير مُرّان فأحيا   وأجعل بيت لهوي بيت لِهْيَا
وتبرد علتي برداً فسقياً   لأيامي على بردا ورْعَيا
تفيض جداول البلّور منها   خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعدُ خدّاً   ومن رُمّانة لم تعد ثديا
ونعم الدار داريّا ففيها   صفا لي العيش حتى صار أريا

---

(١) الأبيات في ديوانه المطبوع، ط بيروت: ١ / ١٦ ـ ١٧.

ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
صفت دنيا دمشق لمصطفيها فلستُ أريد غير دمشق دنيا

ويَروَى: هي الدنيا دمشق لساكنيها.

وما قاله فيها أبو محمد عبد المحسن بن محمد الصُّوري، وقد أنشدنا بعض قوله الشريف أبو السّعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلي ببغداد، أنشدنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أنشدنا أبو عبدالله محمّد بن علي الصوري قال: أنشدنا أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصّوري:

كان ذمُّ الشام مذ كنتُ شاني فبهتني عنه دمشق الشآمِ
بلد ساكنوه قد جعلوا الجنة قبل الحساب دار مقامِ
البستها الأيّامُ رونق حُسنٍ ليس يفنى ولا مع الأيّامِ
ظاهرٌ طاهر الجمال كما البا طن خلقا هما معاً في تمامِ
غير أنّ الربيع يحكم في الظا هر إذْ كان أوضح الأحكامِ
برياضٍ أوصافها أبدَ الدهر يراها رياضة الأفهامِ
نثرت كلها يد الغيث فيها فأفانين زَهْرَهَا في انتظامِ
لم تفضل بطيبها جنة الخلد عليها بل فُضّلت بالدّوامِ
قسمت بين أهلها قسمةُ العد ل فعمّتهمُ يدا قسّامِ

وممّا قاله فيها أبو المطاع ذو القرنين أبو [محمّد] الحسن بن عبدالله بن حمدان التغلبي، وقد أنشدني بعض قوله أبو الحسين أحمد بن محمّد الفقيه السِّمْناني، بسِمْنان، أنشدنا أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القُشيري، أنشدنا الشريف أبو الحسن عمران بن موسى المغربي.

أنشدنا أبو المطاع:

إنـي حننتُ حنينَ مكتئبِ متردافِ الأحزانِ والكُربِ
متذكّرٍ في دارِ شقوته دارَ النعيم ومنزلَ الطربِ
جمعت مآرب كلِّ ذي إربٍ فيها ونُخبة كلِّ منتخبِ
فهواؤها تحيا النفوس به وترابُها كالمسك في التُّربِ
تجري بها الأمواه فوق حصى كرُضاب ثغرٍ باردٍ شنبِ
من كل عينٍ كالمِراةِ صفاً أو جدولٍ كمهنّد القُضُبِ
يشتق أخضر كالسماء له زهرٌ كمثلِ الأنجمِ الشُّهُبِ
هذا ومن شجر تَعَطُّفُه يحكي انعطافَ الخُرّدِ العُرُبِ
عشنا به زمناً نلَذُّ به في غفلةٍ من حادثِ النُّوَبِ

فـي فـتيةٍ فـطنوا لدهـرهمُ ... فـتناولوا اللـذات مـن كـثبِ
مـا شئتَ من جودٍ ومن كـرمٍ ... فـيهم ومـن ظَـرْفٍ ومـن أدبِ
مـتواصـلين عـلى مـناسبةٍ ... بـالفضلِ تُـغنيهم عـن النسبِ
كـم روحـةٍ بـدمشق رحتُ بـهم ... والشـمسُ قـد كـادت ولم تـغبِ
فكأنـما صـاغَ الأصيلُ بـها ... لقـصورِها شُـرُفاً مـن الذهبِ

وممّا قال له أيضاً في دمشق:

سـقى اللهُ أرضَ الغـوطتين وأهـلها ... فـلي بـجنوبِ الغـوطتين شجونُ
ومـا ذقتُ طـعم المـاء إلّا استخفّني ... إلى بـرد مـاء النـيربين حـنينُ
وقد كـان شكّي فـي الفراق يروعُني ... فكـيف أكـونُ اليـومَ وهـو يـقينُ ؟
فـوالله مـا فـارقتكم قـالياً لكـم ... ولكـنَّ مـا يُـقْضىٰ فسـوف يكـونُ

وممّا قال فيها أيضاً:

دعـاني مـن أطـلالِ بـرقة ثَـهْمَدِ ... ولا تـذكرا عـيشاً بـصحراءِ اربـدِ
فـماليَ مـن وجـدٍ بـنجدٍ وأهـلها ... ولا بـيَ مـن شـوقٍ إلى أمّ مـعبدِ
مـحلّة بـؤسٍ لا الحـياةُ عـزيزة ... لديـها ولا عـيشُ الكـريم بأرغـدِ
عـدتنيَ عـنها من دمشق وأرضـها ... مـرابـعُ ليس العـيشُ فـيها بأنكـدِ
بـحيثُ نسـيمُ الغـوطتين مـعطرٌ ... بأنـفاسِ زهـرٍ فـي الريـاض مُـبدّدِ
يمر عـلى أذكـى مـن المسك نـفحةً ... ويـجري عـلى مـاءٍ مـن الثلج أبـردِ

أنشدنا أبو المظفّر محمّد بن أسعد العراقي الحنفي الفقيه لنفسه بدمشق:

دع الرسـم لاح عـلى يـثرب ... وعُـج بـالمحصّب والأخشبِ
فـثمّ التـي هِـمْتَ مـن أجـلها ... وضاقتْ بك الأرضُ عن مـذهبِ
هـي الريـمُ مـا رمتَ عـن حبّها ... ولا رمت غـير هـوى المـلعبِ
ومَـنْ يـتناسى هـوى دارِه ... ويـرغبُ عـنها وفـيها رُبـي ؟
وهـل يـتبدّى مـمحلّ مجدبٌ ... ويـبدل بـالعُشْب الْـمخْصبِ
وقـفتُ بـها ذاكـراً عـهدها ... أُسـائل فـي الربـعِ عـن زينبِ
وأُعْـتِبُ مـن هـي مشـدوهةٌ ... عـن العَـتْبِ والعـاتبِ المُـغْضَبِ
بـوجهٍ كـصبح بـدا مُشـرقاً ... وشـعر تـجعّد كـالغيْهبِ
تـقولُ وفـي قـولها مـنّةٌ ... تأنَّ عـليّ ولا تـعتبِ
ألستَ بـبغداد عـاهدتني ... وكـنتَ بـها المـترَفَ المستبي
فأُبـعدتَ عـنها عـلى غِـرّةٍ ... ولم تـدرِ بـعدك مـا حـلّ بـي

فقلتُ أجل إنّها جنّة ... وما ذمّها قطُّ إلّا غبي
ولكن دعاني إلى تركها ... محاسنُ تبهرُ بالنيربِ
وبالمِزّةِ الجنّةُ المستلَذّ ... بها العيش والشرَفِ المعجبِ
وبالسهمِ ذي الثمر المشتهىٰ ... لجانيه والمِشْمِشِ الطيّبِ
تَرَنّمُ من فوق أشجاره ... طيورٌ بلحنٍ لها مُطرِبِ
فكم بلبلٍ هاج بِلْبالَنا ... وكم من هزارٍ ومن أخطبِ
وكم مُعربٍ فيها عن شجىً ... وكم من مُغنٍّ ومن مُغْرِبِ
بصوتٍ له مُسْتَلَذٍّ غداً ... بديعَ الترنّم مستعذَبِ
لأزهارِها نَشْرُ مسكٍ إذا ... نسيمٌ بها هبَّ أو زرنبِ
وأنهارُ جِلّقَ تجري إلى ... مساكِنها عذبةَ المشرَبِ
تُعين فتىً جُنَّ من مذهبٍ ... جنونَ المهوّسِ والمُذْهَبِ
وجامعها ما له مُشْبِهٌ ... بشرقِ البلاد ولا مَغربِ
كمثلِ أهلها ليس مثلٌ لهم ... لدى القسط فاطرب لهم واعجبِ
إذا وصفَ المرءُ ما فيهمُ ... من الدين والخير لم يكذبِ
فلا تطمعنْ في فراقي لهم ... فتلك طماعِيةُ الأشعبِ

أنشدني أبو محمّد عبدالله بن أحمد بن الحسين بن إسحاق بن النقّار الحِمْيري الكاتب لنفسه:

سقى اللهُ ما تحوي دمشقُ وحيّاها ... فما أطيب اللذاتِ فيها وأهْنَاها
نزلنا بها فاستوقَفَتْنا محاسنٌ ... يحنُّ إليها كلُّ قلبٍ ويهواها
لبسنا بها عيشاً رقيقاً رداؤه ... ونلنا بها من صَفْوَةِ اللهوِ أعلاها
ولم يبقَ فيها للمسرّاتِ بُقْعةٌ ... يُفَرِّحُ فيها القلبُ إلّا نزلناها
وكم ليلةٍ نادمتُ بَدْرَ تمامِها ... تَقَضَّتْ وما أبْقَتْ لنا غيرَ ذكراها
فآهاً على ذاك الزمانِ وطيبهِ ... وقَلَّ له من بعدِهِ قَوْلتي آها
فيا صاحبي إمّا حَمَلْتَ تحيّةً ... إلى دارِ أحبابٍ لنا طابَ مُغْناها
وقُلْ ذلك الوجدُ المبرِّح ثابتٌ ... وحُرْمةُ أيامِ الصِّبا ما أضعناها
فإن كانتِ الأيامُ أنْسَتْ عهودَنا ... فلسنا على طولِ المدى نتناساها
سلامٌ على تلك المحاسن إنّها ... مَحَطُّ صباباتِ النفوسِ ومَثْواها
رعى الله أيّاماً تَقَضَّتْ بقُرْبها ... فما كان أحلاها لديْنا وأمراها

وهذا باب لو استقصيتُه لطال، وأكسب قارئه الملال، وفي ذكر هذا القدر، ما يدل منها على جلالة القدر، وقد جمع الأمير أبو الفضل إسماعيل بن الأمير أبي العساكر سلطان بن علي بن منقذ

الكِنَاني في قصيدة له طوَّلَها، محاسنَ دمشق التي ذكرها غيره من الشعراء فأجملها، فأتى بها مستقصاةً وفصّلها، فشرّفها بما قال فيها وجمّلها.

أنشدنا الأمير [أبو الفضل] لنفسه:

يا زائراً يزجي القروم البُزّلا ... دع قصد بغداد وخَلِّ الموْصِلا
لا تُزْجها لسوى دمشق فإنّه ... سيُطيلُ حزّاً من تعدّى المِفصلا
بلد جلا صدأ الخواطرِ فانْثَنَت ... كالمُرْهَفاتِ البيضِ وافت صَيْقلا
عُوِّضْتُه عن موطني فوجدتُه ... أحلىٰ وأعذب في الفؤادِ وأجملا
لم ألتمس فيه لجسمي منزلاً ... حتى وجدتُ له بقلبيَ منزلا
ذو ربوةٍ جاء القُرانُ بذكرها ... ومساجدٍ بركاتُها لن تُجهلا
ومدارسٍ لم تأتِها في مُشْكلٍ ... إلّا وجدتَ فتىً يَحُلُّ المُشكِلا
ما أمَّها مرءٌ يكابدُ حَيْرةً ... وخصاصةً إلّا اهتدى وتموّلا
وبها وُقوفٌ لا يزال مُغِلُّها ... يَسْتَنْقذُ الأسرى ويُغني العُيّلا
وأئمّةٌ تُلقي الدروس وسادةٌ ... تَشْفي النفوسَ وداؤها قد أعضلا
ومعاشرٌ تخِذوا الصنائعَ مكسباً ... وأفاضلٌ حفِظوا العلوم تجمُّلا
وقبورُ قوم من دعا في مَطْلَب ... مُتَعَسِّرٍ أضحى بها مُتسهِّلا
من صالحينَ وتابعينَ وزمرةٍ ... شهداءَ شاهدتِ النبيَّ المرسلا
قدحوا بزَنْدِ هُدىً بطائر سَقْطه ... رُشْداً فأوْعَرَ في البلادِ وأسْهلا
وجحافلٌ توفي على عددِ الحصا ... تَذَرُ المحرّمَ بالسيوف مُحَلّلا
لم يعلُ من رَهَجٍ عليها عارضٌ ... إلّا أراك القَطْر نيلاً مُرسلا
تخشى جموعُ الشرك واحدَها ولا ... لوم لِشِرْب قطاً تخشّى أجْدلا
كم أحرزوا مِصراً وأردوا باسلاً ... وحووا مطهّمةً وحازوا مُطْفِلا
ورموا عقيراً بالصعيد مُزمّلاً ... وحووْا أسيراً بالحديد مكبّلا
ومُغِلٌّ حَوْرانٍ كسيلٍ دافقٍ ... يأتَمُّ من أرجاءِ جِلّقَ موجِلا
وتكاثرت فيها القُنيُّ فغادرت ... للواردين بكلِّ دَرْبٍ مَنْهَلا
وكأن جامعَها البديعَ بناؤه ... ملك يمير من المساجد جحفلا
ذو قبّةٍ رُفِعت، فضاهتْ قُلّةً ... ومنابرٍ بُنيتْ فحاكتْ مَعْقِلا
تبدو الأهلّةُ في أعاليها كما ... يبدو الهلال تعالياً وتهلّلا
ويريك سقفاً بالرصاص مُدَثّراً ... يعلو جداراً بالرُّخام مزمّلا
قد ألّف الأقوام بين شكوله ... فغدا الرخام بذاته متشكّلا

لم يرض تجليلاً بجصٍ فانبرى ... بالفصّ يعلوه النُّضارُ مُجَلّلا
يعشى سوامُ اللحظَ في أرجائه ... من عسجدٍ أرضاً ومن فصٍّ خلا
فإذا تذرُّ الشمسُ فيه تخاله ... برْقاً تألّقَ أو حريقاً مُشْعَلا
فكأنما محرابه من سُنْدُسٍ ... أو لؤلؤٍ وزمُرّدٍ قد فُصّلا
تُلي القُرانُ به وراع بحسنه ... فهدىٰ المُصيخ وحيّر المتأمّلا
وجدارُه القبليُّ رام بناءه ... هودٌ فجاب له الصخور وأثّلا
وتخالُ طاقاتِ الزجاج إذا بدتْ ... منه للحظك عبقرياً مُسْدلا
وهوى إليه رأسُ يحيى بعدما ... عشّاه من هوى الجريدة مُنْصَلا
وأتاه كهلاً جده بقضاء من ... آتاه حكماً قبل أن يتكهّلا
وترى صبيحةَ كلِّ يوم زمرةً ... في السُّبْع يتلون الكتاب المُنْزَلا
وبخطِّ ذي النورى فيهِ مُصْحَفٌ ... يجد الهدايةَ مَنْ قراه ومَنْ تلا
وله مصابيحٌ لهنّ سلاسلٌ ... تحكي الأسنّة والرماحَ الذُّبّلا
تبد والقبابُ بصحنه لك مثلما ... تبدو العرائسُ بالحليّ لتُجتلى
وعَلَت به فوّارةٌ من فضةٍ ... سالت فظنّوها مَعيناً سَلْسَلا
وببابه حركاتُ ساعاتٍ إذا ... فَتحتْ لها باباً تراجع مقفلا
ويريك بازيها وكلٌّ قد رمى ... من فيه بندقةً تُصيبُ سَجَنْجَلا
يحوي إذا متع النهار معاشراً ... شتّى الخلائقِ والطرائقِ والحِلا
فإذا دجى لم يحوِ إلّا خاضِعاً ... متوكّلاً، أوخاشعاً متبتّلا
أو خالياً متفكّراً، أو قارئاً ... متبصراً، أو داعياً متوسّلا
كل امرىء منهم تراه بمعزلٍ ... ومحلُّه يعلو السِّماكَ الأعزلا
وترى السفيه إذا الخصامُ علا به ... مثلَ الظليم رأى النعام فأرقلا
وإذا مررتَ على المنازلِ مُعرضاً ... عنها قضى لك حسنها أن تُقبلا
إن كنت لا تستطيع أن تتمثل الـ ... ـفردوسَ فانظرها تكن متمثّلا
وإذا عنان اللحظ أطلقه الفتى ... لم يلق إلّا جَنةً أو جدولا
أو رَوْضةً أو غَيْضةً أو قُبةً ... أو بُركةً أو ربوةً أو هيكلا
أو وادياً أو نادياً أو ملعباً ... أو مذهباً أو مِجْدلاً أو مَوْئلا
أو شارعاً يزهو بربع قد غدا ... فيه الرُّخام مُجزّعاً ومُفَصّلا
وفواكهٍ متخالفٍ أصنافها ... ممّا يشوقك مطعماً وتأمُّلا
مُصْفَرُّ تفّاحٍ بدا في أحمرٍ ... يحكي المحبَّ أتى الحبيب مقبّلا

والوردُ مثلُ الخدّ يعلوه من الـ … ـريحانِ صِدغٌ شعره قد زُجِّلا
وبنفسج كنُفاضةٍ من إثمِدٍ … تبديه أجفانُ البكاء تذلُّلا
وتخال نَوْرَ الباقلاءِ إذا بدا … للواحظِ الأبصارِ طرْفاً أحولا
نُشِرتْ مطارفُه وجاءك نشرُها … فحسبتَها وشياً تأرّج مَنْدلا
ويهز مرُّ نسيمها أشجارَها … فتخالُ غاداتٍ تشكّت أفْكَلا
وعلت غصونُ خِلافه محمرةً … وهفت بها ريحٌ فضاهت مشْعلا
وإذا البلابلُ أسمعتْ ترجيعها السّـ … ـالي تراجعَ وجده فتبلبلا
ومتى هوى ورقُ الغصونِ وجدتَه … ذهباً وكان زمرّداً لما علا
وكأن واديها قِرابٌ أخضرٌ … يستَلُّ من بردا حُساماً منصلا
والمرجُ والميدانُ مأهولان من … أُسْدِ الشرى ائتلفوا بغزلانِ الفلا
متماثلان وكلٌّ مثلٍ منهما … تلفيه من باقي البسيطة أمثلا
وكأنّه من قوم كسرى إذ غدا … بلباسهم متأزّراً متسرْبلا
ولطالما عاينتُ في قُطرَيْهما … خيلاً رواتعَ أوخميساً مُرْقِلا
والشمسُ تبغي بالهلال النجم والضر … غام يجتنب الغزالة والطّلا
وعلا عليها قاسيون كأنّه … بنباه تاجٌ بالجواهرِ كُلِّلا
دع ذا وخُذْ في وصف مِشْمِشها الذي … أضحى على رُطَبِ العراق مفضَّلا
ولو أنّ قاروناً شراه بكلّ ما … جمعت يداه من الكنوزِ لما غلا
لفحته نيرانُ الهواجرِ فاغتدىٰ … كالجمر إلّا أنّه لا يُصطلى
خلع النّضاجُ عليه لونَ مُعَلّلٍ … أو مُغْرمٍ فأبى له أن ينجلا
وتخالفت أفعاله فتحيّرت … ألبابُنا فغدا العيانُ تخيّلا
تجنيه أيدي القوم جمراً مُضْرماً … فيعودُ في الأفواه ماءً سَلْسَلا
فإذا رآه الناسُ في أغصانه … قالوا نجومُ دُجُنَّةٍ لن تأفلا
ضاهت بواطنهُ الظواهر لذةً … وعهدتُه عسلاً تضمّن حنظلا
ولو أنها ما جمّلتْ بصفاتها … لغدا لها من أهلها ما جَمّلا
إن فاق أوّلُ عصرها فأخيرُه … يحلو لهم فبها يوفقُ الأوّلا
قد برّزوا في المأثراتِ وأحرزوا … قصبَ المفاخر وارتقوا درجَ العُلا
ومحى الإخاءُ حقودَهم فكأنّها … طَلَلٌ عفا بين الدّخول فحوملا
كلِفوا بتجديد المودّةِ والندى … لما رأوا أن الجديد إلى بِلى
فتراكضوا خيل السماحِ بدعوة … أضحى دخانُ العود فيها القسطلا

مـــن كـــل فـــادٍ عِـــرضَه بـــنُضارِه ... يـــذر المـــؤمِّل راحـــتيه مـــؤمّلا
يُـــبدي نـــدىً يُـغني وحـــلماً راجـحاً ... وسَـــجيّةً تُـــرضي وقـــولاً فـــيْصلا
نـــعم الجـليسُ فـإن غـدا فـي خـلوةٍ ... فكأنّـــه فـــيها يـــجالسُ مـــحفِلا
مـــقت الروافـــضَ والخـــوارجَ وانـثنى ... يـــحبو القـــرابـــة والصـــحابة بـالوَلا
مـــتمسّكاً بـــالسُّنّةِ البـــيضاءِ قـــد ... أضـــحى لهـــا مـــتقبّلا مـــتقبلا
ولقـــد وجَـــدتُ لهـــا مـــعانيَ جـــمةً ... لكـــن وجـــدت جـــوىً أحـــزّ المِـقولا
نـــزلت عـــليّ جـــبالَ هـــمٍّ أقـــلقتْ ... قـــلبي بـــلا لوم له إن أجْـــبلا
إنّ الزمـــان أدَار لي مـــن رَيـــبه ... كأســـاً جـــرعتُ بـها السمام مـثملا
مـــازال يـــطرقني بـــيوم أيْـــوم ... حـــتى رأيت الصـــبح ليـــلاً أليـــلا
وإذا غـــدا فكـــري أغـــم مـــجلحاً ... لم يَـــغد لي شـــعراً أغـــرّ مُـــحجَّلا
أهـــوى لنـــظمي أن يكـــون مـــنخّلا ... والهـــمّ يأبـــى أن يـــجيء مـــنخّلا
تـــالله لست بآمـــن فـــي وَصْـــفها ... خـــطلاً ولو أنـــي فـــضلتُ الأخـــطلا
لمـــا أتـــاني الأمـــر مـــنك بـــوصفها ... بـــادرتُ مـــمتثلاً له مـــتقبلا
ووجـــدت إلزامـــي بـــذاك مـــع الأســـى ... عِـــبئاً فـــدِحتَ بـــه حسـيراً مـــثقلا
فـــابسط بـــفضلك عـــذر خـــلك إن بـــدا ... زلل فـــإنك لم تـــزل مـــتفضّلا
وغـــريب وصـــفي قـــد أتـــاك مـــفصلا ... وســـواه لا يأتـــيك إلّا مُـــجمَلا

باب
ذكر تسمية أبوابها ونسبتها إلى أصحابها أو أربابها

البابُ القبلي المعروف بالباب الصغير، سُمّيَ بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت.

الباب الذي يليه من القبلة بشرقٍ يعرف بباب كَيْسان ينسب إلى كيسان مولى معاوية. وذكر هشام بن محمد الكلبي: أنه منسوب إلى كيسان مولى بشر بن عبادة بن حسّان بن جبار بن قرط الكلبي الكليبي وهو الآن مسدود.

الباب الشرقي سُمّي بذلك لأنّه شرقي البلد. وكان ثلاثة أبواب: بابٌ كبير في الوسط، وبابان صغيران من جانبيه. سد منها الكبير، والباب الصغير الذي من قبلته، وبقي الصغير الشامي.

باب توما من شامي البَلد. ينسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما. وكانت له على بابه كنيسة جُعلت بَعدمسجداً.

باب الجنيق من الشام أيضاً. منسوب إلى محلة الجينيق وهي مَحَلة كبيرة كانت بها كنيسة فجُعلت بعد مسجداً. وهو الآن مسدود.

باب السلامة من يلي شام البلد أيضاً سُمّي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار.

باب الفراديس من شامه أيضاً منسوب إلى محلة كانت خارج الباب تسمّى الفراديس هي الآن خراب. وكان للفراديس باب آخر عند باب السّلامة فسُدّ، والفراديس بلغة الروم: البَساتين.

باب الفرج من شامه أيضاً، محدث أحْدثه الملك العادل نور الدين وسمّاه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه. وكان بغربه بابٌ يسمّى باب العَمَارة فتح عند عمارة القلعة ثم سُد بعد وأثره باقٍ في السور.

باب الحديد من شامه أيضاً. هو الآن خاص للقلعة التي أُحدثت غربي البلد في دولة الأتراك. سُمّي بذلك لأنه كله حديد فقيل الباب.. ثم تركت الألف واللام تخفيفاً.

باب الجنان من غربي البلد سمّي بذلك لما يليه من الجنان، وهي البساتين. وقد كان مسدوداً ثم فتح.

باب الجابية من غربي البلد منسوبٌ إلى قرية الجابية[1] لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه ممّا يليها. وكان ثلاثة أبواب: الأوسط منها كبير، ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان الباب الشرقي. وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق معقدة من باب الجابية إلى الباب الشرقي. كان الأوسط

---

(١) قرية كانت من أعمال دمشق من عمل الجيدور من ناحية الجولان (ياقوت).

من الأسواق للناس، وأحد السوقين لمن يشرّق بدابّة والآخر لمن يغرّب بدابة[١] حتى إنه كان لا يلتقي فيها راكبان. فسُدّ الباب الكبير والشامي منها وبقي القبلي إلى الآن.

وفي السور أبواب صغار غير ما ذكرنا تفتح عند وجود الحاجة إليها منها.

باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن إسماعيل.

وباب في المربعة.

(١) في مختصر ابن منظور: «يشرق بدابته... بدابته».

باب
ذكر فضل مقابر أهل دمشق وذِكر من [بها من] الأنبياء وأُولي السبق

أَخْبَرَنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني، أنا أبو عبدالله محمد بن علي بن يحيى بن سلوان المازي، أنا الفضل بن جعفر التيمي، نا عبد الرّحمٰن بن القاسِم بن الفرج، نا أبو مسهر، نا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح، نا حبيب الوصّافي وعُمير بن ربيعة: أن كعب الأحبار كان يقول في مقبرة باب الفراديس: يبعث منها سبعون ألف شهيد، يُشَفَّعون في سبعين، كل إنسان في سبعين.

أَخْبَرَناه أبو بكر محمد بن عبد الباقي الفَرَضي، أنا إبراهيم بن سعيد الجمال، أنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي الأنماطي المعروف بابن حبقة، نا أبو أحمد عبدالله بن محمد بن المفسّر، نا أبو بكر عبد الرّحمن بن القاسم بن الروّاس، نا أبو مُسهِر، نا خالد بن يزيد فذكره.

أَخْبَرَنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة، نا عبد العزيز بن أحمد، نا تمام بن محمد، أنا أبو الحارث بن عمّارة، نا أبي وهو محمد بن عمّارة بن أبي الخطاب الليثي، نا محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن هشام بن خالد، عن الوليد بن مسلم، عن رجلٍ، عن مكحول، عن كعب قال: بطرسوس[1] من قبور الأنبياء عشرة، وبالمصّيصة[2] خمسة وهي التي تغزوها الروم في آخر الزمان فيمرّون بها فيقولون: إذا رجعنا من بلاد الشام أخذنا هؤلاء أخذاً، فيَرجعُون وقد تخلّفت بين السّماء والأرض.

قال كعب: وبالثغور، وأنطاكية قبر حبيب النجار، وبحمص ثلاثون قبراً، وبدمشق خمس مائة قبر، وببلاد الأردن مثل ذلك.

رواه غيره عن محمد، عن هشام فسمّى الرجل: سعيد بن عبد العزيز.

أَخْبَرَنا أبو الفضائل ناصر بن محمود بن علي، نا علي بن أحمد بن زهير، نا علي بن محمد بن شجاع، نا تمام بن محمد، نا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الأذرعي، نا محمد، عن هشام بن خالد، عن الوليد يعني ابن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول، عن كعب فذكره. وزاد فيه: وبالثغور وبسواحل الشام من قبور الأنبياء ألف قبر. وقال بعد: وببلاد الأردن مثل ذلك، وبفلسطين مثل ذلك، وببيت المقدس ألف قبر، وبالعريش عشرة، وقبر موسى بدمشق.

قال: ونا علي بن محمد، أنا عبد الرّحمٰن بن عمر، أنا أبو يعقوب الأذرعي، نا شيخ ممّن أثق به، نا محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم، عن شعبة، عن مكحول، عن عبدالله بن سلّام،

---

(١) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت).

(٢) المصيصة من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس (ياقوت).

قال: بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبعماية قبر، وقبر موسى بدمشق، وأن دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم.

وبه عن مكحول، عن ابن عباس قال: من أراد أن يرى الموضع الذي قال الله عز وجل: ﴿وَآوَيْناهما إلى رَبْوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين﴾ (١) فليَأت النيرب الأعلى بدمشق بين النهرين، وليصعد الغارَ في جَبَل قاسيون فيصلّي فيه، فإنّه بيت عيسى وأمّه، وهوكان معقلهم من اليهود. ومن أراد أن ينظر إلى إرم فليأتِ نهراً في حَفَر دمشق يقال له بردَا. ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريّون فليَأتِ مقبرة الفراديس، وهي مقبرة دمشق، قبور جماعة من الصحابة الأخيار.

وقد جاء في فضل المغائر التي يدفنون فيها من الأخبار:

ما أَخْبَرَنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو بكر بن الطبري، أنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبدالله بن جعفر، نا يعقوب بن سفيان، حدّثني محمد بن مقاتل المَرْوَزي، نا أَوْس وهو ابن عبدالله ابن بُريدة، عن أخيه أظنّه عن أبيه قال: مات أبي بمرو وقبره بحُصين (٢).

قال: وقال لي أبي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات من أصحابي بأرض فهو قائدهم يوم القيامة**» [٤٩٨](٣).

كذا رواه بالشك. ورواه غيره عن أوس فلم يشك فيه.

حدثناه أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السَّمعاني، وأبو بكر محمد بن عمر، وأخبرني أبو الفتح محمد بن عبد الرّحمٰن بن أبي بكر بن أبي توبة الكُشْمَيْهني، وابناه أبو عبد الرّحمن محمد وأبو المظفر منصور، وأبو الفتح مسعود، أنبأ محمد بن أبي منصور المسعوديان، وأبو العلاء صاعد بن منصور بن أحمد السَّرَخْسي، وأبو القاسم محمود بن ميمون بن عبدالله بن الدبوسي ـ بمرو ـ قالوا: أنا أبو منصور محمد بن علي بن محمود الكُراعي المَرْوَزي، أنا جدّي لأمّي أبو غانم أحمد بن علي بن الحسين الكُراعي، أنا أبي أبو الحسن علي بن الحسين، أنا أبو عبد الرّحمٰن عبدالله بن مسعود بن سليمان المَرْوَزي ـ بمرو ـ أخبرني أحمد بن عبدالله بن بشير، نا أوس ابن عبدالله، حدثني أخي، عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه بُريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما رجل من أصحابي مات ببلدةٍ فهو إمامهم يوم القيامة**» [٤٩٩](٤)، هذا إسناد غريب ورجاله كلّهم مراوزة وقوله أوس بن عبدالله بن عبدالله وهم فهو أَوْس بن عبدالله بن بُريدة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٢) الحصين مصغر، بليدة على نهر الخابور. كذا في ياقوت ؟!

(٣) كنز العمال: ٣٢٥١٦ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٦٥. (٤) التاريخ الكبير: ٢ / ١٤١ وتهذيب دمشق: ١ / ٢٦٥.

وقد أخْبَرَناه على الصواب عالياً من غير وهم أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا عبد الوهّاب بن جعفر الميداني، نا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن مرزوق، نا زكريا بن يحيى السّجْزي، نا إسحاق بن إبراهيم، نا أوْس بن عبدالله بن بُرَيدة بن حُصَيْب، حدّثني أخي سهل بن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه بُريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّها ستبعث بعوث، فكنْ في بعث خُراسان ثم اسكن مدينة مَرْو، فإنه بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة ولا يصيب أهلها سُوءٌ أبداً**» [٥٠٠][(١)].

وقد روي عن عبدالله بن بُريدة من وجه آخر:

وأخْبَرَناه أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور الفقيه، أنا أبي أبو العباس الفقيه، وأبو محمد عبد العزيز الكتاني، والحسن بن علي بن محمد بن أبي الرضا، وأبو القاسم بن أبي العلاء، وغنايم ابن أحمد بن عبيد الله ح.

وأخْبَرَناه أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، نا عبد العزيز الكتاني وأبو القاسم بن أبي العلاء وأبو نصر الحسين بن محمد بن طلّاب، وغنايم بن أحمد وعلي بن الخَضِر بن عَبدان ح.

أخْبَرَناه أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن البري، أنا عمي عبد الواحد بن [محمد] بن عبد الواحد ح.

وأخْبَرَنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن السُّوسي وأبو يَعْلَى حمزة بن علي بن الحسن التغلبي، أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، قالوا: أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت، نا يحيى بن أبي طالب بن زيد بن حباب، أنا ابن ناجية، نا أبو طيبة عبدالله بن مسلم، عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه، قال: قال النبي ﷺ: «**ما أحدٌ من أصحابي يموت بأرض إلّا كان قائداً ونوراً لهم يوم القيامة**» [٥٠١][(٢)].

هو عثمان بن ناجية الخُراساني.

ورَواه عنه أبو كُريب الهَمَذاني، كما رواه زيد بن الحباب عنه.

أخْبَرَناه أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي إسماعيل الكروخي، أنا أبو عامر محمود ابن القاسم الأزدي، وأبو بكر أحمد بن عبد الصّمد الغذرجي، قالا: أنا أبو محمد بن عبد الجبّار بن محمد الجراحي، أنا أبو العبّاس محمد بن أحمد المحبوبي، أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نا أبو كُرَيب، نا عثمان بن ناجية، عن عبدالله بن مسلم أبي طيبة، عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد من أصحابي يموت بأرضٍ إلّا بُعث قائداً**

---

(١) دلائل النبوة: ٦ / ٣٣٢ وتذكرة الموضوعات لابن القسراني: ٤٨٦.

(٢) مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٥.

ونوراً لهم يوم القيامة»[٥٠٢].

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

وقد روي هذا الحديث عن عبدالله بن مسلم أبي طيبة عن ابن بُريدة عن النبي ﷺ مرسلاً وهذا أصح.

ورواه محمد بن الفضل بن عطية الخُراساني، عن أبي شيبة. ووقع إليَّ عالياً من حديثه.

أخْبَرَناه أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السُّلمي، نا عبد العزيز التميمي، نا تمام الرازي، نا خَيْثَمة بن سليمان إملاء ح.

وأخْبَرَناه أبو محمد بن طاووس وأبو يَعْلَى حمزة بن الحسن بن المفرج، قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا خَيْثَمة، نا محمد بن عيسى بن حيان المدائني ـ بالمدائن ـ نا محمد بن الفضل بن عطية، عن عبدالله بن مسلم، عن ابن بُريدة ح.

وأخْبَرَناه أبو الحسن علي بن أحمد بن قيس المالكي وأبو منصور عبد الرّحمٰن بن محمد بن زريق قال علي: حدثنا ـ وقال عبد الرّحمٰن: أنا ـ أبو بكر الخطيب، أنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحرسي ـ بنيسابور ـ نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ح.

قال أبو بكر الخطيب: وأنا علي بن محمد بن عبدالله المُعَدّل ح.

وأخْبَرَناه أبو القاسم الشحّامي، أنا أبو سعد أحمد بن إبراهيم بن موسى المقريء، أنا الإمام أبو الحسن محمد بن علي بن سهل المَاسَرْجَسي ـ بنيسابور ـ [نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ح].

وقال أبو، قالا: نا محمد بن عمرو بن البَخْتَري [الرّزّاز ـ زاد] الماسَرْجسي: ببغداد ح.

[**وأخْبَرَناه** أبو الحسن علي بن قبيس وأبو منصور بن رزيق، قال علي: حدثنا ـ وقال أبو منصور: أنا ـ أبو بكر الخطيب ح].

وأخْبَرَناه أبو محمد بن طاوس، أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، قالا: أنا عبد الرّحمٰن بن عبيدالله قال الخطيب: الحربي: وقال ابن أبي العلاء: ابن محمد الحرمي ح.

وأنبأناه أبو القاسم علي بن محمد بن بيّان الرزّار، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبدالله ابن بشران، قالا: أنا حمزة بن محمد بن العبّاس ـ كناه ابن طاوس: أبا أحمد ح.

وأخْبَرَناه أبو طاهر محمد بن محمد بن عبدالله السِّنجي المَرْوَزي وأبو محمد بختيار بن عبدالله الهندي الضرير مولى ابن السمعاني بمرو، قالا: أنا أبو علي الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل التِّكَكي، أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزّاز، أنا عثمان بن أحمد بن السمّاك وحمزة بن محمد بن العباس، وأبو سهل بن زياد ح.

وأخْبَرَناه أبو الحسن بن قبيس، قال: ونا أبو منصور بن زُرَيق، أنا أبو بكر الخطيب، أنا الحسن بن

أبي بكر بن شاذان، أنا مكرم بن أحمد القاضي، قالوا: أنا محمد بن عيسى بن حبان ـ زاد بعضهم: المدائني ـ وقال تمام: بالمدائن ـ إملاء ـ نا وفي حديث تمام: عن عبدالله بن مسلم ح.

عن ابن بُريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: **«من مات من أصحابي بأرضٍ كان نورَهم وقائدهم يوم القيامة»** [٥٠٣](١).

قال تمام: عبدالله بن مسلم هو أبو طَيْبة المَرْوَزي. حدث بهذا الحديث عنه جماعة.

وأخْبَرَناه أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد بن محمد، أنا شجاع بن علي بن شجاع، أنا أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه، نا خَيْثَمة بن سُليمان، نا محمد بن عيسى بن حيان، نا محمد بن الفضل، عن عبدالله بن مسلم، عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من أرض يموت بها رجل من أصحابي إلّا كان قائدهم ونورَهم يوم القيامة»** وروي عن ابن بُريدة من وجه آخر.

أخْبَرَناه أبو سعد محمد بن محمد بن المُطَرّز الفقيه وأبو علي الحسن بن أحمد المقريء الحداد في كتابيهما قالا: أنا أبو نُعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الحافظ، نا عبدالله بن محمد بن جعفر، نا أبو القاسم بن أبي العَنبر، نا محمد بن يحيى الأزدي، [نا يحيى بن حُريث العبدي،] نا يحيى بن عباد، نا أبو المُنيب الخُراساني وهو عبيدالله بن عبدالله العتكي قال: سمعت عبدالله بن بُريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات من أصحابي بأرض فهو شفيعٌ لأهل تلك الأرض»** [٥٠٤].

وروي نحو هذا اللفظ من وجه آخر، عن علي عن النبي ﷺ.

أنبأناه أبو الغنائم محمد بن علي الكوفي، أنا محمد بن علي بن الحسن الحسني، نا محمد بن جعفر بن محمد التميمي، ومحمد بن الحسن بن أحمد الأسدي قالا: أنا أحمد بن محمد بن سعيد، أخبرني محمد بن أحمد بن نصر التيملي ـ قراءة ـ حدّثني أبي، نا موسى بن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن آبائه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يموت أحد من أصحابي ببلد من البلدان إلّا كان لهمْ نوراً، وبعثه الله يوم القيامة سيدَ أهل ذلك البلد»** [٥٠٥](٢).

ثم قال لي موسى بن عبدالله: هذه فضيلة لكم يا أهل الكوفة، قد مات أمير المؤمنين ببلدكم.

وأنبأنا أبو الغنائم الكوفي، أنا محمد بن علي بن الحسن، نا محمد بن جعفر، ومحمد بن الحسن ابن أحمد، قالا: أنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود، حدّثني موسى بن عبدالله، حدّثني أبي عبدالله بن موسى، عن أبيه، عن جدّه، عن عبدالله بن الحسن، قال: مات عامر ـ يعني ـ ابن الأكوع بوادي القرى، فقال: يعني رسول الله ﷺ: **«إنه لا يموت رجل من**

---

(١) كنز العمال ح٣٢٥١٥ وكشف الخفاء: ٢ / ٣٨٧. (٢) كنز العمال ح٣٢٥١٧.

أصحابي ببلدٍ من البلدان إلّا بعثه الله يوم القيامة سيد أهل ذلك البلد»[٥٠٦].

فأوّل مقبرة دفن المسلمون فيها بدمشق.

كما أخْبَرَنا أبو الحسين عبد الرّحمٰن بن عبدالله بن أبي الحديد، نا جدي أبو عبدالله الحسن بن أحمد، أنا أبو الحسن علي بن الحسن الرَّبعي، أنا أبو الفرج العباس بن محمد بن حبان، أنا أبو العبّاس بن الرَّقّي، أنا محمد بن محمد بن مُصعب، نا محمد بن المبارك الصُّوري، نا الوليد بن مسلم، قال: وأخبرني سعيد بن عبد العزيز وغيره: أن المسلمين يومئذ نشبوا القتال من تلك الناحية يعني من ناحية الباب الشرقي يوم نزولهم على دمشق، فقتل ناس من المسلمين فدفنوا في مقبرة باب توما، فهي أول مقبرة بدمشق للمسلمين.

أخْبَرَنا أبو محمد بن الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو الميمون ابن راشد، نا أبو زُرعة الدمشقي، قال: ورأيت أهل العلم ببلدنا يذكرون أن بمقبرة دمشق من أصحاب رسول الله ﷺ بلال مولى أبي بكر، وسهل بن الحنظلية، وأبو الدّرداء.

قرأتُ بخط أبي محمد بن الأكفاني ـ وأنبأنيه شفاهاً ـ نا الشيخ الحافظ الثقة أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد الكتاني رضي الله عنه قال: لم يتفق المصرَان على معرفة عين قبر نبي وصحابي غير قبر نبيّنا محمّد ﷺ، وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال ابن الأكفاني: أراني الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير: أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وفُضالة بن عُبيد، وواثلة بن الأسقع، وسهل بن الحنظلية، وأوس بن أوس ـ وهم داخل الحظيرة ممّا يلي القبلة ـ وأبو الدّرداء خارج الحظيرة، وأم الدرداء خلف الحظيرة، وعبدالله بن أم حرام ـ ويعرف بابن امرأة عُبادة بن الصامت ـ محاذي طريق الجادة، وجماعة يقولون: إنه قبر أُبيّ بن كعب، وليس بصحيح، وأم حَبيْبة ابنة أبي سفيان أخت معاوية رضي الله عنهم زوجة رسول الله ﷺ، على قبرها بلاطة مكتوب عليها اسمها في جنب حظيرة [الصحابة] وأختها على قبرها أيضاً بلاطة مكتوب عليها، وبلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ على قبره أيضاً بلاطة مكتوب عليها اسمه.

قال: وأراني أيضاً قبر الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين، وأخيه مَسْلَمة خلف الحظيرة التي فيها قبور الصحابة مقابل مقبرة أمير الجيوش على الجادة.

قال: وأراني أيضاً قبر بُريهة ابنة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قبة، وقبر سُكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب في قبة.

قال ابن الأكفاني: ورأيت في كتابٍ عتيق من رواية أبي علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري، رواية الربيع بن عمرو بن الربيع الكلبي الدمشقي عنه، حدّثنا محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري، نا إبراهيم بن عبد الواحد العَبسي وعبد الملك بن محمود بن سُمَيع القرشي

قالا: نا يزيد بن أحمد السُّلمي قال: سمعت الأشياخ العلماء من بلدنا يقولون: دفن في مقبرة باب الصغير من أصحاب رسول الله ﷺ كثير ـ وقالا: كبير المعروفون ـ منهم معاوية بن أبي سفيان، وفضالة بن عبيد، وأبو الدرداء، وسهل بن الحنظلية، وبلال بن حمامة مؤذن رسول الله ﷺ، ووابصة ابن معبد، وخُرَيم بن فاتك. [ومعبد بن فاتك] وسبرة بن فاتك، ورجال ونساء كثير.

قال: وحدّثني عمرو بن دُحَيم أيضاً مثل ذلك.

قرأتُ بخط أبي الحسن علي بن المسلم الفقيه قال: نقلت من خط الحسين بن محمد بن الوزير الحافظ، نا الحسن بن حبيب بن عبد الملك ح.

وقرأتُ بخط أبي محمد بن الأكفاني ورأيت بخط أبي أحمد الحسين بن محمد بن الوزير الشُّرُوطي المعروف بابن الوزير الحافظ، نا أبو علي الحسن بن حبيب، قال: سمعت أبا زُرْعة عبد الرّحمٰن بن عمرو يقول: في مقبرة باب الصغير إلى باب الجابية ستّة من أصحاب رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان رحمة الله تعالى عليه، وأبو الدرداء رحمه الله، وفُضالة بن عبيد رحمه الله ـ زاد الفقيه: وسهل بن الحنظلية رحمه الله، وواثلة بن الأسقع رحمه الله، وبلال مؤذن رسول الله ﷺ رحمه الله، نزل داريّا فتزوّج بها ومات بداريّا وحُمل حتى دفن هاهنا مع أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال أبو علي: وقد روي عن النبي ﷺ: **«أيما أهل مقبرة أقبر بين أظهرهم رجل من أصحابي جاء وافدهم يوم القيامة»** [٥٠٧].

قال ابن الأكفاني: مُدْرك بن زياد الفَزَاري أحد أصحاب رسول الله ﷺ ورحمة الله عليه قبره بقرية راوية(١) من غوطة دمشق قال: وهو أوّل صحابي توفي بظاهر دمشق.

سعد بن عُبادة الأنصاري سيد الخَزرج رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قبره بقرية المنيحة(٢) من غوطة دمشق.

إلى هنا قرأتُ بخط الأكفاني. وكان أوس بن أوس ملحقاً بخطه بين السطرين بخط طريّ، ولا أدري أذكره عن الكتاني أو عن نفسه.

أمّا معاوية فيختلف في قبره، فيقال إنه قبر خلف حائط المسجد الجامع موضع دراسة السُّبع اليوم. والأصحّ أن قبره خارج باب الصغير.

وأمّا قبر عبدالله بن أُبيّ فلم يرد ذلك من وجه يعتمد وإنما ذكر ذلك من طريق الاستفاضة بين

---

(١) قرية من غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري صحابي، وهو أول مسلم دفن بها، نقله عن ابن عساكر.

(٢) المنيحة من قرى دمشق بالغوطة، وبها مشهد يُقال إنه قبر سعد بن عبادة الأنصاري، والصحيح أن سعداً مات بالمدينة (ياقوت).

العامة، وعبدالله كان يسكن بيت المقدس ولم أظفر بعد بدُخوله دمشق.

وأمّا قبر أمّ حَبيبة فيمكن أن يكون قبرها هاهنا، لأنها قدمت الشام على أخيها معاوية بعد. ذكرها أبو زُرعة في طبقاته فقال:

ما أَخْبَرَنا أبو محمد الأكفاني، نا عبد العزيز الكتاني، أنا تمام الرازي، أنا أبو عبدالله جعفر بن محمد بن جعفر نا هشام الكِندي، نا أبو زُرعة قال: فيمن حدث بالشام من النساء أم حبيبة زوج النبي ﷺ اسمها رملة بنت أبي سُفيان، والأصح أن قبرها بالمدينة.

وأمّا بلال فقد اختلف في قبره، قيل إنه بباب الصغير وهو أصح الأقاويل، وقيل بباب كيسان، وقيل بداريّا، وقيل إنه بحلب وهو قول ضعيف وسنذكر هذه الأقاويل في ترجمته إن شاء الله.

وأمّا قبر بُريهة فلا أدري القول في نسبها يصح لأن أصحاب النسب لم يذكروا في أولاد الحسن ابن علي ابنة اسمها بُرَيهة.

فأمّا قبر سُكينة بنت الحسين فيحتمل لأنها تزوّجت بالأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذي كان بمصر ورحلت إليه فمات قبل أن تصل إليه، فيحتمل أنها قدمت دمشق وماتت بها، والصحيح أنها ماتت بالمدينة، وأمرَهم الوالي أن لا يدفنوها حتى يحضرها، وركب إلى بعض أمواله بنواحي المدينة، وكان اليوم حاراً، فتغيّرت رائحتها واشتُري لها طيب كثير ليغلب الرائحة فلم يغلب. ثم بعث إليهم أن ادفنوها فإنّي مشغول، فدُفنت ولم يحضر.

وأمّا وابصة بن معبد فيحتمل أن يكون صحيحاً فقد قدم دمشق وسمع بها من سَبْرة بن فاتك، وكان مقام وابصة بالرقة(١) وبها ولده وحديثه.

وأمّا خُرَيم بن فاتك وسَبرَة بن فاتك فهما من الصحابة الذين كانوا بدِمشق.

وأمّا مَعْبَد أخوهما فلم أر له ذكراً في كتب أصحاب الحديث ولا في معاجم الصحابة.

وأمّا مُدْرك بن زياد فلم أجدْ له ذكراً إلّا على اللوح المكتوب على قبره من وجهٍ لا يثبت مثله، وسيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله.

وأمّا سعد بن عُبادة فإنه مات بحوران، فيحتمل أنه حمل ودفن في المسجد(٢) والله أعلم.

هذا آخر ما تيسّر ذكره من الأبواب التي سهل الله ذكرها في صدر هذا الكتاب.

ونشرع الآن في ذكر أسماء الرجال على حروف المعجم على الشرط السّابق والترتّيب المتقدّم.

---

(١) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة (ياقوت).

(٢) مختصر ابن منظور: ١ / ٣٠٥ في المنيحة.

الفهرس

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي